الشجرة النعمانية

بشرح

صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي

ويليها

شق الجيب بعلم الغيب

ويليه

المدخل الى المقصد الأسمى في الإشارات

ويليه

كتاب العظمة

ويليه

تاج الرسائل ومنهاج الوسائل

ويليه

منزل المنازل الفهوانية

كلها تأليف
الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد
ابن عربي الحاتمي
المتوفى ٦٣٨هـ

ضبطها وصححها وعلق عليها
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

1653

الشجرة النعمانية

بشرح

صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي

ويليها

شق الجيب بعلم الغيب

ويليه

منزل المنازل الفهوانية

ويليه

المدخل إلى المقصد الأسمى في الإشارات

ويليه

كتاب العظمة

ويليه

تاج الرسائل ومنهاج الوسائل

كلها تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد

ابن عربي الحاتمي

المتوفى ٦٣٨ هـ

ضبطها وصححها وعلق عليها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

129661

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3468-X
90000>
9782745134684

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ليس كمثله شيء من حيث ذاته، والسميع البصير من حيث أسماؤه وصفاته، لا تدركه الأبصار من حيث خفاء بطونه، ووجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، من حيث تجلّيات ظهوره، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. وصلّى الله على سيدنا محمد سرّ الأسرار ومنبع الأنوار، تجلّى له كل شيء وعرفه، كما ثبت في الصحيح، فقد روى الترمذي في الجامع الصحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعاً فثوب بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ وتجوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته قال: «**لنا على مصافكم كما أنتم، ثم انفتل إلينا ثم قال: أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد. قلت: لبيك رب. قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أدري قالها ثلاثاً، قال فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي. فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات قال: ما هن قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء حين الكريهات. قال: فيم قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام. قال: سل قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، أسألك**

حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلي حبك». قال رسول الله ﷺ: **«إنّها حق فادرسوها ثم تعلموها»** قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. وقال ﷺ فيما رواه الإمام أحمد وغيره عن مكحول مرسلاً: «من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من فمه وعلى لسانه».

وبعد ففي إطار مجموعة كتب التصوّف الإسلامي التي نقوم بتحقيقها وتنقيحها وتصحيحها ونشرها بأبهى حلّة خدمة للركن الثالث أركان الدين الإسلامي الكامل الذي هو الإحسان؛ مقام التربية والسلوك إلى ملك الملكوت وعلام الغيوب مقام: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». نقدم للقرّاء كتاب **(الشجرة النعمانية)** للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه وأسراره، وشرحه لتلميذه الشيخ صدر الدين القونوي. ألفها في الدولة العثمانية وذكر فيها ما يكون فيها وفي غيرها من أخبار وأحداث كونية طبيعية وسياسية وتحدث عن ظهور الإمام المهدي في آخر الزمان. وبين الشيخ الأكبر محور موضوعات كتابه بقوله: «موضوع هذا العلم الدلالة على قدرة الباري جلّ وعلا لكونه من جملة العلوم الباعثة عن أسرار القدر بما يشير إليه من الودائع المخزونة في كنوز الحروف التي عليها المدار، فمن وفقه الله تعالى لفهم تلك الرموز الحرفية، عرف جميع الأصول الجفرية المرتبطة بدلالات الاقترانات الفلكية، المسلطة على أقطار الدائرة الكونية وحصول تأثيراتها في أركان الدائرة بالحوادث والوقائع المؤثرة في أحايينها وأناتها كائنة ما كانت».

ويلي الكتاب مجموعة كتب صغيرة للشيخ الأكبر نفسه وهي على الترتيب التالي: كتاب **(شق الحبيب بعلم الغيب)** ذكر فيه ما يحتاجه طالب معرفة العالم الكبير وأسرار علم الغيب بكن ويكون. وكتاب **(منزل المنازل الفهوانية)** تكلم فيه عن المنازل الروحية خلال عروجها من قوالبها الظلمانية السفلى إلى السماوات العلى. وكتاب **(المقصد الأسمى في الإشارات)** تكلم فيه على ما وقع في القرآن الكريم من الأسماء والكنايات بلسان الشريعة والحقيقة. وكتاب **(العظمة)** تكلم فيه عن أسرار حضرات روحية يتحقق بها السالكون العارفون بالله تعالى، ومدار جميعها على تجلي أنوار العظمة الإلهية، وكتاب **(تاج الرسائل ومنهاج الوسائل)** تحدث فيه عن المعاني الإلهية المودعة في المعاني الروحانية التي جرت بينه وبين الكعبة المشرّفة.

وممّا لا شك فيه أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمرّ بها السالك إلى الله تعالى، كما يطلع على الحكم

والقواعد الصوفية، التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض. لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث؛ الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة؛ الملك والملكوت والجبروت، مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء». وقوله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أنوار أسرار ما تعبدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ: مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩] للنال السعادة الحقيقية المتمثلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

كتبه الشيخ الدكتور
عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة شارح الشجرة النعمانية[1]
صدر الدين القونوي

- هو الإمام محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي نسبة إلى بلدته قونية وكانت تحت حكم الرومان وهي الآن إحدى مدن جنوب تركيا.
- كان القونوي شافعي المذهب أكبري المشرب فهو من خواص تلاميذ الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الحاتمي المقرّبين الذين أخذوا عنه ونشروا مذهبه. وربما يعود السبب في ذلك إلى عاملين، الأول: أنّ أمه أرسلته بعد وفاة والده وهو ما زال طفلاً غرّاً إلى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي حيث درس على يديه الفقه وحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءات، وسرعان ما تأثر بشيخه وبمذهبه الصوفي فزهد في زخارف الحياة الدنيا وانكبّ على التصوّف علماً وعملاً. والثاني: أنّ الشيخ الأكبر تزوج أمه فشجعه ذلك على ملازمته حتى وفاته.
- جرت مكاتبات عديدة بين الشيخ صدر الدين القونوي والشيخ نصير الدين الطوسي في كثير من المسائل الفقهية التي عمّت معارفه في ميدان الفقه الإسلامي وخاصة المذهب الشافعي كما جرى بينهما مكاتبات في مسائل الطريقة والحقيقة.
- ترك القونوي العديد من الكتب القيّمة التي أثرت المكتبة الإسلامية في علمي الشريعة والحقيقة. ومن كتبه: «إعجاز البيان في تفسير القرآن، والنصوص في تحقيق الطور المخصوص، واللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية، ومفتاح الغيب وشرح الأحاديث الأربعينية وشرح الأسماء الحسنى، والرسالة الهادية والنفحات الإلهية القدسية، والرسالة الرشيدية في أحكام الصفات الإلهية، والرسالة المفصحة، ولطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، وبرزخ البرازخ.
- ولد القونوي في بلدته قونية الواقعة جنوب تركيا وهو مجهول تاريخ الولادة، وتوفي فيها سنة ٦٧٣ هـ ١٢٧٥ م ودفن في أحد الزوايا التي أصبحت فيما بعد مقاماً له يزار حتى يومنا هذا.

---

(١) للتوسع في ترجمته يرجع للمصادر التالية: الأعلام للزركلي (٦/ ٣٠) ومفتاح السعادة (١/ ٤٥١ و٢/ ٢١١) وطبقات السبكي ٥/ ١٩ وجامع كرامات الأولياء (١/ ١٣٣) وكشف الظنون (٢/ ١٩٥٦) وبروكلمان (١) والكتبخانه (٥/ ٣٦٣ و٣٦٤ و٧/ ١٧٦ و٣٨٢).

ترجمة الشيخ الأكبر
محيي الدين بن عربي(*)

نسبه:

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخي عديّ بن حاتم من قبيلة طيّ مهد النبوغ والتفوق العقلي في جاهليّتها وإسلامها. يكنى أبا بكر ويلقب بمحيي الدين، ويعرف بالحاتمي وبابن عربي لدى أهل المشرق تفريقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي.

مولده ونشأته:

ولد في يوم الاثنين السابع عشر من رمضان عام خمسمائة وستين هجرية الموافق ٢٨ يولية سنة ألف ومائة وخمس وستين ميلادية في مدينة «مرسية» بالأندلس، وهي مدينة أنشأها المسلمون في عهد بني أمية. وكان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف. وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأة تقيّة ورعة نقيّة من جميع الشوائب الشائبة. وهكذا درج محيي الدين في جو عامر بنور التقوى، فيه سباق حر مشرق نحو الشرفات العليا للإيمان، وفيه عزمات لرجال أقوياء ينشدون نصراً وفوزاً في محاريب الهدى والطاعة.

وانتقل والده إلى إشبيلية، وحاكمها إذ ذاك السلطان محمد بن سعد، وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس، وفيها شب محيي الدين ودرج. وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب «الكافي»، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهماً في المعاني والإشارات. ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال

(*) مقتبسة من بحث للدكتور محمد غلاب بعنوان «المعرفة عند محيي الدين بن عربي» ضمن «الكتاب التذكاري لمحيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده» الصادر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٦٩م.

الحديث والفقه، يذكرهم لنا الإمام شمس الدين بن مسدي في روايته عن محيي الدين فيقول واصفاً متحدثاً عن أساتذته الأول: «كان جميل الجملة والتفصيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق، والتقدم الذي لا يسبق، سمع في بلاده في شبابه الباكر من ابن زرقون، والحافظ ابن الجد، وأبي الوليد الحضرمي، الشيخ أبي الحسن بن نصر». ثم لا يذكر لنا التاريخ بعد ذلك شيئاً ذا بال عن شباب محيي الدين، ولا عن شيوخه، ومقدار ما حصل من العلوم والفنون؛ وإنما هو يحدثنا أنه مرض في شبابه مرضاً شديداً. وفي أثناء شدة الحمى رأى في المنام أنه محوط بعدد ضخم من قوى الشر، مسلحين يريدون الفتك به. وبغتة رأى شخصاً جميلاً قوياً مشرق الوجه، حمل على هذه الأرواح الشريرة ففرّقها شذر مذر، ولم يبق منها أي أثر، فيسأله محيي الدين من أنت؟ فقال له: أنا سورة يس.

وعلى أثر هذا استيقظ فرأى والده جالساً إلى وسادته يتلو عند رأسه سورة يس. ثم لم يلبث أن برىء من مرضه، وألقي في روعه أنه معدّ للحياة الروحية، وآمن بوجود سيره فيها إلى نهايتها ففعل.

وفي طليعة هذا الشباب المزهر بفضل ثروة أسرته تزوج بفتاة تعتبر مثالاً في الكمال الروحي والجمال الظاهري وحسن الخلق، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها.

وفي هذه الأثناء كان يتردد على إحدى مدارس الأندلس التي تعلم سراً مذهب الأمبيذوقلية المحدثة المفعمة بالرموز والتأويلات والموروثة عن الفيثاغورية والأورفيوسية والفطرية الهندية. وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة التي تدرس لتلاميذها المبادىء الخفية والتعاليم الرمزية منذ عهد ابن مسرة المتوفى بقرطبة في سنة ٣١٩ هـ - ٩٣١ م والذي لم يعرف المستشرقون مؤلفاته إلاَّ عن طريق محيي الدين. وكان أشهر أساتذة تلك المدرسة في ذلك القرن ابن العريف المتوفى في سنة ١١٤١ م فلم يره محيي الدين، ولكنه تتلمذ على منتجاته وعلى رواية تلميذه المباشر وصديق محيي الدين الوفي أبي عبد الله الغزال.

ومما لا ريب فيه أن استعداده الفطري ونشأته في هذه البيئة التقية، واختلافه إلى تلك المدرسة الرمزية، كل ذلك قد تضافر على إبراز هذه الناحية الروحية عنده في سن مبكرة وعلى صورة ناصعة لا تتيسر للكثيرين ممن تشوب حياتهم الأولى شوائب

الغرائز والنزوات. فلم يكد يختم الحلقة الثانية من عمره حتى كان قد انغمس في أنوار الكشف والإلهام، ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنه جعل يسير في الطريق الروحاني بخطوات واسعة ثابتة، وأنه بدأ يطلع على أسرار الحياة الصوفية، وأن عدداً من الخفايا الكونية قد تكشف أمامه، وأن حياته منذ ذلك العهد المبكر لم تعد سوى سلسلة من البحث المتواصل عما يحقق الكمال لتلك الاستعدادات الفطرية التي تنير أضواؤها جوانب عقله وقلبه. ولم يزل عاكفاً على ذلك النشاط الروحاني حتى ظفر بأكبر قدر ممكن من الأسرار. ولم تكن آماله في التغلغل إلى تلك الأسرار وبحوثه عن وسائلها الضرورية تقف عند حد، لأنه أيقن منذ نعومة أظفاره بأنه مؤمن بمبادىء عقيدة حقيقية أزلية مرت بجميع الأزمان الكونية، وطافت بكل الأجناس البشرية متممة ما فيها من نقص وقصور، وأنها جمعت كل الروحانيات في الوحدة الفطرية التي تتمثل من حين إلى آخر في صور تنسكية رفيعة تبدو على مسرح الإنسانية ردحاً من الزمن ثم تختفي، ولا يدرك حقيقتها إلا القليلون.

وأكثر من ذلك أنه حين كان لا يزال في قرطبة قد تكشف له من أقطاب العصور البائدة عدد من حكماء فارس والإغريق كفيثاغورس، وأمبيذوقليس، وأفلاطون ومن إليهم ممن ألقيت على كواهلهم مسؤولية القطبية الروحية في عصورهم المتعاقبة قبل ظهور الإسلام. وهذا هو السبب في أنه قد شغف بأن يطلع على جميع الدرجات التنسكية في كل الأديان والمذاهب عن طريق أرواح رجالها الحقيقيين بهيئة مباشرة، وبصورة مؤسسة على الشرف العلمي الذي يحمل الباحث النزيه على الاعتماد عليه دون أدنى تردد أو ارتياب.

غير أن هذه السكينة الروحانية التي بدأت لدى هذا الشاب مبكرة والتي كانت ثمارها فيما بعد تتمثل في تلك المعرفة التي أشرنا إليها آنفاً، لم تدم طويلاً على حالة واحدة، إذ أنه لم يلبث أن تبين أول الأمر بالإلهام، ثم عن طريق الكشف الجلي أنه لم يعد له بدّ ـ في تلك البيئة المغربية إذ ذاك ـ من أحد أمرين: إما أن يجاري التيار العام الذي كان يحدق به إحداق السوار بالمعصم، وهو أن يتقيد في جميع أفكاره وتعقلاته وأحاسيسه ومشاعره وحركاته وسكناته بحرفية الدين التي لا روح فيها ولا حياة ولا سرّ ولا رمز ولا تأويل، وبهذا تختفي شخصيته الحقيقية وتفشل رسالته الطبيعية، وهذا شيء لا يستطيعه بأي حال، وإما أن يسير على فطرته وحسب تكوين عقله وقلبه فيصطدم في كل خطوة من خطواته من أهل الحل والعقد في البلاد. وقد حدث ذلك فعلاً حيث احتدمت بينه وبين بعض الأمراء الموحدين مجادلات عنيفة، وحيكت حوله دسائس قوية اتهمته بإحداث اضطراب في سياسة الدولة.

وإذ ذاك رأى في حالة اليقظة أنه أمام العرش الإلٰهي المحمول على أعمدة من لهب متفجر، ورأى طائراً بديع الصنع يحلق حول العرش ويصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق وينبئه بأنه سيكون هو مرشده السماوي، وبأن رفيقاً من البشر يدعى فلاناً ينتظره في مدينة فاس، وأن هذا الأخير قد أمر هو أيضاً بهذه الرحلة إلى الشرق، ولكنه يجب ألا يرتحل قبل أن يجيء إليه رفيق من الأندلس، فيفعل ما أمر به ويرتحل بصحبة هذا الرفيق.

وفيما بين سنتي ٥٩٧، ٦٢٠ هـ ١٢٠٠، ١٢٢٣ م يبدأ رحلاته الطويلة المتعددة إلى بلاد الشرق فيتجه في سنة ١٢٠١ م إلى مكة فيستقبله فيها شيخ إيراني وقور جليل عريق المحتد ممتاز في العقل والعلم والخلق والصلاح. وفي هذه الأسرة التقية يلتقي بفتاة تدعى «نظاما» وهي ابنة ذلك الشيخ، وقد حبتها السماء بنصيب موفور من المحاسن الجسميّة، والميزات الروحانية الفائقة، فاتخذ منها محيي الدين رمزاً ظاهرياً للحكمة الخالدة، وأنشأ في تصوير هذه الرموز قصائد سجلها في ديوان ألفه في ذلك الحين.

وفي هذه البيئة النقية المختارة له من قبل سطعت مواهبه العقلية والروحية، وتركزت حياته الصوفية، وجعلت تصعد في معارج القُدس شيئاً فشيئاً حتى بلغت شأواً عظيماً. ومن ذلك أنه في إحدى طُوفاته التأمليّة والبدنية بالكعبة يلتقي من جديد بمرشده السماوي الذي أمره سالفاً بالهجرة من الأندلس والمغرب إلى الأصقاع الشرقية، فيتلقى منه الأمر أيضاً بتأليف كتابه الجامع الخالد «الفتوحات المكية» الذي ضمنه أكثر وأهم آرائه الصوفية والعقلية ومبادئه الروحية، والذي لا يتطاول إلى قمته في عصره أي كتاب آخر فيما نعلم من إنتاج هذا الصنف من المتنسكين.

وفي سنة ١٢٠٤ م يرتحل إلى الموصل حيث تجتذبه تعاليم الصوفي الكبير علي بن عبد الله بن جامع الذي تلقى لبس الخرقة عن الخضر مباشرة، ثم ألبس محيي الدين إياها بدوره.

وفي سنة ١٢٠٦ م نلتقي به في القاهرة مع فريق من الصوفية الذي يطبقون حياة تنسكية قوية محافظة. وهنا يظهر له رائد سماوي يأمره بإدخال شيء من الكمال على مذهبه، ولكنه لا يكاد يفعل حتى يتنمر له عدد من الفقهاء يحيكون حوله وحول أصحابه شباكاً من الدسائس تهدّد اطمئنانهم بل حياتهم، ولولا نفود أحد أصدقائه لوقع في ذلك الخطر، ولكنه لحسن حظه يستطيع أن ينجو بنفسه ويفر إلى مكة في سنة

١٢٠٧ م فيلتقي فيها بأصدقائه القدماء الأوفياء، ويقيم بينهم في هدوء وسكينة نحو ثلاثة أعوام، ثم يرتحل إلى قونية بتركيا حيث يتلقاه أميرها السلجوقي باحتفال بهيج.

وهناك يتزوج بوالدة صدر الدين القونيوي، وهو أحد تلاميذه المفضلين ثم لا يلبث أن يرتحل إلى أرمينيا، ومنها إلى شاطىء الفرات.

وفي سنة ١٢١١ م نلتقي به في بغداد حيث يتصل بالصوفي المعروف شهاب الدين عمر السهروردي.

وفي سنة ١٢١٤ م يعود إلى مكة ولا يكاد يستقر فيها حتى يجد أن عدداً من فقهائها المنافقين الدساسين قد جعلوا يشوهون سمعته ويرمونه بأن قصائده التي نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عاماً كانت تصور غرامه المادي الواقعي بالفتاة «نظام» ابنة صديقه الشيخ الإيراني التي أشرنا آنفاً إلى أنه اتخذ منها رمزاً نقياً للحكمة الخالدة. وعندما تبيّن هذه التهمة الرخيصة وعرف مصادرها الحقيقية حمل عليها وعلى واضعيها حملة قوية كشفت زيفها للجميع بصورة جعلت القائمين بها يعترفون بأخطائهم ويعتذرون إليه عنها.

وبعد ذلك يرتحل إلى حلب فيقيم بها ردحاً من الزمن معززاً مكرماً من أميرها. وأخيراً يلقي عصا التسيار في دمشق في سنة ١٢٢٣ م حيث كان أميرها أحد تلاميذه المؤمنين بعلمه ونقائه ويظل بها يؤلف ويعلم، ويخرج التلاميذ والمريدين يحوطه الهدوء وتحف به السكينة حتى يتوفى بها في ٢٨ ربيع الثاني من سنة ٦٣٨ هـ الموافق ١٦ نوفمبر من سنة ١٢٤٠ م.

مؤلفاته وشيوخه(*)

قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء» ضمن ترجمته للشيخ ابن عربي:

وقد اطلعت له على إجازة أجاز بها الملك المظفر ابن الملك العادل الأيوبي، ذكر فيها كثيراً من مشايخه ومؤلفاته، ولتمام الفائدة أذكرها هنا بحروفها فأقول: قال رضي الله عنه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبه نستعين: أقول وأنا محمد بن عليّ بن العربي الطائي الأندلسي الحاتمي، وهذا لفظي: استخرت الله تعالى، وأجزت السلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي، ابن الملك العادل المرحوم إن شاء الله تعالى أبي بكر بن أيوب وأولاده، ولمن أدرك حياتي الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي، من قراءة وسماع ومناولة وكتاب وإجازة، وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم، وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن، وتلفظت بالإجازة عند تعبيري هذا الخط، وذلك في غرة محرم سنة ٦٣٢ بمحروسة دمشق وكان قد سألني في استدعائه أنْ أذكر من أسماء شيوخي ما يتسر لي ذكره منهم، وبعض مسموعاتي، وما تيسر من أسماء مصنفاتي، فأجبت استدعاءه نفعه الله تعالى بالعلم، وجعلنا وإياه من أهله، إنه وليّ كريم.

فمن شيوخنا أبو بكر بن أخلف اللخمي، قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع بكتاب الكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني في مذاهب القراء السبعة المشهورين، وحدثني عن ابن المؤلف.

ومن شيوخنا في القراءة أبو الحسن شريح بن محمد بن محمد بن شريح الرعيني، عن أبيه المؤلف.

ومن شيوخنا في القرآن أيضاً أبو القاسم عبد الرحمٰن بن غالب الشراط، من أهل قرطبة، قرأت عليه أيضاً القرآن الكريم بالكتاب المذكور وحدثني أيضاً عن ابن المؤلف أبي الحسن شريح عن أبيه المؤلف محمد بن شريح المقري.

(*) انظر جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهاني (ج١ ص١٦٣ ـ ١٦٩).

ومن شيوخنا القاضي أبو محمد عبد الله البازلي قاضي مدينة فاس، حدثني بكتاب «التبصرة في مذاهب القراء السبعة» لأبي محمد مكي المقري عن أبي بحر سفيان ابن القاضي، عن المؤلف بجمع تآليف مكي أيضاً، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي حمزة، سمعت عليه كتاب التيسير في مذاهب القراء السبعة لأبي عمرو عثمان بن أبي سعيد الداني المقري، حدثني به عن أبيه عن المؤلف وبجميع تآليف الداني وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن دربون، سمعت عليه كتاب البقعي لأبي عمر يوسف بن عبد البر النميري الشاطبي، وحدثني به عن أبي عمران موسى بن أبي بكر ابن المؤلف وبجميع تآليفه مثل الاستذكار، والتمهيد، والاستيعاب، والانتقاء، وأجاز لي إجازة عامة في الروايتين، أجاز لي أن أرويه عنه وجميع تآليفه.

ومن شيوخنا المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمٰن بن عبد الله الإشبيلي، حدثني بجميع مصنفاته في الحديث، وعين لي من أسمائها تلقين المبتدي، والأحكام الصغرى والوسطى والكبرى، وكتاب العاقة ونظمه ونثره، وحدثني الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح، عنه.

ومن شيوخنا عبد الصمد بن محمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني، سمعت عليه صحيح مسلم حدثني به عن الفراوي عن عبد الغفار الجلودي، عن إبراهيم المروزي عن مسلم، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا يونس بن يحيى أبي الحسن العباسي الهاشمي، نزل مكة سمعت عليه كتباً كثيرة في الحديث والرقائق، منها كتاب صحيح البخاري.

ومن شيوخنا المكيين أبو شجاع زاهد بن رستم الأصفهاني إمام المقام بالحرم، سمعت عليه كتاب الترمذي لأبي عيسى، حدثني به عن الكرخي عن الخزاعي المحبوبي عن الترمذي، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا البرهان نصر بن أبي الفتوح بن عمر الحصري إمام مقام الحنابلة بالحرم الشريف، سمعت عليه كتباً كثيرة منها السنن لأبي داود السجستاني، حدثني بها، عن أبي جعفر بن عليّ بن السمناني، عن أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي البصري، عن أبي علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، عن أبي داود، وأجاز لي إجازة عامة. وحدثني بكتب ابن ثابت الخطيب عن أبي جعفر السمناني.

ومن شيوخنا سالم بن رزق الله الإفريقي، سمعت عليه كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري، حدثني به عنه وبجميع مصنفاته وتآليفه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا محمد أبو الوليد بن أحمد بن محمد بن سبيل، قرأت عليه كثيراً من تآليفه، وناولني كتاب «نهاية المجتهد وكفاية المقتصد» والأحكام الشريفة من تأليفه.

ومن شيوخنا أبو عبد الله بن العزي الفاخري، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو سعيد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور الصفا، حدثني بكتب الواحدي كتابة عبد الجبار محمد بن أحمد الحواري عنه.

ومن شيوخنا أبو الوابل بن العربي، سمعت عليه سراج المهتدين للقاضي ابن العربي ابن عمه، حدثني به عنه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو الثناء محمود بن المظفر اللبان، حدثني بكتب ابن خميس عنه.

ومنهم: محمد بن محمد بن محمد البكري، سمعت عليه رسالة القشيري، وحدثني بها عن أبي الأسعد عبد الرحمٰن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، عن جده عبد الكريم، المؤلف، وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: ضياء الدين عبد الوهاب بن علي بن علي بن سكينة شيخ الشيوخ ببغداد، أجازني إجازة عامة، وأخذ عني وأخذت عنه، وسمعت عليه بمدينة باب السلام بحضور ابنه عبد الرزاق.

ومنهم: أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، حدثني بتآليف البيهقي وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر السلفي الأصبهاني، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن عمرو بن شريح الرعيني المقري، أجازني وكتب إليّ أن أروي عنه كتب عبد الرحمٰن السلمي، وحدثني عن محمد نصار البيهقي عنه.

ومنهم: جابر بن أيوب الحضرمي، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقري.

وممن أجازني إجازة عامة محمد بن إسماعيل بن محمد القزويني، والحافظ الكبير ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق.

ومنهم: أبو القاسم خلف بن بشكوال.

ومنهم: القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الشافعي.

ومنهم: يوسف بن الحسن بن أبي النقاب بن الحسين وأخوه أبو العباس أيضاً، وأجازنا أبو القاسم ذاكر بن كامل بن غالب.

ومنهم: محمد بن يوسف بن علي الغزنوي الخفّاف.

ومنهم: أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسن بن عمر بن أحمد القرشي المياستي.

ومنهم: أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي الحافظ، كتب إليّ بالرواية عنه بجميع تآليفه ونظمه ونثره وسمى لنا من كتبه «صفوة الصفوة» و«مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن». وغير ذلك.

ومنهم: أبو بكر بن أبي الفتح الشيخاني.

ومنهم: المبارك بن علي بن الحسين الطباخ.

ومنهم: عبد الرحمٰن ابن الأستاذ، المعروف بابن علوان.

ومنهم: عبد الجليل الزنجاني.

ومنهم: أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن شداد الموصلي.

ومنهم: أحمد بن أبي منصور.

ومنهم: محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهب بن جامع بن عبدون البغدادي الصوفي يعرف بابن الثناء.

ومنهم: محمد بن أبي بكر الطوسي.

ومنهم: المهذب بن علي بن هبة الله الطيب الضرير.

ومنهم: ركن الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب، وأخوه شمس الدين أبو عبد الله.

ومنهم: القرماني ببغداد.

ومنهم: ثابت بن قرة الحاوي، قرأت عليه من كتبه وتآليفه، ووقفها بروايتها بمسجد العمادين الجلادين بالموصل.

ومنهم: عبد العزيز بن الأخضر.

ومنهم: أبو عمر عثمان بن أبي يعلى بن أبي عمر الأبهري الشافعي من أولاد البراء بن عازب.

ومنهم: سعيد بن محمد بن أبي المعالي.

ومنهم: عبد الحميد بن محمد بن علي بن أبي المرشد القزويني.

ومنهم: أبو النجيب القزويني.

ومنهم: محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الكريم الفاسي، قرأت عليه جميع مصنفاته.

ومنهم: أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسين الرازي.

ومنهم: أحمد بن منصور الجوزي.

ومنهم: أبو محمد بن إسحاق بن يوسف بن علي.

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحجري.

ومنهم: أبو الصبر أيوب بن أحمد المقري.

ومنهم: أبو بكر محمد بن عبيد السكسكي.

ومنهم: ابن مالك، حدثني بمقامات الحريري عن مصنفها.

ومنهم: عبد الودود بن سمحون قاضي النبك.

ومنهم: عبد المنعم بن القرشي الخزرجي.

ومنهم: علي بن عبد الواحد بن جامع.

ومنهم: أبو جعفر بن يحيى الورعي.

ومنهم: ابن هذيل.

ومنهم: أبو زيد السهيلي، حدثني بالروض الأنف في شرح السيرة والمعارف والأعلام وجميع تآليفه.

ومنهم: أبو عبيد الله بن الفخار المالقي المحدث.

ومنهم: أبو الحسن بن الصائغ الأنصاري.

ومنهم: عبد الجليل مؤلف المشكل في الحديث وشعب الإيمان.

ومنهم: أبو عبد الله بن المجاهد.

ومنهم: أبو عمران موسى بن عمران المزيلي.

ومنهم: الحاج محمد بن علي ابن أخت أبي الربيع المقومي.

ومنهم: عليّ بن النضر. ولولا خوف الملال وضيق الوقت لذكرنا جميع من سمعنا عليه ولقيناه.

وها أنا أذكر من تآليفي ما تيسّر فإنها كثيرة، وأصغرها جرماً كراسة واحدة، وأكبرها ما يزيد على مائة مجلد وما بينهما.

فمن ذلك كتاب المصباح في الجمع بين الصحاح في الحديث. اختصار مسلم. اختصار البخاري. اختصار الترمذي، اختصار المحلى. الاحتفال فيما كان عليه رسول الله ﷺ من سني الأحوال.

وأما الحقائق في طريق الله تعالى التي هي نتائج الأعمال، فمن ذلك وهو السابع كتاب من تصانيفنا «الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل» أفرغ في أربعة وستين مجلداً إلى قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَنٰهُ لَآ أَبۡرَحُ﴾ [الكهف: ٦٠]. الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة. مفتاح السعادة في معرفة الدخول إلى طريق الإرادة. المثلثات الواردة في القرآن العظيم. الأجوبة عن المسائل المنصورة. متابعة القطب. مناهج الارتقا إلى افتضاض أبكار النقا بجنان اللقا، يحوي ثلاثة آلاف مقام في طريق الله تعالى على ثلاثمائة باب، كل باب عشرة مقامات، كنه ما لا بد للمريد منه. المحكم في المحكم وأذان رسول الله ﷺ. الخلاف في آداب الملإ الأعلى. كشف الغين: سرّ أسماء الله الحسنى. شفاء العليل في إيضاح السبيل. عقلة المستوفز جلاء القلوب. التحقيق في الكشف عن سرّ الصديق. الإعلام بإشارات أهل الأوهام والإفهام في شرحه. السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج. المنتخب في مآثر العرب. نتائج الأفكار وحدائق الأزهار. الميزان في حقيقة الإنسان. المحجة البيضاء. كنز الأبرار فيما روي عن النبي ﷺ من الأدعية والأذكار. مكافأة الأنوار فيما روي عن النبي ﷺ عن الله تعالى من الأخبار. الأربعين المتقابلة الأحاديث الأربعين في الطول. العين. التدبيرات الإلٰهية في إصلاح المحاكمة الإنسانية تعشق النفس بالجسم. إنزال الغيوب على سائر القلوب. أسرار قلوب العارفين. مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية. الخلاء. المنهج السديد في شرح أنس المنقطعين. الموعظة الحسنة. البغية. الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به طريق الآخرة من إنسان وحيوان ونبات ومعدن. المبادي والغايات فيما في حروف المعجم من الآيات. مواقع النجوم. الإنزالات. الموجود. حلية الأبدال. أنوار الفجر. الفتوحات المكية عشرون مجلداً. تاج التراجم. الفحوص. الرصوص. الشواهد. القطب والإمامين. روح القدس. التنزلات الموصلية. إشارات القرآن في العالم والإنسان. القسم الإلٰهي. الأقسام الإلٰهية. الجمال والجلال. المقنع في إيضاح السهل الممتنع. شروط أهل الطريق. الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار. عنقاء مغرب. عقائد أهل علم الكلام. الإيجاد والكون. الرسائل والإشارات في الأسرار. الإلٰهيات والكتابات. الحجة. إنشاء الجداول والدوائر. الأعلاق في مكارم الأخلاق. روضة العاشقين. الميم والواو والنون. المعارف الإلٰهية وهو الديوان. المبشرات. الرحلة. العوالي في أسانيد الأحاديث. الأحدية. الهوية الرحمية. الجامع وهو كتاب الجلالة العظيمة. المجد. الديمومة. الجود. القيومية. الإحسان. الفلك والسعادة. الحكمة. العزة. الأزل.

النون. الإبداع. الخلق والأمر. القدم. الصادر والوارد. الملك. الوارد والواردات. القدس. الحياة. العلم. المشتبه. الفهوانية. الرقم. العين. المياه. ركن المدائن. المبادي. الزلفة. الرقيم. الدعاء. الأجابة. الرمز. الرتبة. البقاء. القدرة. الحكم والشرائع. الغيب. مفاتيح الغيب الخزائن العلمية. الرياح اللواقح. الريح العقيم. الكنز. التدبير والتفصيل. اللذة والألم. الحق. الحمد. المؤمن والمسلم والمحسن. القدر. الشأن. الوجود. التحويل. الوحي. الإنسان. التركيب. المعراج. الروائح والأنفاس. الملل. الأرواح. النحل، البرزخ. الحسن. القسطاس. القلم. اللوح. التحفة والعرافة. المعرفة. الأعراف. زيادة كبد النون. الإسفار في نتائج الأسفار. الأحجار المتفجرة والمتشققة والهابطة. الجبال. الطبق. النمل. العرش. مراتب الكشف. الأبيض. الكرسي. الفلك المشحون. الهباء. الجسم. الزمان. المكان. الحركة. العالم. الآباء العلويات والأمهات السفليات. النجم والشجر. سجود القلب. الرسالة والنبوة والمعرفة والولاية. الغايات التسعة عشر. الجنة. النار. الحضرة. المناظرة بين الإنسان الكامل. التفضيل بين الملك والبشر. المبشرات الكبرى. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار. الأولين. العبادة. ما يعول عليه وهو كتاب النصائح. إيجاز اللسان في الترجمة عن القرآن. المعرفة. شرح الأسماء. الذخائر والأعلاق. الوسائل. النكاح المطلق. فضوص الحكم. نائج الأذكار. اختصار السيرة النبوية المحمدية. اللوامح. اللوائح. الاسم والرسم. الفصل والوصل. مراتب العلوم. الوهب. انتقاش النور. النحل. الوجد. الطالب والمجذوب. الأدب. الحال. الشريعة والحقيقة. التحكم والشطح. الحق. المخلوق. الإفراد وذوو الأعداد. الملامية. الخوف والرجاء. الفيض والبسط. الهبة والأنس. اللسانين. التواصي الليلية. الفناء والبقاء. الغيبة والحضور. الصحو والسكر. التجليات. القرب والبعد. المحو والإثبات. الخواطر. الشاهد والمشاهد. الكشف. الولد. التجريد والتفريد. العزة والاجتهاد. اللطائف والعوارف. الرياضة والتجلي. المحق والسحق. التودد والهجوم. التلوين والتمكين. اللمة والهمة. العزة والغيرة. الفتوح والمطالعات. الوقائع. الحرف المعني. التدني والتدلي. الرجعة. الستر والخلوة. النون. الختم والطبع. انتهت، ولعزتها ذكرتها هنا فإنها من أعظم كراماته رضي الله عنه، فلم أخرج بذكرها عن الصدد الذي ألف الكتاب لأجله، وقد رأيت كتاباً مستقلاً في ذكر مؤلفاته وفيه كثير منها لم يذكر هنا في هذه الإجازة، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ٦٣٨.

الشجرة النعمانية

بشرح

صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد

ابن عربي الحاتمي

المتوفى ٦٣٨ هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يا فتّاح يا عليم

الحمد للّه الذي بيّن التبيان لأهل العرفان في كل زمان وأوان بما أودع في الفرقان، ومن أسرار حركات الاقتران، الدالة على حوادث الأقاليم والبلدان، بحكم ما قدّره الباري سبحانه وأراده من غير زيادة ولا نقصان، أحمده هو المحسان وأشكره وهو البديع المنّان، وأشهد أن لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له، الملك الديّان، وأشهد أن سيد الخلائق محمد المصطفى من خاص خواص خلاصة نسل عدنان، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذي جاء بمدحهم القرآن في قوله تعالى:

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٩].

صلاةً وسلاماً يدومان بدوام الأكوان إلى يوم الفوز والغفران.

أما بعد...

فإن الحرف الأول في الكاف والنون قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وقد أراد بما كان في غامض علمه من إيجاد الكائنات وخفض الأرضين ورفع السموات واستخلاف خليفة جامعاً لمفترقات المكنونات، سماه آدم وعلّمه أسماء ما تأخر وما تقادم في جملة ما أعلمه به ما تختص به ذريته جيلاً بعد جيل إلى حصول نفخة إسرافيل، وأمره إعلام خواص بنيه بذلك النبأ العظيم فتلقى عنه ولده شيت ثم أنوش ثم الأخص فالأخص إلى إدريس، وهلم جراً إلى أن تمت الأدوار ومرت الأذكار وانتهى الأمر إلى دور السيادة المحمدية، فانحصر فيما آتاه الله الأول والآخر والباطن والظاهر. قال الله تعالى:

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وشيء أنكر النكران.. فالكتاب المبين حاو للعلوم الحقيّة والعلوم الخلقيّة ما شذّ عنه شيء، فهو الأمر المعجز لكون أمه السبع المثاني حوت علوم المحسوسات

١٦٤٢٦٤١

والمعاني إذا تأملها الحاذق النحرير والعلامة الخبير وجدها الأنموذج الجامع والنور الساطع اللامع، في أول آية منها جميع المعاني ما اشتملت عليه من الأسرار، بل في نقطة الباء منها جميع حقائق الأدوار فهي كالأس للبناء، وفيها بلوغ المنى لكونها نقطة الدائرة الوجودية ولمعة الأنوار اللاهوتية، والدائرة بطرفيها قد دارت عليها ظاهرة بمراتبها كما رتبها العزيز الحكيم من عرش وفرش ومحو ونقش وتخطيط أقاليم وتقديم أقانيم، فمن ذلك ما أشار إليه الكتاب العزيز بأنواع البيان وضروب التبيان في الإخبارات التي ظهرت في الآيات الشريفة والأحاديث المنيعة، وكتب الشرع مشحونة بذلك وصدور عظماء الصحابة مملوءة من علوم أخبار الممالك، ولم تزل الكمل من الصحابة والتابعين يعظمون قدر هذا العلم ويعلون منارته ويجلون مقداره كالإمام علي رضي الله عنه وكأبي هريرة وحذيفة ابن اليمان وأحزابهم، مما سمع ودعي حتى انتهى الأمر إلى قطب دائرة المحققين وارث علوم الأنبياء والمرسلين الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي محمد محيي الدين محمد العربي الحاتمي الطائي الأندلسي رضي الله عنه ونفعنا به، فنظر في العلوم الحرفية والأسرار الجفرية نظر منصف غير متعسف، وأفرد لكل قطر من الأقطار ما يليق به من الأخبار التي عليها المدار في سائر الأمصار بكل الأعصار، فمن أجل ما استخرجه الإمام المذكور من جفر الجفور دائرة شريفة سماها **الشجرة النعمانية في الدولة العثمانية** تكلم فيها برموز جلية وأسرار خفية عليّة، خصص بها مصراً دون غيرها من الأمصار ونبّه على ما يتصل بها وما ينفصل عنها من أخبار الديار وما يرد عليها من المسرات والمضار، جعل الابتداء فيها من قران النحسين ووبال الاثنين في المغربين، والانتهاء إلى مقابلة المريخ كيوان في آخر درجة من الميزان ولم يسمح الزمان بمثل تلك الدائرة لكونها لكل الدوائر قاهرة بأخبار القاهرة. . . ولما أطلعني الله على ما فيها من الرموز والإشارات أحببت أن أشرحها شرحاً كافياً يحل مشكاتها ويوضح مراداتها. . فاستخرت الله سبحانه وتعالى وما خاب من استخاره على ما جرت به عادة كل مستمد من الإمداد الرباني والفيض الصمداني، واستعنت به تعالى وتوسلت إليه بأشرف خليقته وخير بريته ﷺ في إتمام ذلك إنه ولي التوفيق، واقتفيت أثر السلف الصالح في تكثير السواد بالمحبة التي هي غاية المراد وبالتشبه وهو من الأسباب الموصلة إلى طرق الرشاد، ووضعت أساس هذا الشرح ورتبته على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة والله تعالى ولي التوفيق المرجو المأمول من لطفه أن يسهل إيراده ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به ممليه وسامعه. كما يسر تحصيل جوامعه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

129661

المقدمة

اعلم أيها الأخ الصفي والخل الوفي أن شرف كل علم بشرف موضوعه وموضوع هذا العلم الدلالة على قدرة الباري جلّ وعلا لكونه من جملة العلوم السرية الباحثة عن أسرار القدر بما يشير إليه من الودائع المخزونة في كنوز الحروف التي عليها المدار، فمن وفقه الله تعالى لفهم تلك الرموز الحرفية عرف جميع الأصول الجفرية المرتبطة بدلالات الاقترانات الفلكية المسلطة على أقطار الدائرة الكونية وحصول تأثيراتها في أركان الدائرة بالحوادث والوقائع المؤثرة في أحايينها وأناتها كائنة ما كانت ومن لا فلا.. ولما كان الأمر على ما بيّنّاه نقول وبالله التوفيق إن الأمر في نفسه مبني على الكواكب السبعة، وعلى البروج الاثني عشر، وعلى المنازل الثمانية والعشرين منزلة، والجميع على الأس الأعظم الذي هو نقطة الدائرة المحرك للكل بتقدير العزيز العليم المريد القادر الحكيم هذا التفصيل الصحيح الحقاني فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم وبالله التوفيق.

الفصل الأول

في معرفة المفاتيح الغيبية المشار إليها بقوله تعالى:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

اعلم أن غالب الناس قد اشتبه عليه معرفة تلك المفاتيح وحصل التفاوت في فهم معاني هذه الآية الشريفة، فمن قائل لا مطمع لبشر في فهم علم تلك المفاتيح الغيبية، ومن قائل بإمكان الفهم من حيث النسبة الإضافية الممنون بها على حكم تخصيص الإرادة الأزلية لخلاصة خواص العبيد، فالقائل بعدم المعرفة ظاهري على مذهبه جمهور العلماء واستنادهم إلى الاسم الهو من حيث استناده إلى المسمى عزت عزته، فهم يقولون لا يعلم هذه المفاتيح إلاّ هو سبحانه وتعالى فلا قدم لمخلوق فيه أصلاً، والقائل بإمكان حصول العلم باطني على مذهب خواص أهل التحقيق من الورثة واستنادهم إلى التخلق بالأخلاق الإلهية بعد التصفية الكاملة والتخلص من عوائق البشرية بالرياضات القلبية والتقرب بالنوافل المشار إليها بحديث لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت وكنت إلى آخره[(١)].

فمن كان الحق سمعه وبصره لا يحجبه شيء عن خفيات الأسرار لأنه يصير مجلى جملة الأسماء الإلهية ومن جملة الأسماء الاسم الهو لا الصورة العبدية فافهم هذا اعتقاد الفرقتين.. الكل مصيب في معتقده.

---

(١) يشير إلى الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم (٦٥٠٢) ونصه: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: مَن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**». وروى هذا الحديث غير الإمام البخاري أيضاً.

الفصل الثاني
في معرفة تلك المفاتيح وتمييزها

اعلم أيها الأخ أن المفاتيح الغيبية تنحصر في خمس مفاتيح لا غير، منها مفتاحين عظيمين شريفين هما أعظم المفاتيح.. المفتاح الأول منها هو الوحي بواسطة الملك للأنبياء والمرسلين وقد سدّ بابه مكلفاً بخاتم المرسلين محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله: «أنا لبنة التمام»[1].

والمفتاح الثاني الإلهام الروحي وهو لكل الورثة إذا بلغوا مقام التمكين الكلي وشروطه معلومة لهم، وما عدا هذين المفتاحين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول

يؤخذ من الأحاديث النبوية والإخبارات المصطفوية التي أخبر بها المصطفى ﷺ في عقود حديثه، وأسرَّ بها إلى خواص أصحابه رضي الله عنهم كسيدنا الإمام علي رضي الله عنه وأضرابه من الصحابة، وهي كثيرة جداً قد دوّنوها دواوين وأتقنوها غاية الإتقان، وقد استنبطوا منها جملة من العلوم السرية بحسب الوقت والقابل، فأول من شرح مضمونها وأظهر مكنونها سيدنا علي رضي الله عنه وسماها بالجفر الجامع وجعل الابتداء من وفاة الرسول ﷺ لكون باب الاختلاف كان مقفولاً في أيام حياته، وفتح حين قالت فيه الأنصار منا أمير ومنكم أمير، وقفله الاتفاق على بيعة الصديق رضي الله عنه وفي النفوس ما فيها حتى أفضى الأمر إلى قتل الخلفاء الثلاثة وكان ما كان وقصتهم مشهورة، ثم هذا العلم ينفرد به الواحد من بعد الإمام علي رضي الله عنه إلى يومنا هذا وإلى آخر وقت، وهذا القسم الأول من الثلاثة أقسام التي ذكرناها.

القسم الثاني

هو معرفة حركات الأفلاك وأحكام الكواكب السبعة المسخرة المرتبة في مراتبها، ومعرفة طلوعها في شروقها وغروبها واقترانها واجتماعها وافتراقها ومواصلتها

---

(١) رواه البخاري ومسلم بلفظ: عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»** (صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين حديث رقم (٣٥٣٤)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، حديث رقم ٢٣ ـ (٢٢٨٧) ورواه غيرهما.

وسيرها في مراتبها، وما يحدثه الحق سبحانه وتعالى في العالم بموجب حركات سيرها كالرياح والأمطار والرعود والبروق والزلازل والفتن والرخاء والغلاء، وحدوث الأمراض على اختلاف أنواعها وتأثيرها على الأمزجة والطبائع في الفصول الأربعة وتأثيرات العناصر، وبذلك يعرف ما أودع الباري سبحانه فيها من الأسرار الإلهية إذ لا تأثير لشيء في شيء إلاّ بإذنه وإرادته ومشيئته، خلافاً لمن زعم أنها فعالة بالاستقلال.. حاشا وكلا فهو سبحانه بلا اختلاف إن شاء الله، وإن شاء كما خلق الإحراق في النار وأبطله في قصة إبراهيم عليه السَّلام(١).

وخلق الإغراق في الماء وأبطله في قصة موسى عليه السَّلام(٢) وخلق القطع وأبطله في قصة سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام(٣)، فهو سبحانه له النقض والإبرام، ومن هنا كذب المنجمون من الفلاسفة والحكماء، فمن عرف الطوالع والغوارب وأحكام الحركات الفلكية وأتقنها الإتقان الشافي بمعرفة البرج والدقائق والثواني والثوالث والروابع والخوامس وجميع الأصول المتفق عليها في الاصطلاح عرف بعض ما يليق بمعرفة الأفلاك..

القسم الثالث

من المفاتيح يؤخذ من طريق الحروف ومعرفة طبائعها وحارها وباردها ورطبها ويابسها ومخضها وتركيبها وأعدادها وإسقاطاتها ومزجها وتعديلها واستنطاقها بعد تنزيلها في الجداول الحرفية والأوفاق العددية ولقطها وإخراج أزمنتها.

ويسمى هذا القسم بالزايرجة وتلك الحروف المذكورة هي حروف أي جاد التسعة والعشرين بحرف لام ألف وهي مقسمة على الطبائع الأربعة كل قسم سبعة حروف.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨، ٦٩].

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٣].

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٧].

فالنار لها: «أ، هـ، ط، م، ف، ش، ذا».

والهوى له: «ج، ز، ك، س، ق، ث، ظ».

والماء له: «د، ح، ل، ع، ر، خ، غ».

والتراب له: «ب، و، ي، ن، ص، ث، ض».

واللام ألف: فيه جميع الضدين **الماء والنار** كما هو مشهور عند كل عارف وهذه الحروف المذكورة موزعة في ملء الدائرة الخلقية لكل حرف خدمة هي وظيفته، والأمر في نفسه على هذا المنوال كقوله تعالى:

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾ [الملك: ٣].

واعلم أن الأسماء والمسميات كلها تحت حيطة هذه الحروف، فالألف القائم هو كأول أفراد النوع الإنساني وبقية الحروف كأولاده، والنقطة أصل الجميع والكل في قبضة قهر القدرة الأزلية لا تتحرك ذرة في الكون إلاَّ بإذن الحق تعالى ولا تسكن حركة إلاَّ بإذنه سبحانه، فجميع ما في الكون من الحوادث إنما هو آثار الأسماء الإلهية ظهرت في صور المخلوقات على طبق مراد الحق سبحانه وتعالى، ونحن نسميها حوادث ووقائع تتنوع لكثرة مظاهرها واختلاف مقاصد مظاهرها هذا هو المتفق عليه فافهم، والله أعلم، ولما كان الأمر على ما قررناه نقول: إن هذه الأقسام الثلاثة التي هي علم الجفر؛ علم الغيب وعلم الفلك وعلم الحرف معلومة بأصول وضوابط لا يقال إنها علم غيب أبداً إذ علم الغيب شرطه أن يكون مجرداً عن المراد والبسائط الكونية وهذه العلوم لولا هي ما علمت العلوم.

وأما المعلمين السابقين فمن طريق الوهب والفيض الأقدس، أما الإعلام بالوحي فغير مكتسب بل الله يختص برحمته من يشاء، والعلم بالإلهام لا مادة له إلاّ الوهب الإلهي فاعلم ذلك وتدبره ترشد إلى سواء السبيل.. وحيث انتهى بنا البحث إلى هنا ونبَّهنا على الأقسام الخمسة وميَّزنا بينها وبين بعضها، فلنرجع إلى ما نحن بصدده من شرح دائرة الشيخ الأكبر رضي الله عنه، التي هي الشجرة النعمانية المخصوصة بالدولة العثمانية والتنبيه على رموزها وإشاراتها وألغازها وسبب عقدها على دائرة كرة مصر دون غيرها من المدن والأمصار فنقول وبالله التوفيق..

أما سبب تخصيص مصر بهذه الدائرة فلكون مصر محل كرسي الوقت المشار إليه دون غيرها والأمصار المتعلقة بها تابعة لها، فلا يصح التخصيص إلاّ لها، وأيضاً لكونها نقطة حسن على خد ملاحة في مطلق أقاليم البسيطة بما اختصت به من الأوصاف الكاملة، هذا هو سبب التخصيص.

وأما الرموز والإشارات والألغاز فهي بحكم اصطلاح القوم إذ لا سبيل إلى التصريح مطلقاً، لأن التصريح بالعلوم السرية من سوء الأدب، وذلك غير لائق بمقامات القوم، فإنهم لو صرحوا بالعلوم السرية لوقع الخلل في نظام ترتيب الحكمة الكونية وفي ذلك ما فيه من التعطيل وغيره.. بل نِعم ما فعلوا من إسبال الستور على وجوه البدور في الخدور، وقد أبقوا حل ما هناك ومعرفة حل تلك الرموز الألغاز على حكم اصطلاحهم حتى تؤخذ بالتلقين من المرشد مشافهة فافهم.

قال الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به: دائرة كرة مصر ومقدار أفقها لا تزال بادعة مع حكامها في مخادعة، ولأثقال الأمور موادعة حتى يقابل المريخ كيوان في آخر درجة الميزان تخرج من يد آل عثمان.. اعلم أيدك الله بروح منه أن الأصل في ذلك ما أشار إليه الشيخ رضي الله عنه قبل عقد هذه الدائرة بقوله: إذا انقضت قاف الجيم قامت ميم سليم[١] في القران الكبير وتقابل الجيشان[٢] بخط النهروان واصطدم من عنصر الهوى حرفان، فالرابع غالب والخامس مغلوب في دليل على أنه سيكون حركة كبرى بين ملكين عظيمين بأرض النهروان بالقرب من شط الفرات، ويكون السين صاحب التمكين لأن السين رابع حرف من عنصر الهوى، ويكون القاف مقلوب بل تقضي دولة بإشارة إذا انقضت قاف الجيم. ثم قال ويثبت الكاف للسين في الميم في القرآن إلى القرآن وحدة دولته في عدد حروف الاسم مقدد سليم ١٤٠ قسم.

وأما المغلوب فهو القاف قاف الجيم سيظهر ويملك مصر وما يليها من الأقطار وهو جركسي الأصل، تفسير اسمه ماء الدم[٣] وزمان انقضاء دولته كظ ٩٢٠، وفيه القران المشار إليه والقائم عليه من حروف عنصره حرف سين يعضده ألف وخاء، وفي تغليب هذا السين على مصر يكون الاستيلاء على كامل جزيرة العرب إلى تخوم المغرب مع أطراف اليمن. والأقطار الحجازية ودولته أصلح الدول في القرن العاشر حتى تتم القرون ببقية العدد في إشارة المريخ تكون إشارة الخروج المبينة في دائرة الشجرة عند قوله حتى يقابل المريخ كيوان في آخر درجة الميزان تخرج من يد آل عثمان.

---

(١) يقصد الشيخ رحمه الله تعالى سليم الأول سلطان الدولة العثمانية الذي عاش بين الأعوام من ١٥١٢ ـ ١٥٢١م.

(٢) الجيشان: هما جيش السلطان سليم وجيش الشاه الفارسي إسماعيل.

(٣) يشير الشيخ إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري الذي هزمه السلطان سليم في عام ١٥٠١م في معركة قتل فيها وتولى بعده ابنه طوقان باي حكم مصر. وقانصوه بالشركسية: أي ماء الدم. (تاريخ العالم الإسلامي لعمر رضا كحالة، دمشق، المكتبة الهاشمية ١٩٥٨).

اعلم وفقك الله لفهم المعاني، ومشاهدة المباني، أن قوله تخرج من الزمان وذلك يكون بظهور صاحب الزمان[١] الذي تنقلب له الأعيان، وفي أرض خراسان ينتشر خبر ما بين كرمان إلى أرض نعمان[٢] ذلك هو الذي تكون له البيعة عند الغلبة وتأتي رايات صاحبه من وراء النهر هو الذي يشارك سين الختم العثماني ظاهراً وينفرد بالحكم والتصريف باطناً.

هذا معنى الخروج المشار إليه في القران الذي يكون في آخر درجة الميزان وتبقى مدة الختم وبنيه مدة آخر ألف ونون ويتصور اسم قائم لأن في عدد هذا الاسم ظهور راعي الغنم في فلاة من أرض عند باب الحديد من أرض المشرق. عدة جيشه كاسمه ينتهي أمره إلى جواز أرض قرمان[٣] ويرهقه خوف صاحب الباب فيتفرق جيشه من حوله ويهلك في فرشه فافهم. والله الموفق لا رب غيره.

وقوله لا تزال بادعة يعني يحدث فيها الحوادث ومع حكامها مخادعة يعني بالخدعة، ولا تقال الأمور موادعة يعني لا تدوم شدتها، لأن الموادعة مفارقة حيث يقابل المريخ كيوان بشرط أن يفترقا في آخر درجة من الميزان، لأنهما طالما اقترنا في آخر درجة من الميزان وما وقع ذلك الخروج.

الفصل الثالث

في بيان رموز هذه الشجرة وما في ضمن الدائرة المذكورة من التنبيه على الحوادث الكونية.

اعلم أيدك الله بالتأييد الاعتصامي أن الشيخ رضي الله عنه لما عقد الدائرة على نقطة بيكارها قال: إذا دخل السين في الشين يظهر قبر محيي الدين، وذلك أنه نظر

---

(١) يقصد بصاحب الزمان الإمام المهدي رضي الله عنه الذي يظهر آخر الزمان، وردت به أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**لو لم يبقَ من الدهر إلا ليوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤه عدلاً كما ملئت جوراً**» (مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم (٣٧٦٤٨) ومنها قوله ﷺ: «**لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل من أهل بيتي يوطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً**» (المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (٨٣٦٤).

(٢) كرمان ونعمان هما منطقتان من أراضي خراسان سابقاً، أراضي إيران الجمهورية الإسلامية حالياً، والله أعلم.

(٣) منطقة واقعة في جنوب تركيا.

بعين بصيرته من طريق الكشف والشهود أن قبره يكون بمحروسة دمشق الشام، وأنه يخفى ويندرس رسمه برهة من الزمان حتى يظهر صاحب القران والزمان من نسل آل عثمان أول اسمه حرف سين بالتعيين بالغ في استخراج الاسم حتى تصور له الحرف اسم سليم فيكون إظهار قبره بعد الدثور على يده عند ذلك خاطبه في الدائرة الروحية بقوله يا(سين) أنت صاحب التمكين لك الظهور وأنت المؤيد المنصور. . ثم قال إذا دخل السين في الشين يظهر قبر محيي الدين، هذا في وقته ذكر ما يكون في وقت ظهوره وفي مدة ملكه وبنيه من بعده، وفرق ذلك في أركان الشجرة داخلاً وخارجاً فمن ذلك ما ذكره ومنه ما ذكره ملغوزاً إلى غير ذلك من أنواع البيان. .

قال رضي الله عنه: **[الملوك العثمانية من السين الفاتح إلى الألف الخاتم عدد يد]** فإذا دخل الرابع عشر وإن نوزع في الكاف وخرجت عنه الأطراف فإن جلوسه صحيح وقدره رجيح ووجهه صبيح يخرج من سجن النساء وهن يتلين عسى في مدته هياج وتوازن عجاج إلى ظهور الختم الذي يوجب الكتم، والملوك العثمانية بين سين الفتح وألف الختم هم هذه الحروف بلا خلاف يعرف اسم كل ملك منهم بحرفين من أول الاسم إلى آخره.

س س مـ مـ ا مـ ع مـ مـ ا مـ س ا

مـ ن مـ د د ي ن ي د مـ د مـ ن

14 ملك

وهم هذه الحروف التي تقدم ذكرها فانظر في هذه الحروف ترى عجباً يرجع الأمر إلى البطون والله أعلم بما كان ويكون سبحانه لا إله إلا هو ولا رب غيره إشارات أسماء الصدور وهم سبعة عند ظهور الختم فتدبر ترشد وهم هؤلاء قواعد سريره وصعدة كرسيه فتأمل وتدبر وهم سبعة:

م م ح ي م ق ا م ص

د د ن ن ق د ه د د ح

حم حم م م ع حم حسم

ذكر ما بين الفاتح والخاتم من الحركات الكليات دون الجزئيات، إذ لا سبيل إلى حصر الحوادث الجزئيات بوجه أبداً لكثرة وقوعها في الأقطار، فذكر الكليات هنا وإن لم تكن متوالية، فالتقديم والتأخير من جملة أنواع الرمز المصطلح عليه، وخلط الكلام للإيهام وذلك سنة القدماء حتى لا يتخلص السر إلى الجهر، هذا هو السبب، فأول من شبه عليه الشيخ رضي الله عنه قال: خيانة حرف خاء وحرف غين بانجراف بواطنهم على قاف الجيم لأمر عظيم وخطب جسيم بإشارة حال الحال، إذا ظهرت حمرة عند الفرات فاضحة فهي إشارات واضحة في عام ع والعين عزل القاف عن كرسيه في كظ.

فافهم، ثم قال في ركن الدائرة: فمصر يخاف على قافها في كظ أولاً، وفي طمغ آخراً والآخر قسم لأن القاف الإحاطية جنة الكنانة من كل سوء حتى يقضى، وللقاف ظهور بالكنانة في واو نون الغين إذا تقارب الزمان إلى نزع، وقوله: حركة أخرى ترمي مصر بقوس الجور في زيغ وبقوس الزهرة بعد ذلك، إذ قد كان تقدم سر العدد في المدد بإشارة إذا قابلت الزهرة وجه زحل حال الحال بالكنانة وغيرها فقد تقع المقابلة مرات عديدة منها حركة قيام الجيم على الميم وعلى خاء وعلى عين وعلى ألف وحركته كبرى، أو على ميم ميم ميم في أحايين مختلفة كلها بمقتضى مقابلة الزهرة وجه زحل وما رمزه الشيخ ورتبه على حركات الاقترانات إلا لكمال الرمز وصيانة لمقام الكشف، وقوله: نزول أهل الزيغ في زيغ، يشير إلى فتنة عظيمة في حكم العدد في الإشارة الثانية وقوله: إذا قابل عطارد المشتري كثرت العوائد وقلّت الفوائد لجيم الجند والرعية. وقوله: إذا دخل كيوان بالميزان نفخ الشيطان وضعفت غلبة السلطان واستدار الزمان إلى س. وقوله: إذا شرعت الناس في المخاصمة بطلت المحاكمة برهة، ثم ينتظم الأمر إلى عام سين، يشير إلى عام سير الجند إلى المشرق فإن السين ليست لعدد هنا. وقوله: ظهور دال النون بعد الجيم بعد هياج عظيم يثور بها إلى عام سين، هذه للعدد والإشارة إلى رجفات ورجات تتوالى برهة على الجنود والضد هو النزاع والهياج معلوم، وقوله إذا ظهر النجم في آخر الدلو في حركات بها عزل وتولية وفي هاء النون نظيرها ينسحب حكمها للسين يا لطيف ألطف فيه إشارة إلى شدة الحركة وقوتها، وقوله: تقوم طائفة من بني عبد الله تقتل ملكها وينصر الله مراد الثاني دليل على ظهور مراد ومراد. إشارة إلى الفتك يملك أول اسمه ل وصرح بأخذ ثأره بقوله: وينصر الله مراد الثاني، وقوله: بغداد يخرجها بأكبر أ ع م خروج صغير فيه إشارة إلى خروجها عن حوزة يد إمام الوقت

بتغلب النيات عليها، وقوله: والخاء غير أخذ بغداد خ خ ولا الجيم ج، يشير إلى محاصرة بغ بحرف الخاء وحرف الجيم العددية ٣ وعدم أخذهم إياها، وقوله: م ع م ز قولاً وفعلاً هو إشارة إلى الحروف الثلاثة وعدم أخذهم دار الخلافة من أربعين إلى سبع وأربعين وفي حسم ملك الميم، وقوله: بغ لا يفتح بابها إلاَّ بعد مضي ز م في
٤٨ ٤٧ ٤٨
ح م الإشارة بعينها وإن اختلفت ألفاظها، وقوله: ويخاف على مجال الشمال من باب الأرض فخر وخرابها بالجيم العددية، يشير إلى ظهور خارجي بها لا يتم أمره وعلته الجيم العددية وقوله: مراد يطلب الثار أولاً قوله وله كرة أخرى هي حركة حم بعينها.

وقوله: رجة أهل الحرم من قوم أوغاد لا يتم لهم المراد بلا فساد، يشير إلى قيام [فرقة هناك ويهلكون بالواد، قوله: قيام أفراد مصر لنصرة أهل الحرم رحمة حتى يختلفون فيما بينهم برهة هي الإشارة بعينها والأوغاد لا نسب لهم وفعلهم قبيح، وقوله: لليمن قاف القاف لا يفتح وترمي مصر بقوس الجور حتى يرده ميم وجيم بالتسليم لحرف الحاء والنون فافهم وقوله يخاف على بيرم الصدر في زم أو ح م.

وبعده ترتيب الميمات بمصر والباب م م م م م م م م كذا وقوله: تعديل الأدوار وظهور سعد ميم مراد هي في عام ١م يأخذ الثأر ويزيل العار عند قيامه تلك الإشارة إلى ما تقدم شأنه في حق مراد الثاني.

وقوله: خ ص إذا عمرت أسوان بالباء والعين في آخر الزمان حكمت النسوان في دولة آل عثمان براً وبحراً ويكون خوف وضجر بها وبالحبشة آل ع وبالمغرب اختلاف بين أهله يعم. وقوله: الميم القائم بالميم في بن عن إذن رحيم يثبت، ويل للسبع من السبع إشارة إلى قيام قائم بمصر عن إذن إبراهيم يثبت للحكم المقدر عليه فويل له من السبع الذي يفترسه. وقوله: حركة قزق مع الميم وحركة بدم مع الميم مع علامة حركة الميم مع جيم الكنانة في دن يشير إلى حركة تقع نواحي القزق مع الميم الصدر وبعدها نظيرها في حصن بدم ميم مع آخر فافهم. وقوله: يخاف على الجيم من عين يقوم بها في دن يشير إلى حركة تكون بين الجند وحرف عين في الدال والنون يعني في دار النزاع لأن الدال والنون بلسان الإشارة هكذا، وقوله في عين العقبة جموع بمصر وتحكم العبيد على الأحرار ثم تحكم الرعية شرار البرية، وقوله: في براري مصر رجفات يشير إلى رجفات الفتن مع قطان الجبال فافهم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، ممَّا يحدث من ذلك الأمر، وقوله: تثور الروم بدليل معلوم ترقبه تراه هـ.ف إشارة إلى قيام حركة

بالروم مع مـ ح والظفر للميم الذي تثبت بعده ترقبه تجده ميم الصدر فافهم، وقوله: تحصل صكة الختم ج س من بعد ميم وفي دس نظيرها يشير إلى جلوس رحيم الذي تفسيره ألف وميم بعد ميم ترقبه تجده بعد ميم يتقدمه من قبله وفي الدال والسين ج د س نظيرها فتدبره ترشد، وقوله: س ل ي م وعند الختم يفترس من الكتم الرجوع الأمر إلى البطون، يشير إلى الملك الخاتم لأن في جلوسه اختلافات كثيرة وأمور مهمة لا يجوز كشفها وعند فناء حاء الزمان ودالها على فاء مدلول الكرود ويقوم مع السبعة الأعلام والناس غفل، إشارة إلى ظهور ميم ختم الختم الأكبر وأصحابه السبعة الأعلام رجال سدته وأصحاب بيعته فتدبره ترشد، وقوله: ملك أحمد الملوك فيه إشارة إلى دولة العثمانيين إذا ملكت أرض العرب وقوله قاسم جنة الكنانة إشارة إلى عش حرف القاف ما دام في الكنانة هذه جنة لأهلها. وقوله: ويل لأهل أرض الكنانة في طولها والعرض من شجرة الحنظل إذا نبتت بها وهي م و هـ م. وقوله ح و د و ع و ر ز و ل و ح و ب هذه أحرف فروع شجرة الحنظل تنبه لها وخذ تفسيرها من أعدادها تعرف أشخاصها.

وقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم: ١ ـ ٦].

فيها إشارة إلى مدد الدولة العثمانية، تنقسم تلك الأعلام الأعداد على كراسي ملوكهم في أوقات مخصوصة لهم، قد رأينا الاتفاق الشافي في أعداد تلك الآية لأنها جامعة لأمورهم فتدبرها تعرف سرها وهذا تقسيمها:

ا ل م غ ل ب ت ا ل ر وْ م ف ي أ د ن ا ل ا ر ض و ه م م ن ب ع د غ ل ب هـ م س ي غ ل ب و ن ف ي ب ض ع س ن ي ن لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

فإذا أردت معرفة ذلك يعني تقسيم الآية فالأعداد في الأحرف الترابية لكنها تبدل بأقل أعدادها ولا يمكن التصريح بسرها فتدبره.

قوله: وفي قتل م د بالكنانة فتح باب الفتن ولا يقفل إلاّ إذا تمت عقود الأعداد وظهر سيد الأفراد مع أصحاب أمجاد فيه إشارة إلى قتل يتكرر مرات لأنه ذكر قوله: أسها الفتك بإبراهيم بعدم د فافهم الإشارة. وعقود الأعداد فيها أمور عظيمة يتكرر

وقوعها لكنه لم يصرح بها خشية من وقوع الفتنة فتدبر ذلك. وقوله: وسيقدم ميم بأمر عظيم من باب رحيم ترقبه بنقض وإبرام إذا ناقش أرباب الأقلام وذلك إذا ظهرت علامة النيرين في ميقات واحد يلطف الله بأهل الكنانة، يشير إلى قدوم ميم ضخم من باب الملك يناقش أرباب الأقلام بالنقض والإبرام عزل وتولية وإدخال وإخراج وحل وربط وذلك في عقد الوسط من الآية الشريفة: **يأتي إلى الكنانة وعلى يده فتح باب الخاء فتدبره.** وقوله قيام السين بفتح أرض العرب إلى قيام السين المعاهد بقونيه يشير إلى سين الفتح وسين الختم الذي يظهر ويبايع الميم ببلدة قونيه من أرض الروم. وقوله: إذا رجع الأمر إلى أولاد البطون هناك حادثة البلخي وقيامه من وراء النهر يقصد الباب ولا يدخله وعلته ضيق وقته، يشير إلى حادثة تكون في أوائل ظهور الميم الخاتم من أرض بلخ وراء النهر وهو السين المولود به وهو سفياني الأصل فاعلمه.. قوله: في إشارة البلاغ والأعلام رجال النجدة ليسوا من جنس واحد صدرهم الأعظم ميم سليم رومي الأصل وهو المنعوت في جفر الإمام بالدين وهو صاحب التمكين ضابط اسمه مرَّ ذكره، يشير إلى ذكره في عقود الآية الشريفة من أولها وآخرها تركب أحرف الضابط الاسم فتدبره، وقوله: في بعض نسخ الدائرة من الشجرة فتح الجزيرة وذكر ذلك على صيغ شتى وفي مواضيع متعددة لكن أصحها ما وجدناه مقابلاً على نسخة الأصل نبه على ذلك في محل قيام الروم عند صكة الختم في جلوس رحيم وفي تمام الفتح أقوال لعدم ارتباط الأعداد في عقودها والأصح في عام واو نون الغين فافهم، قوله (ا ل م ر ر ي خ) في ذلك إشارة العدد الموجب للقران الموعود إذا كانت الراء تاء هي بتكرارها لأن الرائين حرف تاء فالتاء مع الخاء غين وبقية الأحرف تطلب تكميل عددها من الآية من عقودها لأن الآية الشريفة إذا أنت أمعنت النظر في إعدادها وعرفتها بالجملة أو بالتفصيل عرفت جميع ما تضمنته من الأسرار وما اشتملت عليه من حوادث الأمصار والأقطار فمن المشايخ من جمع أعدادها وأسقط وأبقى ما ناسب التأخير، ومنهم من فصلها عقوداً وأعداداً أو جعل لكل عقد أعداداً تقوم بذاتها لكن بطريق التوليد أو المخض أو الكسر أو البسط أو صيغة من صيغ الفن وعلم ذلك كثير جداً وسنوضحه لك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفي قوله: قاسم جنة الكنانة إشارة عظيمة سرية حرفية ظاهرها ق م حتى يقضي يظهر حرف عدد اسمه في حكم الضدية معنى ذلك إن أول اسم الضد الظاهر بعده يكون عدد كامل حروف اسمه ومعنى ظهوره بالضدية يعني نقيض ما كان عليه حرف القاف وإذا ظهر هذا النقيض ينتهي لمرة في عدد اسمه فتدبر ترشد، وقوله في الدائرة

الكبرى (مـ مـ ي ع و ع ح ي) في هذه الأحرف إشارة بليغة لأفراد من قطان الكنانة لأنه ذكرهم بين الأركان والأضلاع من داخل الدائرة، يشير إلى ثمانية أفراد فضلت من كسر الآية وبسطها ستظهر في العقد الأخير من الآية إذا قام بالكنانة الحرف الإحاطي المسلط على بقية العناصر يكون أولئك الأفراد وحفدته وأركان سدته إن ساعده القران في قبة الميزان فافهم، وقوله: إذا نبتت شجرة الحنظل بالكنانة تثمر النفاق وتؤثر الشقاق وتفرق بين الرفاق ويسري شؤمها إلى الأفاق وفي ذلك إشارة بليغة تعلم إذا علمت أشخاص الشجرة وفي رمز تخصيص الحنظل دون غيره لأنه مقصور النفع على بعض أفراد وليست على حكم الإطلاق لأن الحنظل تقدره نفوس بعض الحيوانات الناطقة والصامتة نعم والإشارة للذم لا للمدح. ولأجل ذلك يكون ما ذكر من النفاق والشقاق والفرقة بين الرفاق وسريان ذلك في الآفاق فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وقوله: خروج عدل لا خروج جور ولا زوال في ذلك إشارة إلى تمييز المدتين الأولى والثانية، وقد تقدم ذكرهما في التنبيه على ما زاد على اسم السين الفاتح وسنزيدك بياناً اعلم أن السين الفاتح جعلت المرة الأولى الصافية في عدد اسمه من عام تفتح فيه القاهرة إلى عام خروجها من يدري ذلك الوقت ومن عام الخروج المشار إليه إلى الغاية عدة ألف ونون جامدتين وهي تمام المدة الثانية وقد حررناها في اسم سليمان ولد سليم لأننا ما وجدنا الواحد وخمسين الزائدة إلاّ في اسم سليمان والمدتين ١٩١ منها الأولى ١٤٠ والثانية ٥١.

أما المدة الأولى: فهي الصافية دون مشاركة، والثانية: يدخل فيها تصريف الغير الذي ختم الختم الميم الأكبر، فاعلم أن ذلك الخروج ليس على ظاهره كما يظنه من لا معرفة له بعلوم الأسرار الجفرية، ولهذا قال في هذه الدائرة خروج عدل لا خروج زوال لأن خروج الزوال لأنه يبقى التصرف على حاله لكن تغيير النعوت الجورية بالنعوت العدلية وإلى ذلك الإشارة بقوله: في ميم الختم يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

أما قيام العمد فعلى قواعدها الأصلية من رجال الدولة العثمانية لأن دولتهم باقية برجالها إلى ظهور العين في الشين هذا هو المعتمد عليه في الاصطلاح وهو المشهور عند أرباب الجفور، فلو كان خروج جور لكان يلزم منه الانقراض بالكلية ولكان الميم القائم بينهم يهتم في ظهوره بما لا يطيق من النعوت التي هي ضد العدل.

وقد انعقد الإجماع على أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فلم يبق للخروج معنى إلاّ تغير الجور والظلم بالقسط والعدل لا غير فافهم ما أشار إليه في الأصل بقوله: خروج عدل لا خروج جور والله يقول: هداك بمنّه وكرمه، وقوله: وسنوضحه لك بعين نعرفك كيفية الاستخراج منها بوجه لائق من وجوه الفن الذي عليه الاصطلاح متى أردت الاستنباط لشيء من الآية آلف حروف الطبائع لكل عنصر على حدته ثم خذ عدد ذلك المجموع وعمر به جدول على قدر العدد واستنطقه ينطق بالمقصود وهذا الوجه أصح الوجوه كلها، وثم وجه آخر هو أن الجملة المجتمعة من الحروف المذكورة تتولد توليداً واحداً أو تجمع أعدادها جملة واحدة تقسم ثلاثة أقسام فيطرح قسمان ويؤخذ القسم الواحد يعمر به جدول بقدره ويلقط منه ١٢ ١٢ فإذا تم أدواره تجده ناطقاً بالمطلوب والله الموفق لا رب غيره.

واعلم أن لهذه الدولة تأصيل نسب وعلو مرتبة بأصل صحيح يعلم منه شرف مقاماتهم العلية وذلك التأصيل في الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] فقد دخلوا ضمن الآية الشريفة لكونهم من أمة محمد ﷺ مع ما أشارت إليه الآية فلا شك أنهم في سلكها. ومن التأصيل المشار إليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

أما الصلاحية فهي بالنسبة إلى غيرهم من أصلح الدول بعد الصحابة والتابعين لوجود النعت فيهم وباعتبار انقيادهم للشرع الشريف وتمكينهم من رتبة العبادة والخدمة والصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وملازمة الجماعة وأتباع السنة وحسن العقيدة، وقلّ أين يوجد ذلك بكماله في دولة من الدول الذين تقدموا. وأما لفظة لبلاغاً فهي إشارة تقيد العلم بالوقت المنتظر وكفى بذلك شرفاً ورفعة فمن أيقظه الله تعالى وفتح عين بصيرته رأى نعت الصلاحية فيهم ظاهراً، أو سيظهر ذلك إن شاء الله تعالى وتشاهده عند ظهور دولتهم فافهم.

فائدة عظيمة لا يستغنى عنها اعلم أن ظهور هذه الدولة قد حكاه ونبه عليه صاحب الأصل في خطبة البيان بإشارة واضحة وذكر مبدأ ظهورها الإحاطي في بكظ وانتهاء ظهورها في دسغ وأنها ستظهر على غالب المعمور من وجه البسيطة ويقهرون من ناوأهم وينتهي سير جنودهم إلى الجزيرة الكبرى ويفتحها الله على يد م ح.

ومن المدن المنسوبة إلى معنى الإشارة وتفتح ميم بالتسليم وأخرى بهول عظيم وأخرى يحب رحيم وأخرى بالرعب العميم. . قال ويتسلسل ذلك الأمر إلى أن يظهر العلج الأصفر والطود الأصغر ويجمع الجنود على حصن النهر ويقابله ميم الصدر في السفن البحرية وعلى الخيول العربية، فيغرق العلج وتهلك جنوده وينصر الله الميم وبمصداق ذلك في عقد من عقود الآية الشريفة، وسنذكر لتقسيمها قاعدة أخرى مقيدة فيها بلاغة عظيمة إذا أتقنت بإتقان الشافي أوضحت مكنونها ويثبت مضمونها وكشفت عن وجوه حقائقها، وذلك أن في كل عقودها جملة من الأسرار المودوعة في الحروف وفي نطق كل جملة من تلك الجمل حروف حوادث ووقائع وحركات ستظهر في آناتها محررة، وهذه صفة التقسيم (ا ل ف غ، ل ب ت، ا ل ر و م ف ي، ا د ن ي الأ، ر ض و هـ م م ن ب ع د، غ ل ب، هـ م، س ي غ، ل ب و ن، ف ي، ب ض ع، س ن ي ف، لله الأمر من قبل، ومن بعد، ويومئذ، يفرح، المؤمنون، ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ [الروم: ٥]، هذا تقسيم مخصوص لأعداد مخصوصة بطريقة غير الأولى لمن يعيها فيأخذ من كل جملة أعداد مدة من المدد المعلومة المنصوص عليها وقد حرموا كشفها للعامة فلا قائل بالتصريح على ما جرت به العوائد للقوم، ولقد رأينا من تصدى لاستخراج تلك المدد وتبيان وقائعها وحوادثها فأغني المبتدىء عن علاج القواعد والأحوال فتظهر له من باطن الأحرف عجائب وغرائب تنبىء عن كل شيء، وألف في ذلك ورقات لطيفة يذكر فيها أسماء الأفراد في كل دورة من أدوار المدة المقدرة حتى حال به جواد البيان، وقلب الأعداد إلى ما وراء المدة المقدرة وأركزه على مركز الغاية المنبه عليها بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

ثم إلى غاية الغاية المنبه عليها بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، فمن وقف على سر هذه الآية الشريفة عرف الأمر على ما هو عليه، وكشف أسرار الدورة الآدمية جليها وضغينها ووجب عليها الستر رحمة لأهل الدائة الحية، وإلا تعطلت معايشهم بالكتم لما في إظهار ذلك من الضر، وإذا أميط عنه حجاب الستر لأن الحجاب رحمة لأهل الدائرة الحسيّة وإلاّ تعطلت أمور معايشهم وتصير أبصارهم طامحة إلى رؤيا ما لا قدرة لهم عليه، فالكتم أفضل والستر أولى، وأرباب الحقائق ما اصطلحوا إلاّ على التنبيه بأنواع البيان وأحالوا أتباعهم على معرفة الأصول التي هي المفاتيح لا غير، وعرفوا أن من حذا حذوهم واقتفى أثرهم يلحظ بعين بصيرته ما تضمنته تلك الأصول، وبهذا المقتضى صارت الحكمة والمعرفة في

الأفراد واشتغلوا الناس في العموم بما هو الأولى والأحرى في حقهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] من التسخير في المصالح الكونية التي فيها حياتهم. وسلطان الجمهور هو الأمل الباعث على حركات الهمم لتعمير المراتب باختلاف المرادات إذا الحكم مختلف، وإن كانت العين واحدة بالاتفاق فالأصل هنا له السلطة لقوة تصريفه بنور الوهم الحاكم على مطلق مراتب الوجود، فالأمل يحمل صاحبه على تعمير الرتب، والوهم يحمله على تحصيل ما يخاف فوته من المرادات إذ لولا الأمل ما أُحدث شيء، ولولا الوهم ما خاف الملكين من هو أعظم منهما في المملكة الإنسانية يسمّى اليقين يقوم في صورة الإنسانية، فيغلب الأمل والوهم ويطويهما طياً كلياً، وقيامه في الصورة على قاعدة عظيمة هي الإيمان الباعث على الذوق يجر إلى الشوق والشوق يجر إلى العشق والعشق يجر إلى الكشف والكشف يقضي إلى الثبوت والثبوت يفضي إلى الرسوخ والرسوخ هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، وأربابه هم أهل التمكين الذين عرفوا الأمر على ما هو عليه وفصلوا مجمله وأجملوا تفصيله، فهم ناظرون إلى ما وراء الأستار مشاهدون لما بطن وما ظهر من الأسرار قائمون بمطلق المراتب من غير تعطيل، قد فازوا بأسرار تجليات الأسماء من تمثيل لا يخرجنهم الفزع الأكبر، ولا يغير بواطنهم الهلع إلاّ ظهر لأنهم محل جريان الأقدار ومجالي الظلمات والأنوار وقد عثروا على العين الخضرية فيشربوا وطابوا كلما لاح لهم في الدائرة الخلقية بارق حادثة حملوها على ما كشف لهم من أسرار أسباب حدوثها، فهم بهذا الحكم في عين البقاء وما سواهم بالتبعية لهم على قدر مراتبهم، وبهذا يتضح لك سر طروء الحوادث كائنة ما كانت ووقعها في الآيات المختلفة بحكم اختلاف الاقترانات الفلكية كما قررناه سابقاً.

وحيث انتهى البحث إلى هنا فلنرجع إلى ما نحن بصدده من تبيان الحوادث والوقائع المودوعة في رموز الشجرة التي نحن بصدد بيان أسرارها فنقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سبيل خير فريق: اعلم أيدك الله بتأييد العصمة أن بعض الفضلاء من المطلعين على الأسرار الحرفية والكنوز الجفرية ألف ورقات لطيفة فيما يتعلق بالحوادث الكليات الكبار، وأسس تلك الورقات على حروف أبي جاد، فجاءت مطابقة لحوادث الربع المعمور من البسيطة لأنه جعل لكل قطر من الأقطار قاعدة مبنية على حرف أو حرفين من حروف أبي جاد، وأعطى لكل قرن ما يليق به من تلك الحروف التسعة والعشرون بحسب طبيعة ذلك المنظر وقابلية أصل ذلك القرن، فلا

تكون حادثة في قطر من الأقطار في قرن من القرون وإلاّ بسر قيام أهل يخصه من تلك الأحرف، وجعل مثال ذلك في دائرة مربعة الأركان غير مستديرة الشكل بل مسدسة في عين التربيع، لم يراعي فيها إلاّ تصور أسماء الحوادث في صور الأشخاص القائمة في الوقت وعدل عن بيان الأسماء مجردة وسماها دائرة الخطوط في الأمر المربوط وهذه صفتها:

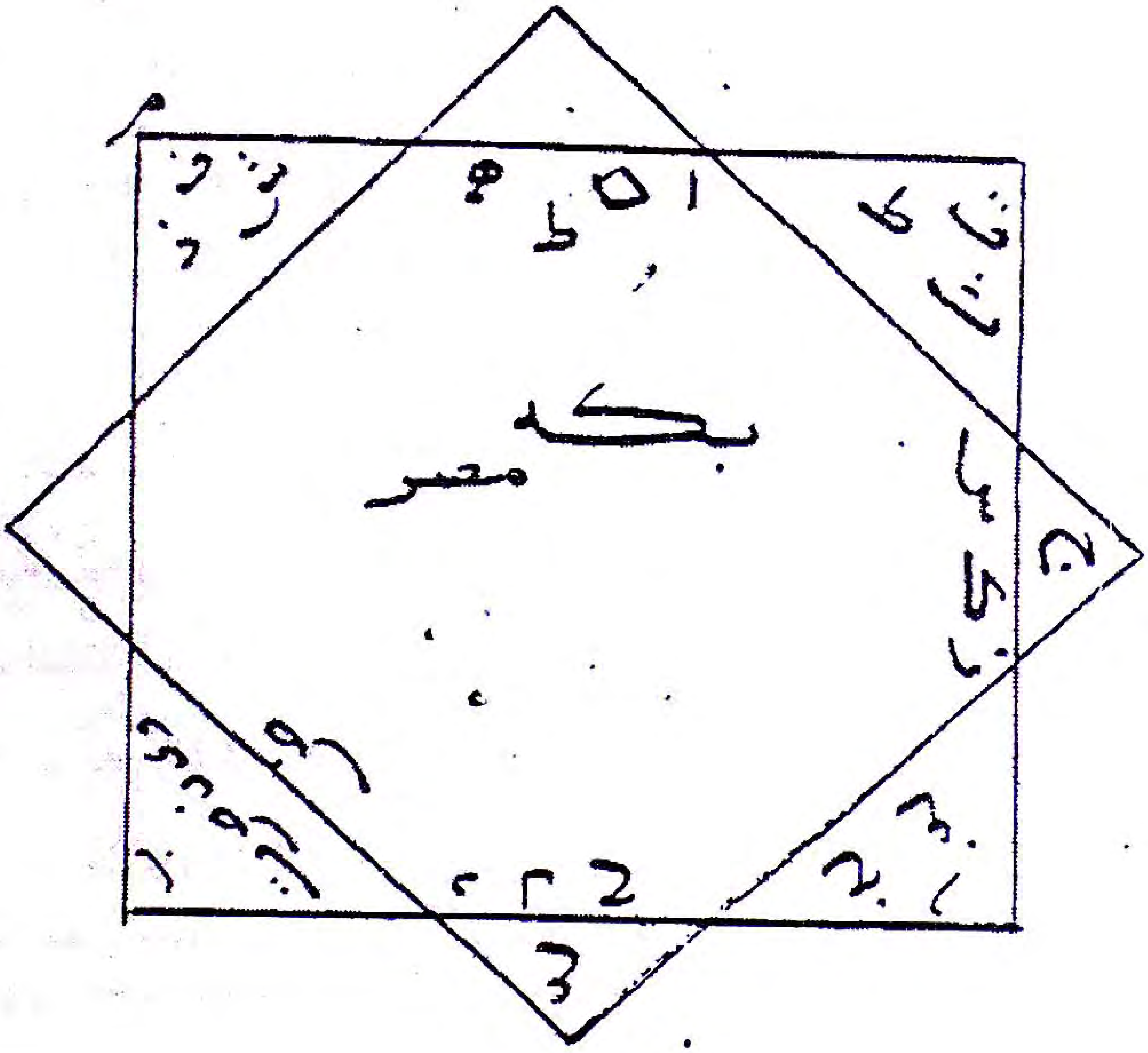

فانظر في كل حرف على انفراده، واعرف مركزه وخذ من كل نقطة نقطة اسم شيء يظهر عند مخضه وتوليده، يتصور بين يديك جملة من الحوادث الكليات المودعة في جدران الحروف والأعداد، واعلم أن الابتداء في العمل من ركن المحراب، وحرف الألف والهاء والطاء والميم والفاء والشين والذال المعجمة، ويمشي على اليمين إلى الظاء وهو حرف الغاية من عنصر الهواء الذي عليه المدار في الحركة، ولما اطُلعت على هذه الدائرة المربعة ووجدتها مثمنة الأركان اخترت تربيعها في صورة أخرى وقسمت الحروف على أركانها الأربعة بهذه الصورة كما ترى:

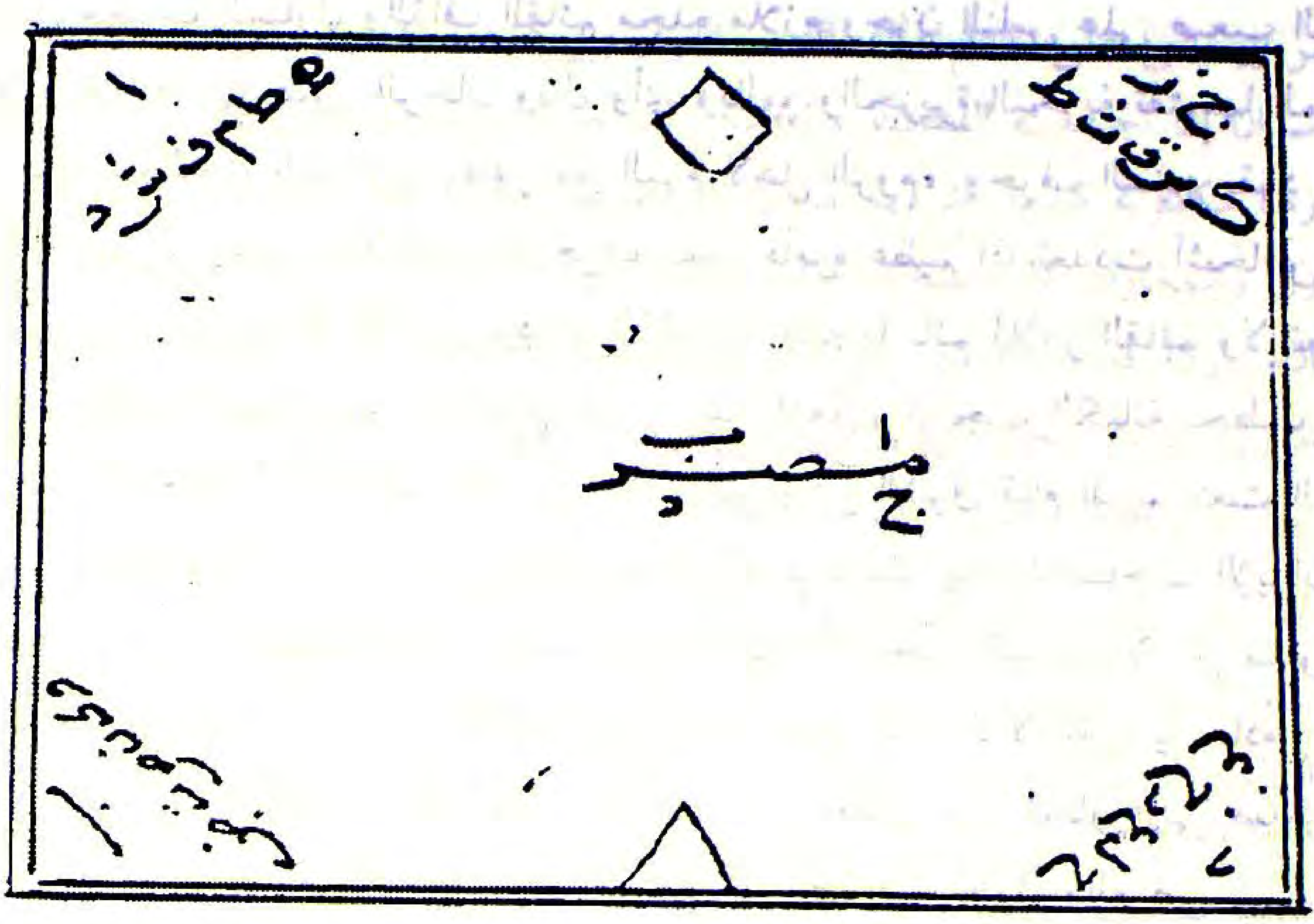

وقد اطّلع عليها بعض العارفين فأعجبته لما في طيها من الأسرار العجيبة والأمور الغريبة، فلكل ركن من الأركان سبعة أحرف طبيعية تؤخذ أعداد أولادها المنوطة منها وتجمع جملة واحدة ويدخل بها الطالب إلى جدول مناسب ويعمر بها ويستنطقه ينطق بحادثة الوقت التي تخص ذلك الركن، فتدبر ذلك واعمل بمقتضاه ترشد إلى سواء السبيل.

واعلم أيها المريد المسترشد أن بين يديك عقبة كؤود لا يقطعها إلاّ كل ضامر، وهي أعظم العقبات المانعة عن الوصول إلى معرفة أسرار الحروف يقال لها عقبة الاشتراك بين حرفين، لأنه قد يتفق الاشتراك بين حرفين في قطر من الأقطار، ووجه التخلص من هذه العقبة أن يؤخذ عدد الحرفين ويضرب في مثله، ثم يضرب المجتمع أيضاً في مثله، فتظهر جملة جامدة تسقط تلك الجملة ٩٩ والباقي بعد الإسقاط هو الحرف الذي لا يقبل الاشتراك، فاحكم به على قطره وهذه قاعدة عظيمة فاعمل بها ترشد إلى الطريق والصواب.

واعلم أنه إذا تمت أعداد بضع سنين يفتح باب (هـ م ب ع م) يلزم من فتحه حصول جملة من المتاعب لا تزال تزداد وتنمو شيئاً فشيئاً إلى الميقات المعلوم، فمنها في (ز ن) لأن شق العصا وتفريق الكلمة عند من عصا خصوصاً في الحروف الأربعة التي هلكت الأشرار ولولا أطيار الأعشاش طاش من طاش وعاش من عاش، فالقاف

الراحل مخرب المنازل والقاف القائم مجده ملازم وحزن الناس على صعب المراس وظهور النساء في صور الرجال وبال وأي وبال، والجزيرة البحرية تفتحها المراكب السحرية، والحاء المصري يظهر مع البوم لأهل الروم، وحرف السين يقود الجيم للعراك وهو لا يعلم ما هناك، أما حرف الميم فأمره عظيم إذا تعددت أشخاص الميم في الميم قويت شوكة الأخيار وذلت الأشرار، تنبه يا نائم للأمر القائم ولا تغفل يا مطلوب لأنك المخطوب، إذا باح الميم بسر التعليم ارتجت الكنانة بخطب عظيم لا شك ولا خفاء أن الطرف غفا عن حادثة البرق في الشرق قيام الميم بنعت الخلاف يوجب تحريك الأطراف وخروج الخان على ميم قرمان يحرك صاحب الإيوان على طلب، وإن رب الممالك مالك وضد وقته هالك، لا يخدم الملوك إلاّ كل مملوك ولا تعمر القاهرة بالفئة الظاهرة بالثالث الهوى أنت ممن غوا، لولا الدوا يا سادس الناس ركبك العار يا رابع الماء، قد بلغت السماء من تعدى حده تجاوز إلى ضده، ويح القاهرة إذا حكمت العاهرة، أما دابة الأرض فهي صاحبة الطول والعرض كيف يطيب العيش مع وجود الطيش، إذا تفرقت القلوب تفرقت الأجساد، إذا كثرت الخصيان خربت البلدان، إذا عمرت الخزائن خربت المدائن، إذا عمرت الأجداث حكمت الأحداث، بين النون والسين يفتح التحسين، أما عقد البيعة فلا يصح بالضيعة.

ولا يصح الأمان إلاّ في صفاء الزمان باختلاف الفرقة، تكون الفرق بكثرة الحساد يظهر حكم الإفساد، أما الكنانة فهي عش الأمانة إن سلمت من الخيانة لأن رجالها نبال رشاقة، وأعينهم رامقة يصفو لهم الوقت المعلوم إن خالفوا رأي البوم، أما التخليط فمن علة التفريط إن قويت حرارة الميم أحرقت كل زنيم، أما المشورة ليس فيها معيرة لأن الاتفاق يجمع شمل الرفاق والفرح الدائم عند انتباه النائم، كل حركة تكون في الكنانة من الفتنة الفتانة بسر عش القاف بجمع الأطراف على شرط الإنصاف بسر الائتلاف كيف الخلاص والطيور في الأقفاص ولآت حين مناص يا قائم نم ويا نائم، قم يا رب الباب احذر من الأصحاب واكرم الحجاب والنواب، يا مصري لا تؤاخي القصري لأنه غدار وغايته الفرار وعليه المدار. هذا جميعه حال الاقتران والقمر في الديوان، ومقابلة المشتري كيوان ترقب ذلك إذا أرغمت المعاطس وكثرت الأفاطس ووسوست القساقس وانتهى عدد غين فافهم، وإذا فهمت فاكتم.

وعليك باتباع الميم إذا تربعت قواعدها واشتد ساعدها وأعطت المدد واعلم أن هذه الإشارة كلها بين قرنين كبيرين منحصرين فيما بين النون إلى السين وفي ألف السين ظهور النجم الأحمر فوق الجبل الأخضر، يراه كل ناظر من يراه كل باد

وحاضر ويخشى على خدام ذلك النجم الفرار من كشف الأسرار، ويذبح القربان على باب أسوان إذا اجتمعت الفتنتان، واتفقت آراء الغربان وجارت العربان، فالكنانة مصونة وأسرارها مكنونة كلما أطرقها طارق أو قصدها مارق رمي بشهاب ثاقب من رب المشارق والمغارب لأن عمدها قائمة وإمداداتها دائمة وهي الربوة المباركة التي لا تقبل المشاركة قد أُحاط بها جبل ق من جميع الأطراف قاف محيط بالأكناف فهو عالي الذرى لتربية أمجاد الورى سيفشو أمره ويذاع خبره ترقبه في جوف الكنانة وهو محيط بها لكن ميقاته السين لكمال التعيين.

أما رابع النار فعليه المدار في حفظ الديار لا بد من الاتفاق على ترك النفاق، وفي دسغ العدد يظهر سر المدد وذلك أعدل المدد لقرب الوقت المعلوم وحصول القدر المحتوم، إذا نفذ عدد الدسغ فاح شذا طيب الميم فلا يشمه إلاّ كريم ذو عقل سليم، وليس أحرى لذلك الإسهام الكنانة المهيؤون لحفظ الأمانة، وفي عين الغين ينصلح وجه البسيطة بالتمهيد المطلوب بكل حبيب يحكم محبوب، هذا ما دلت عليه الحروف في حيثية أعدادها واستنطاقاتها بحكم الاصطلاح المتفق عليه الجمهور، فانتبه لما أبرزته قدرة الباري سبحانه من أسرار الحروف والأعداد فافهم.

وقال بعض من اطلع على دائرة الشجرة النعمانية وحرر إشاراتها وأظهر مكنوناتها بالصناعة الحرفية، إنه إذا أخذت الغين الجامدة استحقاقها تختلف أحوال القاهرة من الحوادث المتواترة، ويختل نظام قطانها وتتغير أهوية أزمانها وتنبت بها شجرة الخلاف تعم وتتفرق أغصانها، في الأطراف وتثمر عدم الائتلاف بين الجواهر والأصداف، تلك شجرة الحنظل التي تقذفها النفوس وبظهورها تتفشى المظالم والمكوس ويتكرر الطاء المترادف بالعكوف، فالرجات مترادفة والحركات متقاربة، وهي مبنية على السالفة فالعين مخذولة وحرف الألف مقتول والميم سيفه مسلول يقتضي الأسود وأمره غير مردود وعلى يده نقص العدد وإرغام أنف الوالد والولد وإخراج فرقة بعض النواجذ من شؤم رأيهم الفاسد ويناصحه الميم والباء بلا مراء وهو خراب أول القرى، ويكون الدور والتسلسل في النزاع وظهور الابتداع، ولا تنسى رجة الحرم من الأوغاد وسهام الكنانة تأخذهم في الواد عند شجرة القتاد، هل سهام الكنانة إلاّ رجال النجدة وأرباب الحدة، سيظعنون منها وإليها يعودون بعزم متين ونصر عزيز وتمكين، أسس تلك الحركة قيام القاف بالجيم، إلى الياء يقضي ذلك إلى اختلاف عظيم في الأمور ويفر القاف من الجيم ويرجع بأقبح رد غيبته، يريد الكنانة فيرده من يرهقه ويصده عنها إلى مغربها تقول برهة ويقضي فلا يعمر عشه بأفراخه إلى غير الغين، تأمله تراه

وترقبه تلقاه، أما قيام العرب من العجب لأنه ينتج النصب، وتعطيل النفوذ من السود أكالين الكبود، وتكرار وارد الباب من أعظم الأسباب للخراب، إن صحت الجمعية هلكت الرعية.

إياك والغفلة فإنها رفلة، كن في السواد الأعظم فإنك لا تندم بل تغنم، عليك بالبيت المعمور فإنه مغشى بالنور، لا تفارق الكنانة تبقى وحيد وتستحكم فيك العبيد، وإذا رأيت القران الأول فاعلم أنه علامة واضحة أنوارها واضحة غير معاينة هي علامة ظهور الكردي النائم وملاقاته لميم قائم، ويستمد الميم من الكنانة بعدة الغين فيظعنون إليه ويجتمعون عليه، وينهزم الكردي بخربة ويرجع المصري على دربه بعد حربه يدخل الكنانة في رجب، والناس من جهته في وصب، ولا تنسى حادثة الزوراء وما بعدها فإن لها سبع كرات حتى يجتمع الشتات ويذل شاه العجم لراعي الغنم ويؤخذ ولده أسيراً إذا خالف المشير، وسابع كرة عند اجتماع نجوم المجرة، وتسكن الحركات بالكنانة بصفاء الوقت برهة حتى ترد أخبار الكنانة من الروم بقيامهم على ساق واجتماعهم على حصن النهر، ومالكه إذ ذاك ميم ونصرته ميم وميم وحاء وياء قديم، وتستمر الحرب بينهم ميقات والنار يضرمها الهياج والنهر متلاطم الأمواج والسبعة المجتمعة يهزمهم صاحب الراية المرتفعة ميْم الحصن العثماني وصدر المقام الخاقاني والسابع منهم غريق وهلاكُ السفن من الْحريق يا لها من وقعة هائلة ما شوهد مثلها في القرون الخالية الزائلة كيف لا؟ وجنود أهل الطغيان مجتمعة من خلف هميان، لا شك ولا خفاء إن عظيمهم القران الأكبر شناره مرتفع بصليب الجوهر، ثم لا تقوم لهم بعدها قائمة وهزيمتهم إلى الميقات دائمة، عندها يلج الميم بالجيم دخولاً إلى مدينة العجب وكنيسة الذهب، يتم حصارها ميقات وتفتح في أشرف الأوقات الذي هو اليوم الأزهر فيْ ساعة صعود الخطيب على المنبر، ويغنم الميم وجنده غنيمة ما غنموها قط إلاّ في تلك الوقعة غاية الوقائع الإسلامية وما بعدها إلاّ وقعة أصفهان مع جنود فارس وكرمان، وينهزم رب الطيلسان بجنوده على شط النهروان، تلك نهاية حركات الميم صاحب القائم، وقد تم دور المريخ وكيوان المنتظر في حكم القران، ليت شعري هل علمت من يكون ذلك الميم هل هو إلا ليث الكنانة الصمداني المتصدر في سدة السين العثماني عهده مثبوت وعقده غير مبتوت لتعلم أن الحركات التي تحصل في الدائرة أسسها ومعظمها جيم القاهرة، هذا غاية ما نصه ذلك الحبر في معنى قوله: إذا أخذت الغين الجامدة استحقاقها كان وكان فافهم.

واعلم أن الغين الجامدة عدتها ألف سنة شمسية، والغين غير الجامدة زيادتها سين سين، وينتقل الحكم إلى قران آخر عجيب يتعين فيه كل أمر غريب ينسحب حكم الحوادث فيه إلى تمام القران الزائد الذي رأسه يظهر المجد الماجد صاحب القران الخاتم للأمر المهول اللازم، وقد تصدى بعض أرباب الفن واستخرج اسم الأفراد من الحروف والأعداد من دسغ العدد إلى نهاية قاف الغين فرد فرداً لكنه ما قيد الحروف بزمان مخصوص بل أطلقها في العموم والخصوص غير أنه ذكرها على التوالي حتى لا يدع عامه خالي، قال إذا كان عام دال سين الغين بعمر عشر الحرف الإحاطي في الكنانة بالسبعة الشداد الذين هم أعيان الأفراد مـ مـ س س ي ق دورة ظهورهم من دسغ إلى دقع، يظهرون للتعمير ولا ينبئك مثل خبير، سل عنهم صاحب الإمداد قوي الأوتاد المنبه عليه في دائرة الشجرة بأنه من البررة، نجمه أزهر وقدره أفخر وعلمه أظهر، وبقية الحروف في ضمن دائرته تظهر يستمدون منه ويأخذون المجد عنه، لكل فرد منهم نعت يخصه دون صاحبه وهذا نعت التخصيص م س ق ح ي إمداد فتأمل ترشد والله يتولى هداك.

واعلم أن هؤلاء الأفراد نعتهم هكذا كما ترى:

ص مـ س س ق ح ي

ثم يرث مراتبهم عشرة من دفغ إلى طمغ لكنهم ليسوا من عش واحد، تربيهم الكنانة في ضميرها فلا تظهرهم إلاّ إذا عدم مشيرها، ترقبهم تجدهم حال الظهور في المجد والجمهور وهذه أحرفهم ح ح ق مـ مـ س س ع م، هؤلاء رجال التمهيد للفرد المجدد المجيد وعلى أيديهم عمارة القصور وسد الثغور وجباية الأموال وترتيب الرجال وحرب قطان المدن والجبال وحفظ الديار من الأهوال ورد جيوش المغرب الأقصى من المدينة الحادثة غربي الكنانة وملكهم المنعوت بالديانة، وأخذ المراكب البحرية في عتبة الإسكندرية والأمواج قائمة كالجبال والرياح تختلف على اليمين والشمال، يا لها من غنيمة ما أكثرها من نعمة ما أغزرها، ونقمة على الأعداء الذين لا يبتغون الهدى ولا يستحقون النداء ولا يتقون أفعال الردى، تلك الواقعة سبب تخريب بلاد الصليب وقيام الأطراف على جزيرة القليب، هذا في قران ثابت الطرف من هوله

إلاّ في قطر الكنانة فإن طالعها قد خص بالصيانة لا يقهرها قاهر ولا يظهر عليها فاجر، فهي محفوظة الأركان مخصوصة بالأمان والإيمان حتى تشرق الشمس من عين الروح إذا تعين نزوله في يوم العروبة من المنارة البيضاء كما هو منصوص عليه في الأصول المشيرة إلى ما ذكرناه آنفاً، ورب قائل يقول قد دلت الأصول بالقرائن إلى عالم طصنع وختمه، فماذا تدل عليه بعد ذلك وهذا مما لا بأس به لأن الحوادث لم تزل مترادفة ما دامت الأفلاك دائرة بالحكمة، فإذا تمت الدورة الخيالية المثالية وأخذت استحقاقها بعقود المدة المقدورة العددية المشار إليها بلفظة قيام وينظرون تم الأمر وانتقل الحكم من ترتيب الحكمة إلى تدبير القدرة، وينقضي طرد الحوادث بانقضاء الدورة الخيالية لكن لما كان الأمر يحتاج إلى التنبيه على ما بعد عام قاف الغين إلى نفوذ عدد ينظرون نقول إن القاف إذا تمت شهورها وأيامها ربما والله أعلم تنحاز الممالك في أيدي البغاة من المتغلبين في كامل أقطار البسيطة.

وتستمر الكنانة في حصن الصيانة فتقوى شوكة قطانها حتى لا يدخلها دخيل ولا يتصرف فيها بديل رجالها الأعيان عدتهم الغين الجامدة غير المتحركة، إذا آن أوانهم وتعينت أعيانهم شيدوا أركانها وكثروا أعيانها، فالفرد القائم إذ ذاك هو الميم ابن الميم من الأحرار لا من العبيد، رجاله رجال النجدة عدة الغين كما تقوم حوادث زمانهم جزئيات غير كليات لكثرتها، فلا حاجة إلى ذكرها لعدم فائدتها، غير أن التنبيه على الأحرف الضابطة لأسماء الرؤساء منهم لا بأس به والأخرى منهم بالتنبيه على اسمه ما في هذه الدائرة:

ع	ح	ح	م	م	ق	ى	وهم سبعة لأنهم رؤس والجميع بالتفاق
70	8	8	40	40	100	10	

وعليهم المدار في الخلاف والوفاق فافهم الأمام والوراء هذا ما دل عليه نطق الأعداد المستخرجة من الأزواج والأفراد بالأصول الحرفية والقواعد الجفرية فاعلم ذلك والله يتولى هداك بمنه وكرمه، وحوله رجوع واستدراك لما فيه الحاجة أكد من التنبيه على حوادث الوقت الذي بين الغين الجامدة والغين غير الجامدة والمدة الزائدة إلى تمام عدد القاف الجامدة، فنقول وبالله التوفيق إن واضع الشجرة لم ينبه فيها إلاّ على مقتضى حكم الوقت لا غير، وذلك من القران الأول الذي نص عليه في قوله:

إذا انقضت قاف الجيم قامت ميم سليم إلى القران الثاني المشار إليه بقوله حيث يقابل المريخ كيوان في آخر درجة من الميزان، وأحال الاطلاع على ما وراء ذلك من الحوادث الكلية على فن الاستنباط من الأصول لكنه أنموذج الجميع، وقد نبهنا على بيان ما رمزه الشيخ رضي الله عنه في دائرة الشجرة بحسب الوقت والقابل فلا بد من التنبيه على أسماء رجال بين الغين والسين وإن تأخر محل التبعية فلا معيب وهذه دائرتهم كما ترى:

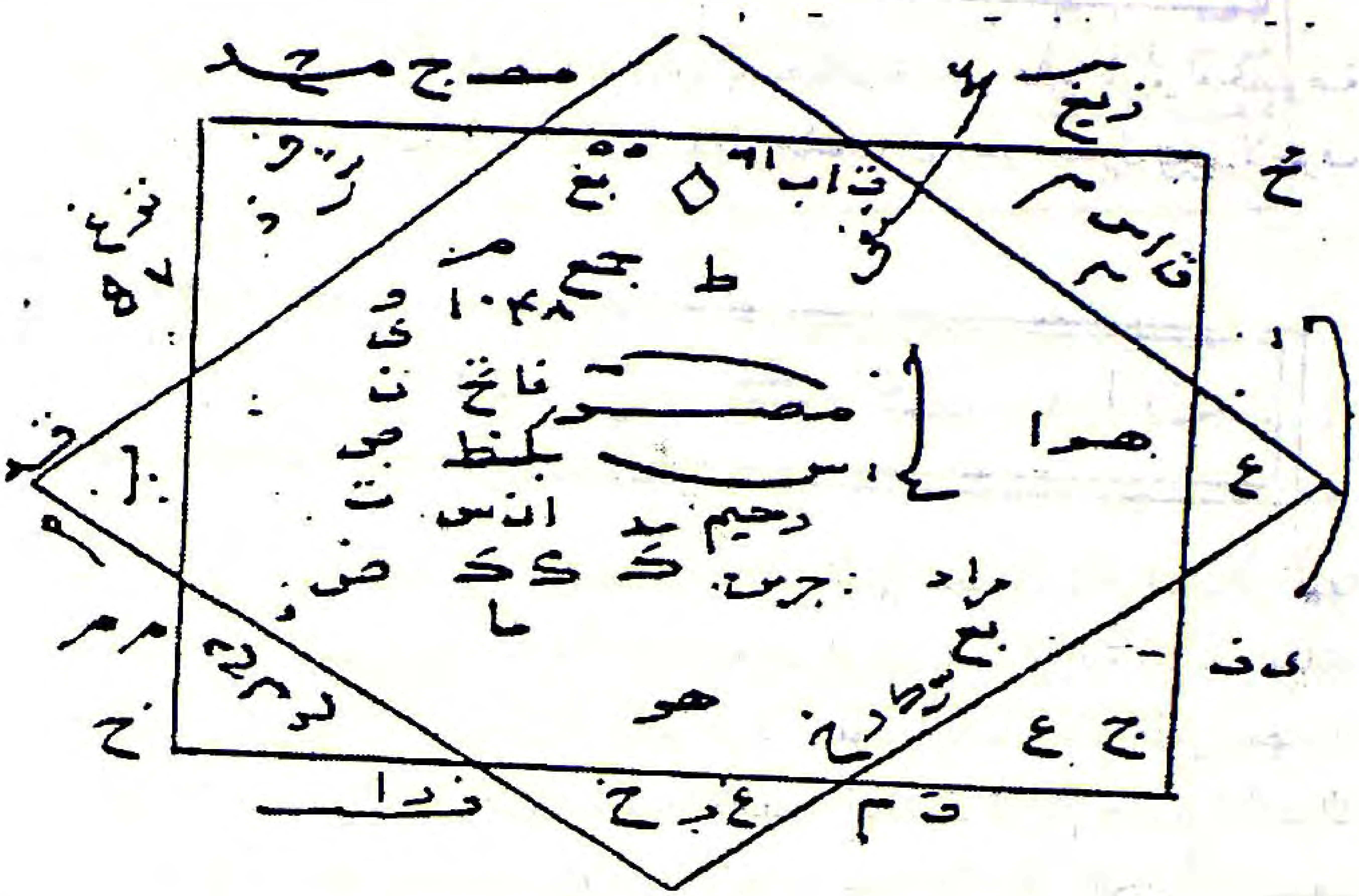

ثم على سبع جداول حرفية تشتمل على أسرار خفية يفهم منها ما أغفله الشيخ وظن به فلم يذكره صريحاً غيرة عليه كما جرت عادة كل واصف خبير، الجدول الأول جدول التقابل للحروف المشار إليها وهي حروف الكوكبين المشار إليهما في دائرة الشجرة بأنهما إذا تقابلا في آخر درجة من الميزان كان وصار وهذه صفة تقابلهما في الدرجة المذكورة بالاعتدال الطبيعي كما ترى:

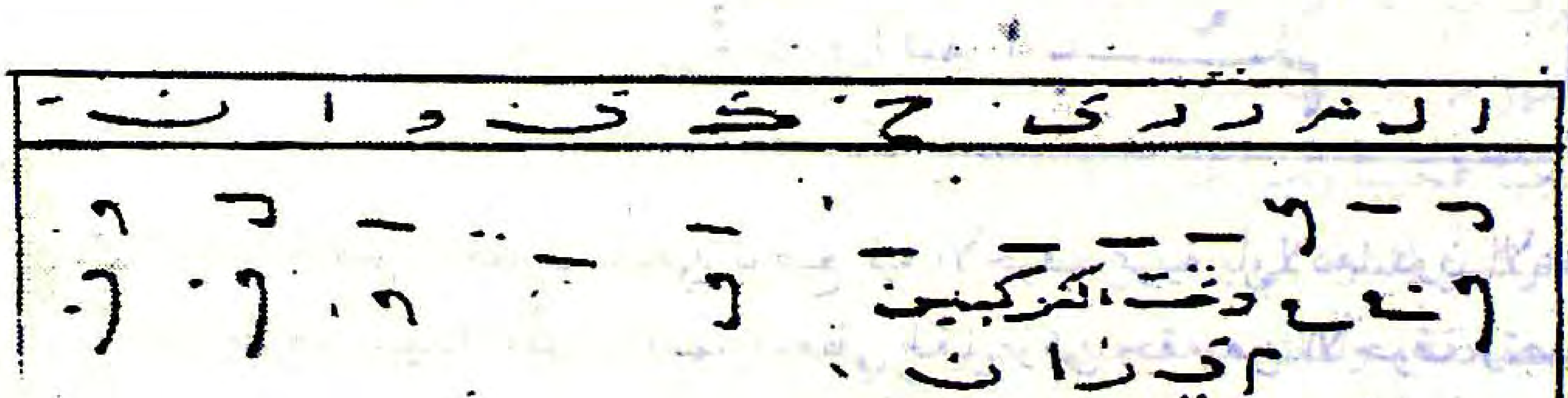

والجدول الثاني جدول المقارنة وفيه الأحرف على غير النعت الأول فهي مقارنة فلكية تشير إلى أسماء أفراد الوقت الذي هو بين الغين والسين فافهم وتأمل وهو هذا كما ترى:

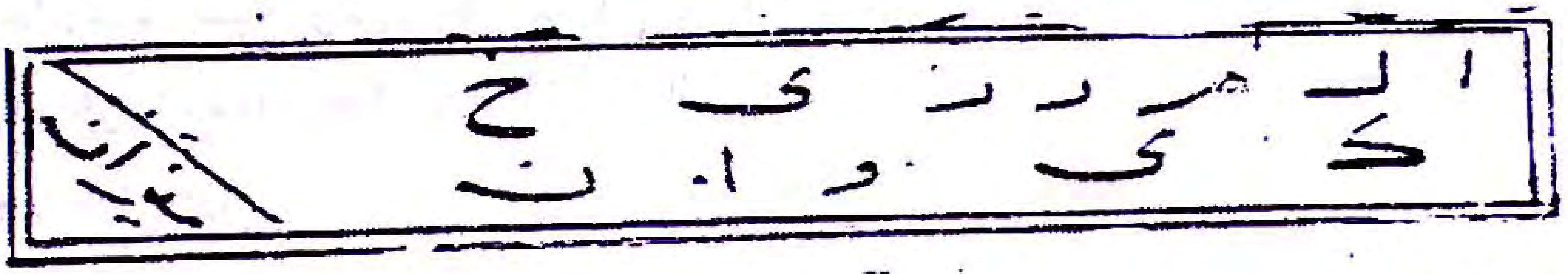

لأن الأحرف تكون تارة بالمصادقة وتارة بالمضاضدة لكن على طريق مخصوصة خالية غير طبيعية فافهم الجدول الثالث جدول الاستبدال وهو جدول فيه الأحرف عربية بأعيانها وهي:

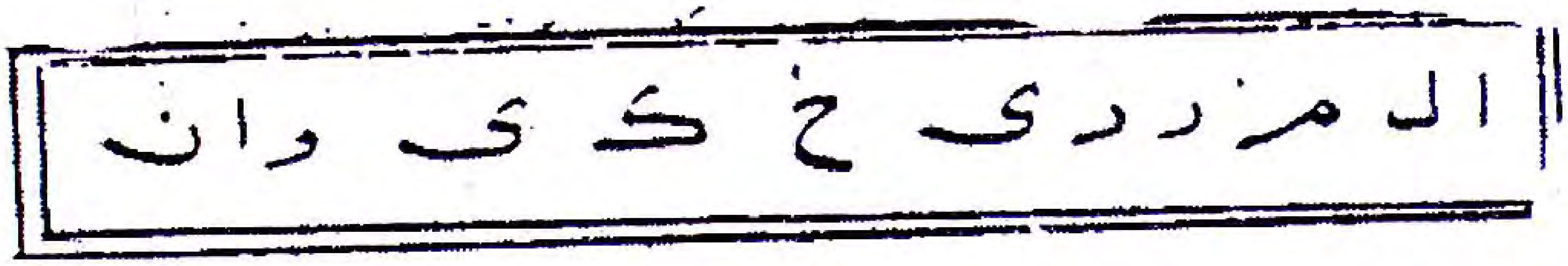

فتبدل الحرف بما في رتبة من العنصر الثالث حتى تتصور الأحرف ينظر فيها فكل حرف منها أول اسم من أسماء الأفراد أصحاب الوقت المشار إليه بأن فيه مقابلة المريخ كيوان في آخر درجة من الميزان وهم أفراد البطون أرباب المدد الذين يمهدون ويمدون أرباب السيف بالهمم وعليهم المدار. فافهم، الجدول الرابع جدول الاشتراك توضع فيه الأحرف جملة بأعدادها وأولادها ويصور منها الأحرف الجامعة للسيف والمدد، هم خواص الأفراد بحكم الوقت في دائرة الكنانة وهذه صفاتها:

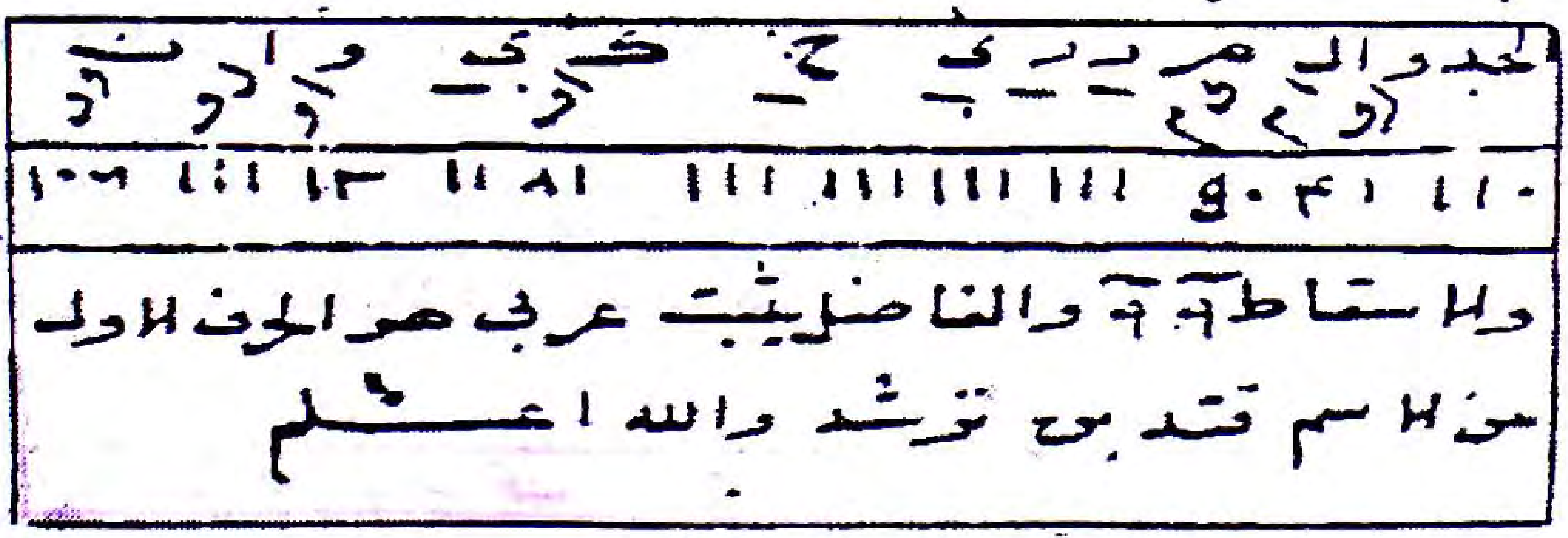

الجدول الخامس: جدول طبيعي توضع فيه الأحرف عربية بأولادها دون الأعداد وتجمع كل حرف طبيعة على حدتها فيعطي لكل ركن حقه من الأحرف وتصور الأسماء من الحروف كما ترى فتظهر أسماء الأفراد أرباب المراتب في الكنانة بحكم

ما بين النون إلى العين فافهم ذلك ترشد إلى وجه الصواب والله يتولى هداك بمنه وكرمه وهو الهادي إلى طريق الصواب وهذه صفاتها:

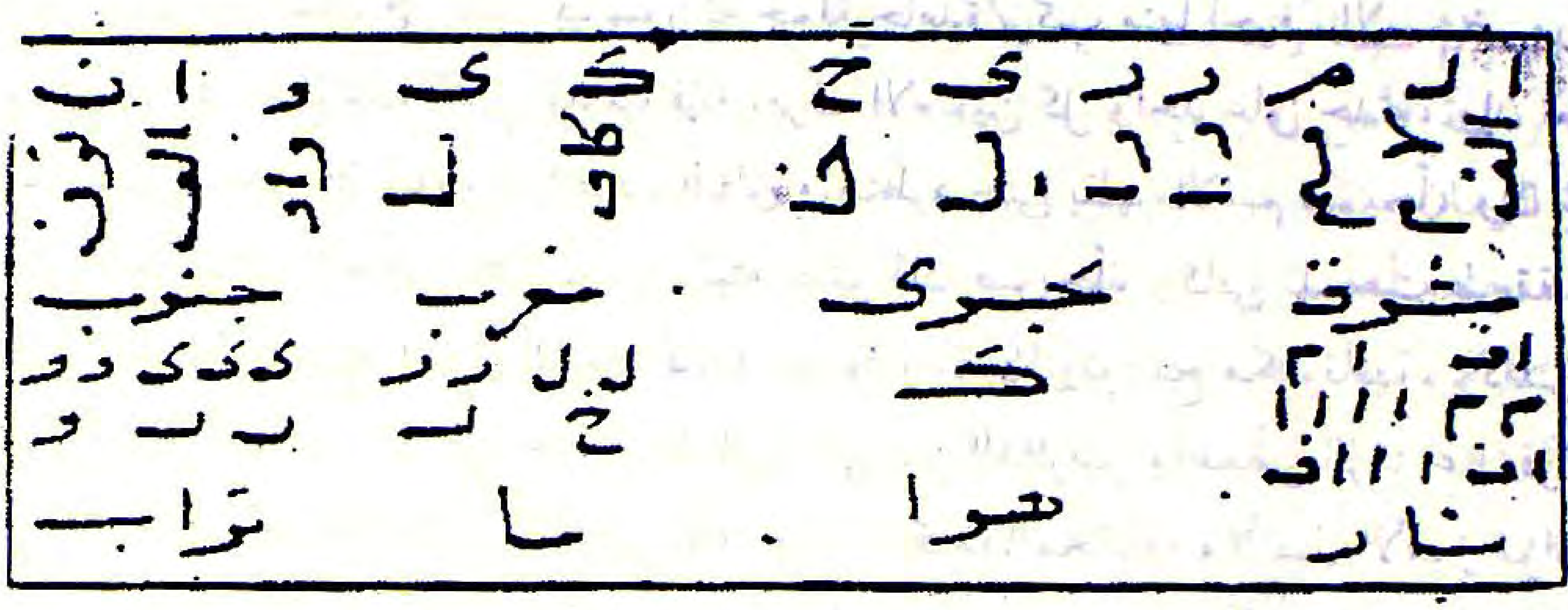

الجدول السادس جدول الأسرار وهو جدول توضع فيه الأحرف كما هي بقدرها عربية جامدة ممتزجة ببعضها سطراً واحداً أو ترد العجز على الصدر حتى يصير الأخير هو الأول بعينه وتجمع أعداد الجميع جملة واحدة وتقسم جملتين بالسوية وما زاد ينزل فيصور من كل من جملة اسم أو اسمين أو ثلاثة مثلاً فافهم والله الهادي إلى طريق الرشاد.

ا ك ل ى م و ر ا ر ن ى خ ك ى و ا ن
لا تزال إلى ترد وصدوره ص على عجزه حتى يظهر زمامه بعينه وتسلك به المسالك كما تقدم فإنهم

الجدول السابع: جدول الأسرار وهو جدول توضع فيه الأحرف كما هي بقدرها بعد توليدها، والأخذ منه العاشر دأباً على التوالي من أعلاه إلى أسفله حتى لا يبقى فيه حرف ثم انظر في الأحرف الملقوطة من العاشر للعاشر وتضم إلى بعضها وتركب أسماء فيظهر من تركيبها أسماء حوادث عجيبة ووقائع غريبة، فاعمل بهذه الجداول السبعة ترى عجباً عجيباً وأمراً غريباً لأن الإشارة في الكوكبين جمعت أسرار الدائرة، واعلم أن الكوكبين إشارة إلى رجلين نحسين يظهران في معرض المضاددة والمباينة والصورة صورة المصادقة، وذلك هو النفاق الصريح وظهوره هو النعت القبيح وإليه الإشارة في دائرة الشجرة بقوله: ويظهر الشقاق بين الرفاق: واعلم أن ميقات ذلك ما بين النون إلى السين

نفوذ عدد غين، أما بعد سين الغين فحكم آخر غير النفاق المشار إليه، فمن أراد أن يعرف شخصي الكوكبين النحسين المشار إليهما، فليأخذ عدد أحرف الكوكب الواحد دون الآخر ويضرب العدد في نفسه فيتصور له جملة جامدة يركب منها أحرف الاسم ضرورة، ويفعل بأحرف الكوكب الثاني كذلك فإنه يعرف الاسمين كل واحد على حدته، وإن تعذر النطق فهو بالخيار إن شاء ولد أحرف النطق واستطرد حتى يظهر الاسم صريحاً، وإن شاء أبدل الأحرف من العنصر الثالث من رتبته يظهر لك صريحاً، وكأني تلمحت طريقة في بعض الأصول تجمع أسرار الدائرة كلها جليها وخفيها وتوضح مكنوناتها، وذلك أن الشيخ رضي الله عنه رمز في حروف الدائرة التي بين الدائرتين وأغمض الرمز عند قوله: دائرة كرة مصر مقدار أفقها لا تزال بادعة ومع حكامها مخادعة ولأثقال الأمور موادعة حتى يقابل المريخ كيوان في آخر درجة من الميزان تخرج من يد آل عثمان، واعلم أن السر المكتوم المكنون في هذه الأحرف من الدال إلى النون، فطريقة استخراج ما فيها من الأسرار الخفية أن تؤخذ أعداد الأحرف كلها جريدة واحدة بالجمل الكبير وتعقد جملة واحدة ويزاد عليها قدرها مرة واحدة ويعمر بها وفق الكاف بشروطه ويلقط ١٢ ١٢ أدوار حتى يتم لقطة ينظر في الأحرف الملقوطة فتعزل كل طليعة وحدها.

أما الأحرف النارية، فيركب منها أسماء أرباب السلاح، وأما الأحرف الهوائية فيركب منها أسماء قسم عطارد، وأما الأحرف المائية فيركب منها أسماء علماء الوقت، وأما الأحرف الترابية فيركب منها أسماء رجال الوقت لأن الثبوت والرسوخ لهم، وقولنا يركب من الأحرف أسماء كذا وكذا فيحتاج إلى معرفة صناعة التركيب للأسماء من الأحرف المذكورة لأنه تارة ينطق الحرف بأول حرف من الاسم كالسين مثلاً من اسم سليم أو الدال من اسم داوود والميم من اسم محمد هذا وجه، وتارة يكون الحرف الناطق في عدد غير الناطق في بدله من ثالث عنصر، وبهذا يتضح لك سر وضع الحروف في الدائرة وتركيبها كلمات ناطقة من دائرة كرة مصر إلى لفظة عثمان، وأما ما زاد على ذلك في بعض النسخ كقوله بعد لفظة عثمان: خروج وعدل لا خروج جور فذلك ليس فيه رمز بل فيه إشارة إلى أن الخروج ليس على ظاهره كما يظنه من لا معرفة له بالاصطلاح، فالخروج هنا على الحقيقة من الجور إلى العدل لا غير لكون الميم الخاتم القائم على ظهوره رحمة لأهل الإيمان ونقمه على أهل الكفر والطغيان، قيامه لتجديد الشريعة وسد الذريعة، وأعظم أنصار ميم السين العز والتمكين صدر الصدور الخنكارية وأمين الأسرار العثمانية ترقبه تراه إذا سبق رب الباب، وهو بأرض دارب يجتمع على سميه ببلدة قونيه الرومية ويبايعه ببيعة يتربصها رب الباب ويحققها بتكميل عدد الأصحاب، ذلك أوان السرور وزمان الرضا والحبور، كيف يقال

إن ميم الختام يتعرض بطريق التغليب لا صلح حكام الأنام في الإسلام حاشا وكلا أن المنعوت بالفضل الموصوف بالعدل يعدل عن الصراط المستقيم أو يميل عن الخط القويم، لا سيَّما وقد نعته سيد الأكوان وأشرف ولد عدنان بأنه المحيي للسنة والفرض وأنه رحمة لأهل الأرض، وقد ثبت عند علماء الحقيقة ومشايخ الطريقة بأنه يظهر في آخر الزمان وتقبل راياته من قبل خراسان وسواد راياته من السؤدد لا من السواد، وقائد جنده أعظم الأفراد يقوم من وراء النهر في عدة مستعدة وأمجاد أهل قوة وشدة حتى يوافي شط الفرات ويقابل أبطال الغزاة، يا لها من فرحة ما أعظمها وجملة أعياد ما أكرمها، هذا والميم الخاتم الأعظم بين الركن والمقام وزمزم ينتظرون الوقت المعلوم وإن برز له من الحضرة مرسوم يأتيه الإذن بالظهور في أشرف الشهور فيأتي بخواص أصحابه الكرام إلى غوطة الشام، ثم ينتهي سيره إلى عين تاب ويجتمع عليه قبائل الأعراب، فإذا وصل قونيه الحصينة يجتمع به صدر الباب العثماني على الرضا والتسليم عن إذن سين سليم الحميم.

هناك اتفاق الأمراء على الفتح المبين الخاتم لفتوحات أهل اليمن، ذاك هو الفتح الموعود به في الأصول لإعادة ذخائر بيت المقدس وكنزه المنقول بعد خراب رومية وهدم البيعة الذهبية، وهي أعظم مدينة يغنمها جند الميم، وهذه صفة البيعة وبيانها للتعليم.

أما التعليم فهو الإعلام بالسر المكتوب والتقسيم لبيان الأحرف المرقوقة لأربابها في الأس القديم واسم البيعة هيكل أهل الطغيان وحزب الشيطان وعباد الصلبان.

بعد هذه الوقعة لا تقوم لهم قائمة وهي الوقعة الخاتمة يرجع منها ميم الختام وميم الصدر المقدام إلى كاف القاف الجامع للأطراف المحفوظ الأكناف.

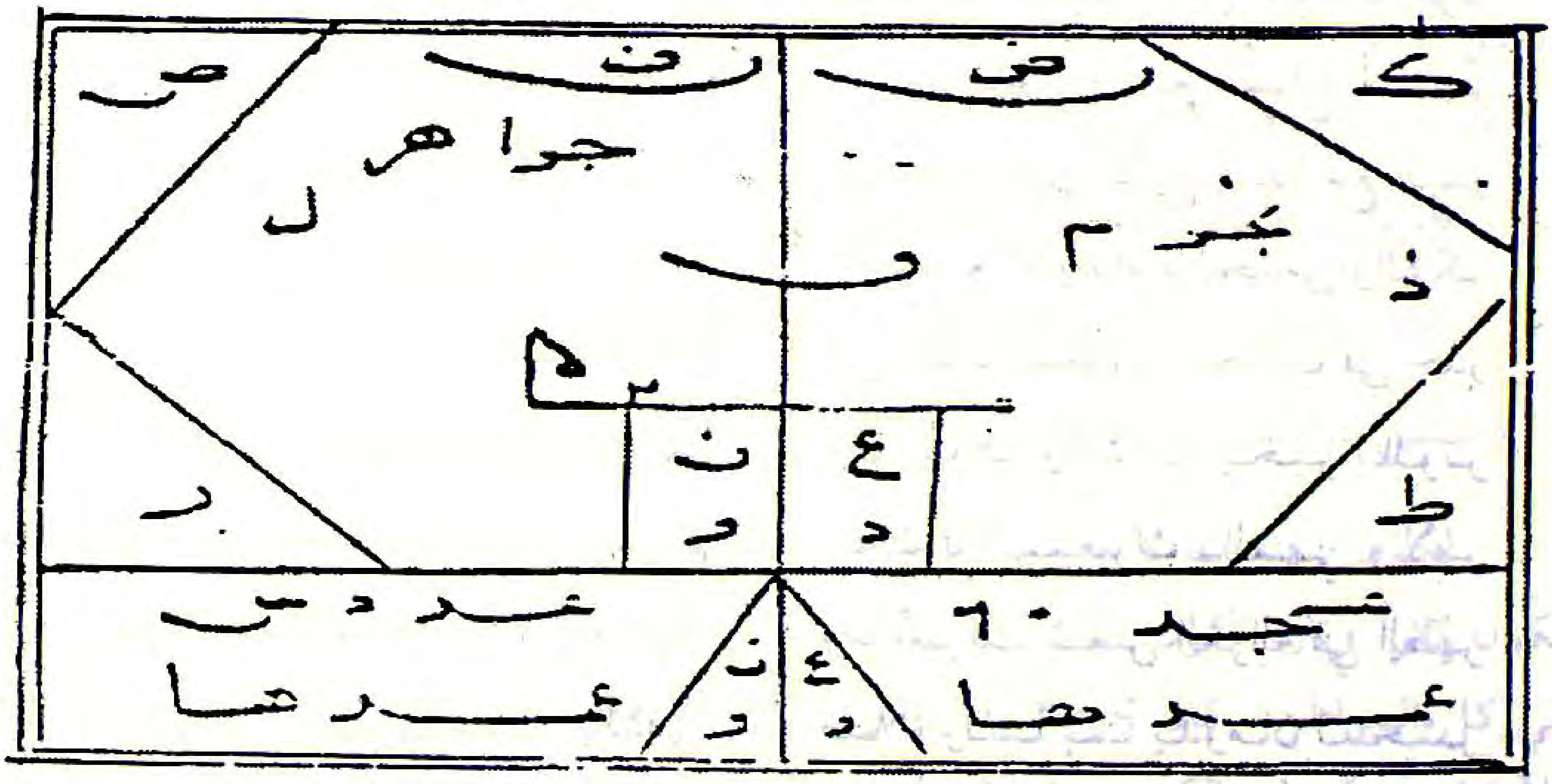

معقل الدين الحنيف ومقام العز والتشريف ينفرد بالمقام فيه ذلك المقدار مع سين الوقت القائم في بابه بأتم النظام، ويرجع صاحب الديوان إلى مستقره مع يحيى صاحب سره الذي لم يقف أحد على حقيقة اسمه ومقره، معلوم عند علماء الرسوم، وعند ذلك تندمج الميم في العين ويزول العرض من البين وينفرد العين بالملك دون مشاركة، ومدته هي المدة المباركة وقد قلت في ذلك قصيدة:

يقوم بأمر الله في الأرض ظاهر ... على رغم شيطائل يمحق الكفر
يؤيد شرع المصطفى وهو ختمه ... ويمتد من ميم بأحكامها يدري
ومدة ميقات موسى وجنده ... خيار الورى في الوقت جلوا عن الحصر
على يده محق اللئام جميعهم ... بسيف قوي متين عسى تدري
حقيقة ذاك السيف والقائم الذي ... تعين للدين القويم على الأمر
لعمري هو الفرد الذي سريانه ... بكل زمان في مظاهره يسري
تسمى بأسماء المراتب كلها ... خفاء وإعلاناً كذلك إلى الحشر
أليس هو النور الأتم حقيقة ... ونقطة ميم منه إمدادها يجري
يفيض على الأكوان ما قد أفاضه ... عليه إله العرش في أزل الدهر
فما تم إلا الميم لا شيء غيرُها ... وذا العين من نوابه مفرد العصر
هو الروح فاعلمه وخذ عهده إذا ... بلغت إلى مدٍ مديد من العمر
كأنك بالمذكور يهبط راقياً ... إلى ذروة المجد الأثيل على القدر
بذا قال أهل الحل والعقد فاكتفي ... بنصهم المثبوت في صحف الزبر
فإن تبغ ميقات الظهور فإنه ... يكون بدور جامع مطلع الفجر
بشمس تمد الكل من ضوء نورها ... وجمع دراري الأوج فيها مع البدر
فلا تك في ريب مريب لريبة ... قد ودمع الأوهام والحدس والفكر
وخذ محض علم الحق من أحرف بدت ... عن الفرد المغرور للحجب في حذر
مبنية في مخضها وانبساطها ... وتوليدها والشفع يخبر بالوتر
وصلِّ على المختار من آل هاشم ... محمد المبعوث بالنهي والأمر
عليه صلاة الله ما لاح بارق ... وما أشرقت شمس الغزالة في الظهر
وآل وأصحاب أُولي المجد والتقى ... صلاة وتسليماً يدومان للحشر

تنبيه وإشارة:

اعلم أيها الطالب لإيضاح حقائق الأمور قد جرت عادة أرباب الحقائق وأصحاب الطرائق بالتقديم والتأخير ولا معيب عليهم في ذلك لأنها قاعدة كلية عليها اصطلاح الجمهور لإسبال الستور على البدور، وذلك من مقتضيات الحكمة فلو ذكروا الأشياء على التوالي لكان ذلك قادحاً في كونها حكمة ولكون العلوم السرية لا تكون إلاّ هكذا بالتقديم والتأخير وخلط الكلام على غير العالم النحرير، وفائدة ذلك دوام تعلق الخاطر والآمال بالبحث عن مجهولات الأمور، والنفوس مجبولة على حب طلب العلوم الخفية لما فيها من الاستعداد والقبول لذلك الأمر الخفي، فهذا هو السبب الخاص بهذا الفن وغيره، وحيث انتهى بنا القول إلى هنا فلنرجع إلى دقائق ودقائق أعداد الأحرف المركبة من الدال إلى النون التي بين الدائرتين من الشجرة الأصليَّة فنقول وبالله التوفيق، إذا أحصيت الأعداد كلها وجمعتها بالجمل الكبير جملة واحدة من الدال إلى النون كما ذكرنا ونبهناك عليه، فاقسم ذلك العدد وتلك الجملة أربعة أقسام صحيحة.

وخذ القسم الواحد وعمر به جدول الدال واستنطقه ينطق لك بأحرف عربية فيها غرائب وعجائب تخبرك بحوادث ووقائع وأسماء رجال إذا ركبتها تركيب الاصطلاح بالاعتدال الطبيعي، ومن أعجب العجب أنك إذا عالجت الأقسام الثلاثة بما عالجت القسم الأول تظهر لك الأحرف غير ناطقة، ولو ركبتها إذا أبدلتها بحكم الطبيعة فإنها تنطق وهذه نكتة عجيبة، وفي عشر العدد إذا قسمته أعشاراً ما هو أبلغ من هذا، وجدوله جدول الياء فاعرف قدر هذه الأصول ولا تفش سرها لغير أهلها، فإن حروف النسق الذي ذكرناه ما تركبت إلاّ على جمل من الأسرار الكونية فالحروف لها كالأصداف للجوهر لا يبلغها إلاّ الغواصون المشار إليهم بقوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

الذين يذوقون حلاوة العلم بأنواع التبيان كما قيل في ذلك:

دعني بالتلويح يفهم ذائق　　　غني عن التصريح للمتعنت

لكون المتعنت لا يطلب إلاّ التصريح بالأمر والتصريح تارة يكون حراماً وتارة يكون كفراً وتارة يكون جائزاً ولا يكون حلالاً إلاّ فيما مدحه الشرع لا غير فمن طلبه في كل المواطن، كان جاهلاً بالأمر ولا كلام لنا معه، فقد تقرر بهذا البيان أن علوم الأسرار مبنية على الكتم دون الإفشاء في الأصول المقررة في الإنشاء فافهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وربَّ قائل يقول: ما فائدة تأليف الكتب والرسائل وتصنيفها وقد قلتم بالكتم وعدم الإفشاء وأحلتم على معرفة الأصول والذوق الصحيح، الجواب: أنه لم تزل علماء الأمصار وأقطاب الأعصار يتنافسون في تأليف الكتب والرسائل ويودعونها جواهر العلوم النفيسة ويقيمون أساسها على قواعد الرموز والألغاز والإيحاء والتلويح والمجاز، ويبتغون مفاتيح تلك العلوم لأربابها كل ذلك صيانة للأسرار وحفظاً لذخائر الأخبار، فالكتم أولى والرمز أجلى والتلويح أعلاه حتى يتعين كفؤ كريم، هذا جواب من أنكر على الرموز والألغاز وطلب بيان الحقيقة من غير المجاز فافهم.

والله سبحانه أعلم ولنختم هذه الرسالة بخاتمة وجيزة إجمالية، نذكر فيها أسرار القران الذي يتعين في عام سين الغين وتتكرر شواهده مرات عديدة إلى مدة مديدة ذلك باجتماع أعيان الكواكب في مركز واحد تظهر نتيجة ذلك القرن إذا ظهرت العلامة السماوية حمرة لائحة، وهي إشارة واضحة من أحكام قيام الأعراب على ساق وظهور صاحب الرستاق يفني عددهم ويقطع مددهم ويرجع إلى عشة بالكنانة ويكون مر عشر الحرف الإحاطي، وذلك أوان اجتماع الآراء على رأي واحد ينعقد ذلك الرأي عقدة لا تنحل في دائرة القاهرة وهي الآية الباهرة يأتي الكلام على حوادث ما بعدها في مختصر الرسالة فافهم والله سبحانه وتعالىٰ أعلم والحمد لله أولاً وآخراً.

تنبيه وتقرير لما سبق

اعلم أن معظم الحوادث بالكنانة بعد بغي لكونها تفتح باب الغي وترادف الحوادث إلى عام فرض، فمنها حدوث الطاء وتكراره مرات ويفتح باب الغي رحيم الكنانة إذا حصل القران الأصغر فترجم له قاف ذميم يتلوه ميم في عدد زي سنين يقوم بشد الغارة بالنفس الأمارة وعلى يده فتك بأرباب الإمارة تاريخه زيغ وبعده نفتح الفردة الأخرى من الباب في توقع نزع فيعم الجور براً وبحراً، قال في أضلاع الشجرة إذا عمرت أسوان وحكمت النسوان وكثرت الخصيان وكبرت الغربان ضعفت غلبة السلطان واختلفت آراء صدور آل عثمان هذا إذا ظهر النجم الطويل وصار الطبيب عليل..

قال شارح المفتاح: أسوان من مصر حصن البربر قديماً ثم ملكها فقط الرومي الأكبر وجعلها حصناً له ولجنده، ولما ظهرت الملة الإسلامية وكان القرن في الميزان وإن أوان فتح البلاد المصرية كانت أسوان من جملة الحصون التي فتحها المسلمون، وكان عامل مصر إذ ذاك عمرو بن العاص وهو أمير القوم على مصر ونواحيها، فلما تم فتح مصر وما حولها من المدن والقرى كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبشر بما فتح عليه وذكر أسوان بصفتها وقوة حصنها وأن الصحابة رضي الله عنهم هدموا أسوارها حتى لا تؤخذ مرة أخرى فلما قرأ أمير المؤمنين الكتاب دفعه إلى سيدنا الإمام علي رضي الله عنه وكرَّم وجهه فقرأه واستوفى قراءته ثم قال: نعم عندي علم أسوان به أخبرني سيد ولد عدنان وأخبر أنها تصير خراباً إلى آخر الزمان حتى يتم عدد غين الجامدة دون المتحركة بتمام عشرة بعدها يظهر حرف الياء الترابي من قبل صاحب مصر فيعمرها ويحفل بها لكنه لا يتم تعميرها ويقضي، ثم يقوم عين بعد برهة من الزمان فيتم تعميرها وتصير معقلاً عظيماً وهي على جانب البحر بالوجه الجنوبي من الكنانة. وقوله في الشرط المذكور: إذا عمرت أسوان كان وكان نظراً إلى ما يحدثه الحق سبحانه وتعالى حال الاقتران في الأكوان، لكون أن الباري عزت عزته وجلت قدرته أودع أسراره في اقترانات الكواكب وأعظمها الكواكب

السبعة المشار إليها وهي: زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر إذ قد أودع الباري سبحانه وتعالى في كل منهم سراً من أسراره يظهر أثره في قطره المخصوص به وذلك مشهور عند أرباب الفلك، وقوله يكون ويكون من طريق إخباره، طابق ذلك العلم النجومي واستنبط فيه ظهور طالع النساء بالاستيلاء على مراتب الرجال والتحكم فيها بلا مجال، فلذلك قال تظهر النسوان وتكثر الخصيان نظراً إلى اقتران الزهرة بعطارد، وقوله: تضعف غلبة السلطان، ذلك من تصرف من ليس له رتبة التصريف في ذلك اختلاف أمور الكون وإشعار بنقض وإبرام، وقوله: الغربان فلا ندري أهي إشارة إلى كثرة المفاسد من الغربان كما هو المفهوم من ظاهره أو تكون إشارة إلى قوم نعوتهم تشبيهاً بهم والله أعلم بحقيقة الحال.

في رمزه قيام الروم بدليل العلوم قد ذكره الإمام الصفدي في رسالته ونبه عليه أن يكون تمام نون الغين تفتح الجزيرة البحرية بالمراكب السحرية، وذلك إذا ظهر مسجون النساء عسى المساء ذلك الألف المطلوب المحذوف المعطوف على بقية الحروف قيامه بعد الميم وهو الأخ الحميم نعته رحيم يقوم بمنقبة فيها متعبة للعموم بدليل معلوم على يده فتح الجزيرة، يقوم بأمره ميم وصاد والجيم القائم لمصالح العباد والأجناد، ويستمر إلى عدد غين يا زين وبالكنانة رجفات وتجديد حوادث وآفات ورجات لولا رجال النجدة والحمية هلكت الرعية، وفيما بين النون والسين يظهر اليقين ورجال النجدة قطانها أعني الكنانة لتخصيصها بالإشارة الجفرية والطوالع الفلكية وكون عقد دائرة الشجرة عليها دون غيرها، وأما القران الأخير المشار إليه في بحصولها في آخر درجة الميزان فانتظره في عدد فرض واكتم هذا الأمر، فإنه من الفرض فيما بين ذلك من الحوادث ما لا يحصى كثرته فتدبره واستنبط خبره من الأصول الحرفية والقواعد الجفرية، وقد ذكر شارح الميزان خبر هذا القرن إذا قابل المريخ كيوان في آخر درجة من الميزان وذكر الخروج لكن ليس على ظاهره كما تقدم ذكره بل هو خروج عدل لا خروج جور بالنظر إلى تجديد الشريعة وسد الذريعة وذلك عند ظهور الختم المشار إليه في دسغ العدد وهو صاحب المدد، وأما الدولة العثمانية فلا انقراض بها إلاّ بعد تمام! يقع الجفرية فافهم والله أعلم.

تنبيه على أسرار عجيبة: عند ظهور القران في أشهر عام النون اعلم أنه سيحصل في الكنانة رجات ورجفات يتكرر حدوثها إلى برج الميزان، وفيما بين ذلك تحريم الجيم مرات إلى تمام الميقات والظفر للحروف المائية للمناسبة بين الماء والهواء.

وأما الأحرف النارية: ففي حكم طبائع الطوالع في ضنك وشدة ووهن لا يشاركهم غيرهم، ويستمر إلى غاية العام عام حاء النون، ثم يظهر نجم المسجون وهو صاحب السر المصون ذلك حرف الميم الخاتم لاسم رحيم بظهوره يظهر سعد قطان الكنانة وتسكن الحركات برهة وهي آفة وأفرادها كامنة إلى قران آخر دسغ العدد فاطلب المدد ولا تركن إلى أحد وسل عن عام الغين ينبئك بما فيه ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وقد تقدم ذكر حوادث إجمالية ينسحب حكمها إلى ايقغ فلا حاجة إلى تكرارها وقد تقدم التنبيه إلى فروع الشجرة النعمانية وهنا تم بتمامها ولم يبق إلاّ أحكام القران الأكبر بعد عام ايقغ وقد أفردنا له رسالة عجيبة سميناها الاهتمام بأمر الختام، والله سبحانه أعلم بغيبه وأحكم لا راد لأمره ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وإليه المرجع والمآب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبيَّ بعده محمد وآله وصحبه وسلم، ووافق الفراغ من كتابتها يوم الأربعاء المبارك ثاني عشر محرم الحرام سنة ١٠٨٠هـ على يد أفقر عباده وأحوجهم إلى عون ربه الجواد عبد القادر بن السيد محمد السرجاوي الحلبي الشافعي مذهباً نزيل جده.. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم... آمين.

مطلب المهدي

هذا وإن خروج السيد المهدي عليه السَّلام، لا بد منه ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم وجاء بالسيد المهدي مع أشراط الساعة.

وبيان هذا اليوم المذكور هنا مأخوذ من قول النبي ﷺ «إن صلحت أمتي فلها يوم وإن فسدت فلها نصف يوم»[1] يعني من أيام الرب المشار إليها بقوله تعالى:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

قال بعض العارفين: وأول الألف محسوب من وفاة سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء لأن تلك المدة كانت من جملة أيام نبوته ﷺ ورسالته فمهد الله تعالى للخلفاء الأربعة البلاد.

ومراده ﷺ أن بالألف مدة سلطان شريعته إلى انتهاء الألف ثم تأخذ في ابتداء الاضمحلال إلى أن يصير الدين غريباً كما بدا، وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضي ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر، فهناك يترقب خروج المهدي ﷺ وهو من أولاد حسن العسكري ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان يجتمع بسيدنا عيسى عليه السلام فيكون عمره إلى وقتنا هذا ثمان وخمسين وتسعمائة سنة فصار عمره تسعمائة وثلاث وستين.

وعبارة الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات، قال: اعلموا أنه لا بدَّ من خروج المهدي ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة رضي الله عنها جده الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده حسن العسكري ابن الإمام النقي بالنون بن محمد التقي بالتاء ابن الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يوطىء اسمه اسم رسول الله ﷺ، يبايعه المسلمون بين الركن والمقام، يشبهه رسول الله في الخلق

(١) أورده المناوي في فيض القدير (ج٣ ص٥٤٧).

بالفتح وينزل عنه بالخلق بضمها، إذ لا يكون أحد مثل رسول الله ﷺ في أخلاقه والله تعالى يقول:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [ن: ٤].

وهو أجس الجبهة أقنى الأنف أسعد الناس فيه أهل الكوفة، يقسم المال بالسوية ويعدل في الرعية، يأتيه الرجل فيقول يا مهدي أعطني وبين يديه المال فيحشي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله، يخرج على فترة من الدين يزع به ما لا يزع بالقرآن، يمسي الرجل جاهلاً وجباناً وبخيلاً فيصبح عالماً شجاعاً كريماً، يمسي النصر بين يديه يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، يقفو أثر رسول الله ﷺ يعطى له ملك يسدده من حيث لا يراه، يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق، ويفعل ما يقول ويقول ما يفعل، ويعلم ما يشهد، يعلمه الله في ليلة يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألف من المسلمين من ولد إسحاق، يشهد الملحمة الكبرى مأدبة الله بمرج عكا يبيد الظلم وأهله ويقيم الدين، وينفخ الروح في الإسلام يعز الله به الإسلام بعد ذله ويحييه بعد موته، يضع الجزية ويدعو إلى الله بالسيف، فمن أبى قتل ومن نازعه خذل، يظهر من الدين ما هو عليه في نفسه حتى ولو كان رسول الله ﷺ حياً لحكم به فلا يبق في زمانه إلا الدين الخالص عن الرأي، يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم أن الله تعالى ما بقي يحدث بعد أئمتهم مجتهداً، وأطال في ذكر وقائعه معهم.

ثم قال واعلم أن المهدي إذا خرج يفرح به جميع المسلمون خاصتهم وعامتهم، وله رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له، يتحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى له، ينزل عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئاً على ملكين ملكاً عن يمينه وملكاً عن يساره والناس في صلاة العصر، فيتنحى له الإمام عن مكانه فيتقدم فيصلي بالناس يأمر الناس بسنة محمد ﷺ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدي إليه طاهراً مطهراً، وفي زمانه يقتل السفياني ويخسف بجيشه في البيداء، ومن كان مجبوراً من ذلك الجيش مكرهاً يحشر على نيته، وقد جاءكم زمانه وأظلكم أوانه قد ظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله ﷺ وهو قرن الصحابة ثم الذي يلي الثاني، ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء فاختفى إلى أن يجيء الوقت الموعود، فشهداؤه خير الشهداء وأمناؤه أفضل الأمناء. والله سبحانه وتعالى أعلم وبعباده أرحم.. انتهى يواقيت.

شق الجيب
بعلم الغيب

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد

ابن عربي الحاتمي

المتوفى ٦٣٨هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الذي وفقني للسباحة في علم اليقين، وقوّاني على إخراج الدرر من أصداف العبارات، والاستعارات العجيبة، والأوضاع الجديدة، الواردة على قلبي بإلهام ربي، وهي في الحقيقة دُررُ عوارفه في حق العارفين. والصلاة على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فلما فرغت من كتاب اليقين بالتماس الولد العزيز الأعز محسن الدين، وقد رغب في حفظه، ووافقه الولد العزيز ذو النسب الصحيح والحسب الصريح زين العابدين، زينهما الله بإخلاص المخلصين، فخطر ببالي في أثناء اشتغالي بالصلاة، بين العشائين، أن ألتقط منه ما يحتاج إليه طالب معرفة العالم الكبير، وأسَمِّيه:

بـ «شق الجيب بعلم الغيب بكن ويكون ودرُّ الدرر».

فاستخرت الله تعالى فيه فوجدت شرح الصدر. فعافصتني هذه الخطبة نشرت بعد الفراغ عن صلاة العشاء، وقلت:

اعلم

يا طالب درة المعرفة، أنّ الشيء الذي يصدق إطلاق القِدَم عليه لا يخلو من أن يكون مستغنياً بجميع الوجوه عن غيره أو لا. فإن يكن فهو ذات الله الأحد الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وله القِدَمُ على الصفات ثابت من حيث الذات.

وهذا القِدَم عبارة عن ما لا يسبقه شيء بالسبقات السبع: الذاتية، والمصدرية، والعلية، والمكانية، والزمانية، والرُّتَبِيَّة، والطبيعية. وإن لم يكن مستغنياً بجميع الوجوه عن غيره فلا يخلو من أن يكون داخلاً تحت أمر كن بالإيجاد والإفاضة أو لا.

فإن يكن داخلاً فلا يخلو من أن يكون سرمدياً أو لا. فإن يكن داخلاً فهي الصفات المفتقرات في القيام إلى الذات، ولها القدم ثابت على قيام الأفعال من حيث المصدري، وإن يكن فهي الأفعال المفتقرات في صدورها إلى مصادرها، ولها القِدَمُ ثابتٌ على الآثار الظاهرة بسببها من حيث العُلَى. والعبارة عن هذين القِدَمين هي أن لا يكونا داخلين تحت الأمر. فإن لم يكن سرمدياً فلا يخلو من أن يكون مسبوقاً بزمان إفاقي أو لا، فإن لم يكن فهي بالبسائط الحقيقية التي وجدت بالفيض الإيجادي بلا واسطة، المفتقرة إلى فيض الإيجاد والإبقاء، والنسبة التي وجدت بالفيض الأمري بواسطة العقل، المفتقرة إلى فيض الأمر، ووساطة العقل، وهذا القدم عبارة عن ما لا يسبقه الزمان الإفاقي، وإن كان مسبوقاً فهو كالمتولدات المفتقرة إلى مفرداتها بالتركيب، وإلى فيوض المفردات الإيجادية والأمرية، وإلى المؤلَّفات كلها. وهذا القِدَم عبارة عن طول الزمان كالعرجون القديم، والبينونات القديمة.

ثم اعلم

أن الآثار الظاهرة بسبب العقل الصادر عن الصفة الدَّال عليها اسم الموجد الخلاق، الثابتة للذات حين تجلّيه ليعرف ممكن الوجود، وهو عبارة عما يكون متساوي الطرفين في الجواز، وهو على قسمين:

- مقوم نفسه. - وغير مقوم نفسه.

فالمقوم نفسه على قسمين:

- مفرد. - وغير مفرد.

فالمفرد المعبر عنه بالجوهر على قسمين:

- إيجادي. - وأمري.

فالإيجادي: الذي هو البسيط الحقيقي لا يخلو من أن يكون قابلاً لنقوش الفيوض المتواترة، الفائضة من حضرة الحق المتعالي أو لا. فإن يكن فهو اللوح المحفوظ المعبر عنه بالعقل، الذي هو أثر أول فيض مخصوص بالحكمة وظلها. وقد أشار النبي ﷺ إلى أوليته في مرتبته بقوله: «**أول ما خلق الله العقل**»(١).

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٨٢٣) [١/ ٢٣٦] والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب [١/ ١٣] وأورده غيرهما.

وهو أول شيء عقل به بعقال الإمكان، بحيث عقل نفسه وموجده، وأنه مأمور بالاستفاضة في المرتبة اللوحية، وبالإفاضة في مرتبة الخلافة، وإن لم يكن قابلاً لنقوش الفيوض لا يخلو من أن يكون ملاقياً للّوح أو لا، فإن يكون فهو المداد المعبر عنه بالنور المحمدي، المشار إليه وإلى أوليته بقوله: **«أول ما خلق الله نوري»**(١).

وفي حديث آخر: **«فإن المداد نوري»**(٢).

وهو أثر أول فيض مخصوص بالقدرة وظلها.

وإن لم يكن ملاقياً للّوح فلا يخلو من أن يكون أقرب الأوليات إلى حضرة الحق المتعالي أو لا. فإن لم يكن فهو الدواة المعبّر عنه بالروح الأحمدية المشار إلى أوليتها في مرتبتها بقوله: **«أول ما خلق الله روحي»**(٣).

وهو أثر أول فيض مخصوص بالإرادة وظلها، وإن يكن أقرب الأوليات إلى الله تعالى فهو القلم المعبر عنه بالخفي عند عارفي أرباب الطريقة من الصوفية المشار إلى أوليته في مرتبته بقوله: **«أول ما خلق الله القلم»**(٤).

ثم النون: وهي الدواة، وهو أثر أول فيض مخصوص بالعلم وظلّه. وتيقن بأن العلم ما لم يفض لم تتيقظ الإرادة، وما لم تتيقظ الإرادة لم تنتبه القدرة، وما لم تنتبه القدرة لم تتقن الحكمة للقدر المقدر والمراد المعلوم.

فالحكمة متقنة للقدر المقدور.

والقدرة منبعثة بأمر الإرادة المخصصة لما في العلم.

والعلم منتظر لتجلي الله الأحد الواحد.

والأَمْرِي: لا يخلو من أن يكون قابلاً للتأليف أو لا. فإن لم يكن فهو جوهر النفس المعبر عنه بالعرش الفائض من لوح العقل بأمر الحق، من حيث تعقَّله موجده فصار ظل القلم.

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (٨٢٦) [١/ ٢٣٧].

(٢) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٣) انظر الحديث الذي أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (٨٢٦) [١/ ٢٣٧].

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٣٦٩٣) وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (٤٧٠٠) ورواه غيرهما.

وإن يكن فلا يخلو من أن يكون ذا فعل أو لا. فإن يكن فهو جوهر الصور؛ الفائض من لوح العقل بأمر الحق، من حيث تعقله؛ أنه مأمور بالإفاضة فصار ظل الدواة.

وإن لم يكن فهو جوهر المادة الفائض من لوح العقل بأمر الحق من حيث تعقله أنه مأمور بالاستفاضة. فصار ظل المداد غير المفرد المعبر عنه بالجسم. وهو عبارة عما يصدق عليه إطلاق التأليف والتركيب الحاصل من فيض أمر العقل. وهو على قسمين: - مؤلف. - ومركب.

فالمؤلَّف: عبارة عما وجد من ائتلاف جوهري الصورة والمادة لا في زمان إفاقي.

والمركَّب: عبارة عما وجد من جوهرين فصاعداً في زمان إفاقي مفتقراً إلى الفيوض الفلكية ونيِّراتها وما فوقها.

والزمان الآفاقي:

عبارة عن بدء حركة الأفلاك وتعداد أوقاتها.

والزمان الأنفسي:

عبارة عن مقادير الله تعالى.

وقد أشار الله تعالى في آية واحدة إلى هذين الزمانين بقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

فاليوم إشارة إلى الزمان الآفاقي الأنفسي.

وألف سنة مما تعدون إشارة إلى الزمان.

والذي غير مقوم نفسه عرضٌ، وهو لا يخلو من أن يجوز طرآنه على الممكنات كلها أولاً. فإن يجز فهو الضعيف اللاحق بالوجود عند دخوله تحت ذل التكوين وتقيده بقيد الإمكان. وإن لم يجز فلا يخلو من أن يبقى مع من يقوم به كبقائه أو لا.

فإن يبق فهو كالحَيِّزُ للمفردات المُعبَّر عنها بالجواهر والمكان للأجسام المركبة والمؤلفة، وما يختص بالمؤلفات كتدوير الأفلاك، وإن لم يبق فهو كضوء الشمع على الجدار، وصفرة الخجل، وحمرة الوجل، والغضب حالة الجدل، مما يختص بالمركبات. وهو ما لا يبقى زمانين.

- **والحَيِّز**: عبارة عما ظهر مع كل موجود مفرد، بحيث لا يَسَعُ فيه غيره.

ـ **والمكان**: عبارة عما ظهر مع الجسم، بحيث لا يسع فيه غيرهُ كالطبع.

وأقسام العَرَض عشرة:

الحيِّز، والمكان كما مَرَّ ذكرهما.

والزمان الآفاقي الحاصل منه الثواني، والساعات، والشهور، والأعوام، والقرون، والأحقاب ـ بعد الفتق، والكيف، والكم، والوضع، والإضافة، والملك ـ وأن يفعل، وأن ينفعل.

ثم اعلم:

أن الله تعالى جَعَلَ الحيِّز دالاً على استوائه إلى السماء.

والزمان: دالاً على الأزل والأبد.

والكيف: دالاً على اللطف، والقهر، والرضا، والغضب.

والكم: دالاً على الأسماء الحسنى.

والإضافة: دالة على الأسماء المضافة كالإله، والرب.

والوضع: دالاً على الهداية والضلالة والنفع والضر.

والملك: دالاً على صفة مالكيته وتحقيق قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ﴾ [المائدة: ١٨].

والفرق بين المُلك (بضم الميم) والمِلْك (بكسرها) بيِّنٌ لأن المُلك (بالضم) يصدق [إطلاقاً] على جميع الممكنات.

وبالكسر: لا يصدق إلاّ على المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؛ فدخلوا بحكم البيع والشراء في دائرة مِلكيته (بكسر الميم)، بعد أن كانوا داخلين في مُلكه (بضم الميم) كسائر الممكنات. وأكملهم من خَصَّه الله بخصوصية العبودية.

وأن يفعل: دالاً على صفة فاعليته، وتحقيق قوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وأن ينفعل: دالاً على حكمته المتقنة للقدر المقدور المراد من المعلوم، والقدرة لا تتعلق بشيء خال عن الحكمة. ومن شأن الحكيم أن لا يفعل شيئاً عبثاً، وشاكلة الحكمة الصواب. فالله الحكيم خالق العالم على شاكلته. وجعل المقوم نفسه دالاً على ذاته القائم بنفسه. كما جعل غير المقوم نفسه دالاً على ما بيَّناه من قبل.

وقال لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

ثم اعلم:

أن خاتم التراكيب أخص أنواع الحيوان، وهو الإنسان. الذي هو أبعد الأشياء عن حضرة الوحدة في الصورة، وأقرب الأشياء إليها في المعنى. وكل فرد من أفراده عالم تام صغير بالجثة كبير بالمعنى، فيه شيء ليس في العالم الكبير بالجُثَّة وهو مرآة مدركة، ذوق مشاهده، عكس جمال الشاهد المنطبع فيها المعبر عنها باللطيفة الأنانية.

التي هي عبارة عن الحقائق التي قامت بها المفردات الإيجادية والأمرية، والمؤلفات والمركبات أحدثها الفيض من الله تعالى عند تجليه بالصفة الواحدية. ليعرف المعبر عنه باللطيفة الحقيّة (بالحاء المُعَرَّاة، والقاف) من البدن المجتمع فيها العناصر الأربعة، من حيث الاعتدال التام، القابل لفيوض المفردات الإيجادية والأمرية، التي هي الجواهر والأجسام المؤلفة اللطيفة ونيّراتها إليه ليكون مرآة لوجه الله ذي الجلال والإكرام والجمال والكمال. وبها صار الإنسان أشرف الموجودات المشرَّف بسجود الملائكة وخلافة الأرض وعمارتها. وسخّر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً. وهي الأمانة الكبرى المودعة في الحضرة العظمى المستورة عن أعين أهل السموات العُلى والأرضين السُفلى من أخص الخواص من عباده المخلصين وقليلٌ ما هم. وهمُ الأعظمون الأجر، الأقلون العدد فانظر بعد بعين اليقين بكمال متابعة خير النبيين عليهم الصلاة والسلام في وجود العالم. وتيقين بأنه شخص واحد.

الأفلاك: بدنه الغير المحلول. والعناصر الأربعة وطبائعها أخلاطه الأربعة، والطبائع المختصة بها.

والكواكب الثابتة والسيارة: حواسه الظاهرة والباطنة، وقواه الخادمة والمخدومة.

والملائكة: قواه الروحانية الصالحة.

والجن المؤمن: قواه الزكية النفسانية.

والشيطان الكافر اللعين: قواه الفاسدة المخصوصة باللطيفة القالبية.

والنفس الكلية: لطيفته النفسية.

والعقل الكلي: لطيفته القلبية.

والمداد النوري: لطيفته الروحية.

والقلم القدسي الخفي عن عين العقل، التي لم تكن منورة بنور الحق الفائض من روزنة قلب النبي ﷺ لطيفته الخفية (بالخاء المعجمة).

والفيض الفائض بتجلي الأحد الواحد ليعرف لطيفته الحقيّة (بالحاء المعرّاة، والقاف).

والشهادة ظاهر برقه مما تراه حواسه: العين الظاهرة.

والغيب: باطنه مما تراه حاسة البصيرة الباطنية.

والفصول الأربعة: نفوسه الأربع:

الأمّارة الشتوية، واللوّامة الربيعية، والملهمة الصيفية، والمطمئنة الخريفية.

والمواليد: الثلاثة الحروف، والأباجاد، والكلمات، والإنسان الذي هو خاتم لأبنية التراكيب، كلامه الكامل الذي يَحْسُنُ السكوت عليه. فإنه المقصود من الحروف والأباجاد والكلمات، والشقي والسعيد، والخبيث والطيب منه، والجحيم والجنة، شعور المتكلم بخبثه والتألم به وبطيبه والتنعم به، والربع المسكون من الأرض المكشوفة التي هي مستقر المواليد، ومزرعة الآخرة، ودار الكسب وقابلة الكون والفساد بدنه المحلول المنفعل كل لمحة.

والجبال: عظامه.

والأنهار: عروقه.

والأشجار: أشعاره.

والأقاليم السبعة: أعضاؤه.

وقِسْ البواقي على ما رمزته إلى أصولها، إن كنت من أهل الاستنباط، وتيقن بأن المرآة الكاملة الأحقية عن الشروق والغروب، والدائرة مع الحق في شؤون التجليات كلها أبد الآباد لطيفة أنانية خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين محمد الأمين عليه الصلاة والسلام. أصالة، ولمن قبله من النبيين، ولمن بعده من الأولياء تبعية.

ولقد صدق الصدوق عليه الصلاة والسلام حين يحدث بنعمة ربه من حيث أمره به: **«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»**[(١)].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر الخبر المصرح بأن هذا القول...، حديث رقم (٦٢٤٢) [١٤/ ١٣٥]، والحاكم في المستدرك، ذكر أخبار سيد المرسلين...، حديث رقم (٤١٨٩) [٢/ ٦٦٠]، والترمذي في جامعه الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم (٣١٤٨) [٤/ ١٥٩] ورواه غيرهم.

وفي حديث آخر: «**لو كان موسى حيًا لما وسعه إلاّ اتباعي**»[(١)].

وقد اطلعنا من حيث اليقين أن معلم موسى متبع شريعته الزهراء اليوم، وبها يربي أصحابه.

ثم اعلم:

أن وجدان ذوق مشاهدة عكس جمال المرآة الشاهد المنطبع فيها، والشاهد المتجلي حجب إدراك ذوق عكس جماله، فحق أن يقول: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ثم بالصبر على المشاق في طلبها، ثم بالتقوى عن وقع الغبار والأكدار على وجهها والتراكم، ثم بالإحسان في مراتبها ومراعاتها، بمحاذاة الوجه دائماً من غير انحراف. إلى هذا السرّ أشار ونص القرآن حيث قال لنبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

وحَقَّ له أن يقول: «**شيبتني هود وأخواتها**»[(٢)].

والإيمان بلا طهارة الظاهر والباطن لا ينفع. والصبر بلا توكل لا يصح. والتقوى بلا توبة لا تنجح. والإحسان بلا قسط في الأمور لا يتم.

ولأجل هذا أثبت الله ولايته، ومحبته للمؤمنين، والصابرين، والمتقين، والمحسنين، والمطهرين، والمتوكلين، والتائبين، والمقسطين، بقوله:

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

ولا يمكن التمتع بولاية الله تعالى، ومحبته إلاّ بعد الاحتراز عما لا يحبه الله، كما بيّن في كتابه بقوله:

---

(١) رواه أحمد في المسند عن جابر بن عبد الله، حديث رقم (١٥١٩٥) [٣/٣٨٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه، عن جابر، حديث رقم (٢٦٤٢١) [٥/٣١٢] ونصه: «**والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**».

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، تفسير سورة هود...، حديث رقم (٣٣١٤) [٢/٣٧٤]، والترمذي في جامعه الصحيح، باب ومن سورة الواقعة، حديث رقم (٣٢٩٧) [٤/٢٤٥]، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١٠٧) [١/١٠٢] ورواه غيرهم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

فالمتمتع بالولاية أو المحبة ينبغي أن يكون بريئاً عن الكفر، والفساد، والظلم، والخيانة، والاستكبار، والفرح بغير الحق. المورث للبطر، وعن الإسراف الذي هو الإفراط، والاعتداء الذي هو التفريط. متقياً عن صحبتهم وموالاتهم. وقد منع الله تعالى عنها [المؤمنين] بقوله:

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

وفي آية أخرى قال:

﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

وفي آية أخرى قال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: ٥٧].

ثم اعلم:

أن مشاهدة عكس جمال الشاهد المشهود، المحب المحبوب، المنطبع في المرآة المعبر عنها باللطيفة الإنسانية يكون صورته نورية وذوقية خالصة غير مشوبة بالمعنى، والنور، والصورة، ولا يمكن الخلاص عن الغلط الواقع في كل واحد منهما، بداية، ووسطاً، ونهاية؛ إلاّ بالتمسك بما في سورة الإخلاص من وجوب وجود الله تعالى ووحدانيته ونزاهته عن جميع ما يكون خاصة الممكن إجمالاً وتفصيلاً.

ثم اعلم:

أنه ليس لهذا الذوق نهاية، لأن تجليات الحق المتعال غير متناهية، وبكل تجلٍّ تزيد سعة المرآة وصفاؤها، وبقدر السعة والصفاء يزداد حُسن عكس جمال الشاهد المنطبع فيها، وبقدر زيادة الحسن تزداد قوة إدراك المرآة وذوق حسن عكس الجمال أبد الآباد.

ثم اعلم:

أن اللطيفة القلبية المكنّى عنها بذات الصدور عبارة عن قابلية حاصلة عن اجتماع العناصر في هيئة معتدلة تامّة مستفيضة من الأجرام اللطيفة الفلكية، ونيّراتها مستعدة لقبول فيض الكرسي، المعبّر عنه بالفلك الأطلس الساذج، عن نقوش الكواكب المعروض عليه، التي كانت نقوشها محسوسة بالرصد، مقسومة على السماء الدنيا، المزينة بزينة الكواكب، الثابتة. المنوطة بها صلاح الدنيا وفسادها، وسعادة أهلها ونحوسهم، وبذلك سُمّي بالسماء الدنيا لدنوّها منّا المشرفة بشرف الاستواء المعدّى بإلى بعد الفتق لتسوية السموات السبع، وتدبر كل أمر سماء منها مخصوصة بكوكب سيار من الكواكب السبعة المسماة بالجوار الكُنّس ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

المحرك للأفلاك الثمانية بالجبر من المشرق إلى المغرب على خلاف حركتها غالباً بلا واسطة الأفلاك والأنجم، وفيض العرش المعبر عنه بالنفس الكلية التي هي جوهر غير مفارق، وغير قابل للتأليف مغلوباً.

وبهذه اللطيفة القابلية القلبية يمتاز الإنسان من الحيوان لأنها تبقى بعد خراب البدن المحلول المشاهد الذي به يشارك الحيوان في قبول الفيوض الفائضة من الأجرام اللطيفة الفلكية، ونيّراتها.

واللطيفة النفسية: عبارة عن قابلية حاصلة من فيض الكرسي والعرش مستعدة لقبول فيض العرش غالباً واللوح مغلوباً بلا واسطة الكرسي.

واللطيفة القلبية: عبارة عن قابلية حاصلة من فيض العرش واللوح مستعدة لقبول فيض اللوح غالباً والمداد مغلوباً بلا واسطة العرش.

واللطيفة السّرّية: عبارة عن قابلية حاصلة من فيض اللوح والمداد مستعدة لقبول المداد غالباً، والدواة مغلوباً بلا واسطة اللوح.

واللطيفة الروحية: عبارة عن قابلية حاصلة من فيض المداد والدواة مستعدة لقبول فيض الدواة غالباً والقلم مغلوباً بلا واسطة.

واللطيفة الخفية، (بالخاء المعجمة والفاء): عبارة عن قابلية حاصلة من فيض الدواة والقلم مستعدة لقبول فيض القلم غالباً، وفيض تجلي الله بالصفة الواحدية ليعرف مغلوباً بلا واسطة العرش والدواة.

واللطيفة الحقية، (بالخاء المُعرّاة والقاف): عبارة عن قابلية حاصلة من العلم وفيض تجلّي الله بالصفة الموجدية المغلوب مستعدة لقبول فيض تجليه بالصفة الواحدية غالباً، والواحدية مغلوباً في البداية. وفيض تجلي الصفة الأحدية غالباً، والذاتي مغلوباً في الوسط. ولقبول الفيوض كلها من حيث الاعتدال التام غير غالب ولا مغلوب. كما أن البدن المحلول الذي هيّأه الله تعالى في هيئة معتدلة تامة، ليكون مشيمة لجنين البدن المكتسب في مضيق بطن معالم الكون والفساد حق خاتم التراكيب الذي هو الإنسان.

والبدن المكتسب: عبارة عن اجتماع الأمريات المتفرقات في العنصريات المستكنة فيها حين اجتماعها في هيئة معتدلة حين جذبها فيض النفس المدبر لها لعلة المجانسة إليه لتكون متشبهة متثبتة.

والباء في غير المنفصل عنه في البرزخ والحشر، والجنة والجحيم أبد الآباد، وغلافاً للمرآة المعبر عنها باللطيفة الإنسانية، ولولاه ما أمكن الإشارة إلى أحدٍ أنّه زيدٌ وبكرٌ، شقي أو سعيد، وكما أن الامتياز بين زيد وبكر في عالم الشهادة بالبدن المحلول للإنسان الذي هيّأه الله في أحسن هيأة معتدلة، وخلقَهُ في أحسن تقويم، وفي أحسن صورة، ففي عالم الغيب بالبدن المكتسب.

فإذا فهمت هذه الأسرار ما هممت في طرق بيانها، كن موقناً مطمئناً على ما في سورة الإخلاص من الإلهيات وعلى صدق ما أخبر [به] الأنبياء عليهم السلام من المغيبات وعلى ختم النبوة على النبي الأمّيّ محمد العربي ﷺ لتكون من المخلصين الذين لا يقدر الشيطان على إغوائهم كما أخبر عنه نص التنزيل.

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

[وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين].

وصل وتنبيه لمن له لُبٌّ نبيه

اعلم:

أن هذه العلوم ليست مما تدرك بالعلل والمنى، ولا وصلها الرجال بالهوينا والقصور، بل جَدُّوا واجتهدوا ولم يَفتُرُوا نهاراً، ولا ناموا ليلاً، ولا سحبوا ذيلاً. آذانهم مصمتة، وألسنتهم صامتة، واعتزال دائم، وفكر حاضرٌ ملازم، رداؤهم الحياءُ والسكينة، والوقار مِئزرُهم في حضرة الأسرار، هذه حالتهم آناء الليل وأطراف النهار.

ولا سبيل أن يقف على هذه الإشارات إلاّ أربابها. وهي أمانة بيدك، يا من حصلت بيده. فإن كان من أهلها حصل له مراده، وإن كان من غير أهلها فليبحث عن أربابها وأهلها، والله تعالى يقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وكل شيء لم تفهمه، ولم يبلغ به علمك، ولم يتصرف فيه عقلك، فهو أمانة بيدك، والله تعالى يكرمك بنور البصائر، ويصلح السرائر، ويصفّي الضمائر، ويُلحق الإماءَ بالحرائر، إنه المليء بذلك والقادر عليه.

فصل

قال السالك:

أشهدَني الحق الأنهار، وقال لي: تأمّل وقوعها.

فرأيتها تقع في أربعة أبحر:

الواحد: يرمى في بحر الأرواح. والثاني يرمى في بحر الخطاب. والنهر الثالث: يرمى في بحر الشكر. والنهر الرابع: يرمى في بحر الحب.

ويتفرع من هذه الأنهر الأربعة أربعة. ويتفجر من ذلك البحر المحيط ثم يرجع إليه بعد الامتزاج بهذه الأبحر الأربعة.

فقال لي:

هذا البحر المحيط.. يجري، لكن ادعت السواحل أنها لها، فمن رأى البحر المحيط قبل الأبحر والأنهار ثم الأبحر فذلك صِدّيقٌ.

[ومن] شاهده دفعة واحدة فذلك شهيدٌ.

كما أن من شاهد الأنهار، ثم الأبحر، فذلكم صاحبُ دليلٍ. ومن شاهد الأبحر، ثم الأنهار، ثم البحر، فذلك صاحب آفات، لكنه ناج.

ثم قال:

من كان من أهل عنايتي أنشأت له مركباً، فجرى به في الأنهار، فإذا رمت به في الأبحر جرى فيها حتى ينتهي إلى البحر المحيط. فإذا انتهى إليه علم الحقائق، وكشف الأسرار، وإلى هذا البحر ينتهي المقربون.

ثم قال:

فالمؤمن به صدَّقه وانصرف، والعالِمُ قام له البرهان فأقرَّ بصدقه واعترف، والجاهل نظر فيه وانحرف، والشاكُّ تحيَّر وتوقف، والظّان تخيّل وما عرف، والناظر يطلع ويتشوف، والمقلد مع كل صنف تعرَّف.

فصل

قال السالك:

فلقيت بالجدول المعين، وينبوع أزين فتى روحاني الذات، وربَّانيّ الصفات، فقلت: أين تريد؟

قال:

أرسلت إلى المشرقين، إلى مطلع النيّرين، إلى موضع القدمين ثم أنشدني وحيّرني:

فَلاَ تَنْظُر بِطَرْفِكَ نَحْوَ جِسْمِي ... وَعَـدْ عَـنِ الـتَّـنَـعُّـم بـالـمَـغَـانِـي
وغُصْ فِي بَحْرِ ذَاتِ الذَّاتِ تُبْصِرْ ... عَـجَـائِـبَ مَـا تَـبَـدَّتْ لِـلْـعَـيَـانِ
وَأَسْـرَارٌ تَـرَاءَتْ مُـبْـهَـمَـاتٌ ... مُـسَـتَّـرَةٌ بِـأَرْوَاحِ الـمَـعَـانِـي
فَـمَـنْ فَـهِـمَ الإِشَـارَةَ فَـلْـيَـصُـنْـهـا ... وَإلاَّ سَـوْفَ يُـقْـتَـلُ بـالـسَّـنَـانِ

ثم قال:

لا يعرف كلامي إلاّ من رقى مقامي.

قلت: أين تريد؟

قال: أريد مدينة الرسول في طلب المقام الأزهر، والكبريت الأحمر.

فقال لي: يا طالب مثلي أما سمعت قولي:

يَا طَالِباً لِطَرِيقِ السِّرِّ تَقْصِدُه ازْجَعْ وَرَاكَ فَفِيكَ السِّرُّ والسَّكَنُ

ثم قال:

بينك وبين المطلوب أيُّها السّر اللطيف ثلاثة حجب من لطيف وكثيف.

[**الحجاب الأول**: مكلل بالياقوت الأحمر، وهو الأول عند أهل التحقيق.

والآخر: مكلل بالياقوت الأصفر، وهو الثاني الذي عليه أهل التفريق.

والثالث: مكلل بالياقوت الأكهب، وهو الثالث الذي اعتمد عليه أهل البرازخ في الطريق.

فاصحب الرفاق، وجُب الآفاق، واعمل الركاب، واقطع البيان، وامتط اليعملات، ومز نشاط الذاريات، واركب البحار، واخترق الحجب والأستار، في هذا السر الشريف.

واعلم:

أن الاسم يدل على المسمىٰ، والكل فيك فاقنع بما يكفيك، وامسك عما لا يعنيك.

ثم أنشد بعدما أرشد:

فَانْظُر إِلَى الحِكْمَةِ مَجْهُولَةً غَطَّى عَلَيْهَا شَفْعُنا السَّاتِرُ
وَأَظْهَرَ الحِكْمَةَ مَنْثُورَةً العَالَمُ الثَّابِتُ، والدَّائِرُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ واحِدٍ نُورٌ عَلَى أزْوَاجِنا بَاهِرُ
مَا طَلَعَ البَدْرُ وَشَمْسُ الضُّحَى وانْتَظَمَ الأوَّلُ والآخِرُ

فصل

قال السالك:

فبينما أنا نائم، وسر وجودي متهجد قائم، جاءني رسول التوفيق، يهديني سواء الطريق، ومعه براق الإخلاص عليه لبد الفوز ولجام الخلاص، فكشف عن سقف محلى ثم زج بي من صفاة الصفا في الهوا فسقط عن منكبي رداء الهوى، وأوتيت

بالخمر واللبن. فشربت اللبن ميراث تمام تمكين، وتركت الخمر جِذار أن أكشف السر بالسكر فيضل من يقفو أثري. ولو أوتيت بالماء بدلها لشربت الماء. فإن خلاصة التمكين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأمّا لو كان الشراب عسلاً، ما اتخذ أحد الشريعة قبلاً، لسرٌ خفي في النحل، فيه هلاك القلوب بالمَحْلِ.

قال السالك:

فارتفعت الهمة لطلبه، وبادرت لاختراق حجبه ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦]، إليكموها ساعدكم السعد صفقة رابحة، وحالة مباركة صالحة. فرؤياه جلاً، وفقده عمًّا، ثم قام عَجِلاً، وأنشد مرتجلاً:

غَـرَسْـتُ لَـكُـمْ غُـصْـنَ الأَمَـانَـةِ يَـانِـعـاً ... وَإِنّـي لـجّـانـي بَـعْـدَهُ ثَـمَـرَ الـغَـرْسِ
تَـولَّـعْـتُ بـالـتَّـبْـلِـيـغِ لَـمَّـا تَـبَـيَّـنَـتْ ... أُمُـورُ تـعـرّقِـيَـتـي عَـنِ الإِنْـسِ والأُنْـسِ
وَرُحْـتُ وَقَـدْ أَبْـدَت بُـروقِـي وَمِـيـضَـهـا ... وجُـزْتُ بِـحَـارَ الـغَـيْـبِ في مَـرْكَـبِ الحِسِّ
وَنِـمْـتُ وَمَـا نَـامَـتْ جُـفُـونِـي غَـدِيّـة ... وتِـهْـتُ بِـلاَ تـيـهٍ عـلـى الـجِـنِّ والإِنْـسِ
فَـيَـا نَـفْـسُ هـذا الـحَـقُّ لاَحَ وُجـودُهُ ... فـإِيَّـاكِ والإِنْـكَـارَ يَـا نَـفْـسُ يَـا نَـفْـسـي

العزم العزم، وأسأل الله العون، ما دمت مدبر الكون، فطال والله ما أنهكتني المشقة، وقطع بي بعد الشقة، وهذه وصيتي. فاعلم دَلَلْتُكَ بها على الطريق الأرفق فالزم، والسر الذي في زمزم هو لما شرب له فالزم.

قال السالك:

كان ما كان فهو مصروف إليكم، وإنما هي أعمالكم ترد عليكم، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

ثم قال: هيهات أين الكرم من الإيثار؟ الكرم سيادة، والإيثار عبادة. الكرم مع الرئاسة، والإيثار مع الخصاصة.

ثم قال: يا بني اقصد باب مولاك إلى ما إليه ناداك محبك ومولاك.

قال: يا سيدي هل تعرف لهذا الباب مفتاحاً.

قال: أي والعليم الفتاح.

رأيــت الــبـيــت مــقــفــولاً لــســر الــســر قــد مــلــكــا
ســـألـــت الله يــفــتــحــه فــقــال: بــمــن؟ فــقــلــتُ بــك

قالت: ناولنيه.

قال: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

قلت له: قد عرفت حقيقة مكانه، فزدني في نعته وبيانه.

قال: له أربعة أسنان، أتقنها الحكيم الرحمٰن.

فيها أربع حركات تحوي جميع البركات.

فإذا فعلت ما ذكرته لك وأحكمته فزت بالمفتاح وملكته. فالقِ أيها الطالب بالك، أصلح الله حالك. حافظ على العلوم اللدنية والأسرار الإلهية، وإياك وإفشاء سر الربوبية. أجْلِ القلوب، وجاهد النفوس، اجمع بين الظاهر والباطن، يتضح لك الراحل والقاطن وتأمل السرّين في مجمع البحرين، ولأي فائدة اتخذ البحر مسلكاً على سائر المسالك.

فصل في إشاراتهم

ولمّا سُئلت عن غاية لا تُدرك، وصفةٌ لا يحاط بها علماً ولا تُملك، تَعيّن عليَّ أن ألوِّحَ لك منها على مقدار فهمك، وأُوقفك من شأنه على ما قُدِّر أن يكون لك منها، وقِفْ للناس موضع القدمين، وخُذْ من العلم حرف العين، اخرق السفينة تلج المدينة، اجعل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠] ولا تعرّجْ على من قال ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣].

هما سفينتان لهما في الوجود معنيان، الواحدة: سلامتها من الفتق. والأخرى: نجاتها من الرتق.

لا تدفع الخاتم إلى أحد، ولا تأمن عليه أُمّا ولا ولد، انشر البساط، واترك الناس في هياط ومياط، اطو البساط، واعدل إلى الانقباض، من الانبساط، لا تهز الجزع في كل وقت فإنه مقت، لا يغلب على مُقَلِكَ النوم فتنفش غنمك في حرث القوم، لا تكن جَبّاراً فيخدعك الطريق، حتى يصيّرك ضجيج الغريق فاجهد في سلوكك هذه المقامات.

واعلم:

أن من أراد المقامات سلَّم الأمور إليه؛ فسلِّم الأمور إليه، وتوكل في سلوكك عليه. فطلبت منه الحقيقة فقيل لي: حتى تفنى عن الطريقة.

إشارة: إيَّاك أعني فاسمعي يا جارة.

إشارة: إذا حضر الحبيب والرقيب فخاطب الرقيب بلسان الحبيب ليسمعك الحبيب وتفهم لسانه فتأمن غوائل الرقباء.

إشارة: الحكم مودعة في الهياكل.

إشارة: الحكمة اليمانية لطيفة. من يضع شكلاً فليضعه مستديراً، فإنه لا بدّ من الرياح تزعجه فيتدحرج ولا ينكسر. فالشكل الكروي أبقى.

إشارة: إنماعملك مردود عليك، فاجن ما غرست.

إشارة: انظرني في الشمس، واطلبني في القمر، واهجرني [في] النجوم.

ثم قال: لتكن طير عيسى اطلبني في العيْس.

ثم قال لي: إذا رأيت البقر، والخيل، والحمير، فاركب البغال، واستند إلى الجدار.

ثم قال لي: إذا كنت النمط الأوسط فسافر، ثم إذا ركبت البغل فلا تنظر من أي طرق أنت فتهلك.

لطيفة:

إذا دُعِيَت الأسرار بلسان الأمر، أدبرت للعزة التي عليها وإذا دُعيت بلسان اللطف أقبلت فقيرة.

إشارة: فإن فلك الزمهرير أكبر من فلك البحر المستدير.

ثم قال: شغلتنا ملاحظة الأغيار عن مباشرة هذه الأسرار.

تنبيه:

قال: إنَّا نظمنا لك الدرر والجواهر في السلك الواحد، وأبرزنا القول في حضرة الفرق المتباعد، فلهذا ترى الواقف عليه، يكاد لا يعثر على سر النسبة التي أودعتها لديه، إنما هي رموز وأسرار، لا تلحقها الخواطر والأفكار، إن هي إلاّ مواهب من الجبار، جَلَّت أن تُنال إلاّ ذوقاً، ولا تصل إلاّ لمن هام بها عشقاً وشوقاً.

ثم قال: لِمَ ضرب له الميقات؟ قال ليعلم أنه تحت رق الأوقات.

قال: لِمَ جاء العدد بالليل ولم يجىء بالنهار؟

قلت: لاحتجابك تحت الأبصار.

قال: لِمَ طلب رؤية الأحباء مع ثبوت الإيمان؟

قلت: ليجمع بين العلم والعيان.

وفي مثل هذا قيل:

ألاَ فاسْقِنِي خَمْراً، وَقُلْ لِي هِيَ الخَمْرُ ... وَلاَ تَسْقِنِي سِرًّا إذَا أمْكَنَ الجَهْرُ
وبُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوى وَدَعْني مِن الكُنى ... فَلاَ خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِها سَتْرُ

قال: لَمَ دَلَلناه على أربعة من الطير؟

قلت: إشارة إلى العناصر لا غير.

قال: فلِمَ كان الوحي في المنام؟

قلت: لئلا يكون للحسِّ بساحته إلمام.

إشارة:

لا تأخذ من اللبن سوى زبدة المحض، وعليك بروح الأشياء.

ولا تأخذ من العسل سوى ما ادخره النحل لنفسه.

ولا تشرب من خمر العلوم إلاَّ السلافة التي لم تعصرها الأرجل.

ولا تشرب من المياه إلاّ المعصر، فإن ماء التقطير فيه مزيد علم.

تنبيه:

إذا ضُرِبَ القفل على الصندوق امتنع المال من المصارفة، وحياته فيها لأنه خلق بها. وهو مجبول على الحركة، وتداول الأيدي. والدليل على ذلك: الق سمعك إلى التابوت المقفل تسمع المال يتحرك في جوانب التابوت، فإذا استطعت أن تفتح القفل فلا تكسره فإنك محتاج إلى ادّخاره وقتاً ما.

القفل لسانك فافهم!

فصل

هذا باب يدق وصفه، ويمنع كشفه، هي أسطار نور خُضْرٌ خلف حجاب البيان، يلُوح لمن سبقت له المشيئة بوقوفه عليها حتى تُودعه ما لديها. فاستعمل المجاهدة عساك تلتذ بالمشاهدة.

وقال عليه الصلاة والسلام في سر التثليث: **«لن تُهلك أُمَّةٌ أنا أولها، وعيسى آخرها، والمهدي وسطها»**[1].

فانخفض الطرفان والوسط، وانتظم الملك وارتبط.

فأتى بثلاثة على حكم نشأة وتقابل الهيئة، وإن كل إنسان لا بد له من إحدى الدارين لا محالة فنقول في سرَّائِها: الحمد لله المنعم المتفضل.

ونقول في ضرّائها: الحمد لله على كل حال.

فصل

ثم نظرت بطرفي نحو السماء فرأيتها مُزَيَّنة بالنجوم، فمنها اهتداء ومنها رجوم، ورأيت مقامات الخلفاء، ومصابيح الظلماء، فوجدتها ثمانية وعشرين، وحضراتهم اثنتي عشرة لتتم الأربعين.

فقيل لي: هذه منازل السالكين، وينابيع الحكم المخلصين.

قال: فلما سمعت أنه أسر من الكتاب أماني، خفت أن يقطعني عن إلمامي، فنهضت من تلك الظلمة المدلهمة، وتركت بها براق الهمة، ورفعت عن أسرة اللطائف، ومتكآت الرفارف إلى أن وصلنا مقام المماثل فيه تماثل السراج.

قال: هذا حظك من كوني، فأين حظك [من] عيني.

فقلت: أيها المشير: المناسبة تكون بالنظير الملازم، ويكون بالذات واللازم.

فقال المشير: أريد مناسبة النظير.

فقلت: في رسمي رسمك، وفي نعتي نعتك، والإجمال أحسن من التفصيل في هذا القبيل.

---

(١) أورده المناوي في فيض القدير، (ج٥ ص٣٠١) بلفظ: «لن تهلك أمة أنا في أولها وعيسى ابن مريم في آخرها والمهدي في وسطها».

ثم كشف لي عن شجرة البستان الكلية؛ الموصوفة بالمثلية. فنظرت إلى شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وثمرها بيد آلات الاستواء، وبين أغصانها الغراب والغربة والعنقاء، وفي ذرى أفنانها العقاب، والمطوّقة الورقاء. فسلمت على الشجرة فحيّت أحسن مني وقالت:

اسمع أيها السالك في المسالك أنا الشجرة الكلية الجامعة المثلية ذات الأصول الراسخة والفروع الشامخة، غرستني يد الأحد في بستان الأبد مستورة عن تصاريف الأمد، فأنا ذات روح وجسد، وثمري مقطوف دون يد حملت من ثمر العلوم والمعارف، ما لا تستقل بحمله العقول السليمة وأسرار اللطائف، وَرَقي فُرُشٌ مرفوعة، وفاكهتي غير مقطوعة ولا ممنوعة، وسطي هو المقصود، وفروعي في هبوط وصعود، ونشأتي كالفلك في الاستدارة، وفروعي منازل الأرواح الطيارة، زهري كالكواكب السيارة تتكون المعادن عن سَيَرانِها، أنا شجرة النور والكلام، وقرة عين موسى عليه السلام، لي من الجهات اليمين الأنفس، ومن الأمكنة الوادي المقدس، ولي من الزمان الآن، ومن المساكن خط الاستواء، واعتدال الزمان في الدوام والبقاء، والسعادة دون الشقاء، جنتي دان وفني عني كأنه نشوان، له لطافة وجنان، على جميع الحيوان. لم تزل أفناني للأرواح اللوحية، كنار داود فيّ، لها تأثيرات الشعاعات اليومية، ساتراً ظلّي وممدود لأهل العناية، وجناحي منشور على أهل الولاية، تهب على الأرواح باختلاف تصاريفها، فتخرج أغصاني عن ترتيب تأليفها، فتسمع لذلك التداخل نغمات توله العقول العلوية على سمو أوجها، فنها يسقي الحكمة، ويزيل الهموم بحسن إيقاع النغمة، فأنا الظلّ الممدود، والطلح المنضود، والمعنى المقصود: كلمة الجود. فأوجدني من أوجدك عند التقابل، وأظهرني من أظهرك على التماثل. فأنا من قوتك صادرة، وبصورتك ظاهرة، وأودعني حقيقتين:

- حقيقة أُعرفُ بها.

- وحقيقة أكُونُ ما شئت بسببها.

ورقيقة مني إليك، تنزلني إذا اشتهيتك عليك، وبها حضرت بين يديك. فلما سمع أن بيني وبينه رقيقة ممتدة، وهو قد تحقق بحقائق المودة، ووقع النكاح المعنوي، واجتمع الماءان، في الرحم الآن فهو يتردد بين شوقين، يغرب في غربين ويشرق في شرقين. فوجدت في ذاتي امتلاء لم أكن أعرفه قبل ذلك. وسدّت المجاري والمسالك، فحركت الرقيقة الإلهية فأجابني.

فقلت: يا إلهي ما هذا الذي أصابني؟

فقال: تنفس بذكري لتظهر عنك كلمة أمري.

إشارة:

ثم قالت الشجرة: أنا الحقيقة اللامعة لما عندي من السعة والمطاوعة، تلبس بكل حالية لبوسها. أمّا نعيمها وأمّا بُؤسها، ولكنني وهب إليّ أن أهب العلوم ولست بعالمة، وأمسخ الأحكام ولست بحاكمة، لا يظهر شيء لم أكن فيه ولا يحصل له طالب مدرك ولا يستوفيه.

فبهذا القدر عظُمتُ في أعين المحققين. فها أنا قد أنبأت عن حالي، وأظهرت صدقي عن مجالي.

فصل
خطبة الغراب الحالك

فقام الغراب فقال:

أنا هيكل الأنوار، وحامل الأسرار، ومحل الكيف والكم، وسبب الفرح والغم، أنا الرئيس المرؤوس، ولي الحس والمحسوس بي ظهرت الرسوم، ومني قام عالم الجسوم، أنا أصل الأشكال وبمراتب صورتي تضرب الأمثال. فأنا المصباح في الرياح، أنا السلسلة على صنوان والجناح، أنا البحر الذي يصفق موجه، أنا الفرد المعدود وزوجه، عرضي دار كرامة لأوليائه، وعمقي دار إهانة لأعدائه. وأنا بوطيقى الحكم، وموسيقى النغم، وجامع حقائق الكلم إلى المنتهى، وعليّ عوَّلُ أولو النُّهى، وأنا أمني ما أمنح من النهي، أنا الغاية وليست لي غاية، من أجلي أخذ من أخذ، وبسببي ندب من ندب، أنا المطوقة باليمين أنا في قبضة الحق المبين، دعاني الحق إلى حضرته فأتيت، وناداني إلى معرفته فلبّيت، أنا صورة الفلك، ومحل الملَك على أصح الاستواء، وعنّي كنى بالمستوى، أنا اللاحق الذي لا يلحق كما أن العقاب السابق الذي لا يسبق. هو الأول وأنا الآخر، وله الباطن ولي الظاهر، قسم الوجود بيني وبينه، أنا أظهرت عزّه، وكونُه توقف على حكمه، سرّى فيه علمي، وسرّى في علمه إذا دفعته، وأوهبه مالي ليفيده، وإذا أفدته شكرني لأزيده، وقامت طائفة ممّن تدَّعي العقل الرصين على زعمها، وقضت على شيمتهم بحكمها. فناظرتني قبيح الهجاء، وخلعوا عني خلعة حسن الثناء، فجاز عليهم وبال ما كانوا يعملون، وحاق

بهم ما كانوا به يستهزئون. كأني بهم في غمرة يستصرخون فيجابون: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وإذا كان في عرض أهل الثناء الحسن، في حظي فاكهون هم وأزواجهم في روضة يُحبَرون، وقد أثنى عليّ الشرع فلا أُبالي.

أَنَا السِّرُّ المُشْتَوِي ... خُلِقْتُ بِلاَ بَنَانِ
وَأَنَا الَّذِي تَوَارى ... جِسْمَهُ عَنِ العَيَانِ
فَالَّذِي يَرى وُجُودِي ... لِتَصَارِيفِ الزَّمَانِ
عِلْمُهُ أَكْمَلُ عِلْمٍ ... شَأْنُهُ أَعْظَمُ شَأْنِ
هَامَ بِي لَمَّا رَآنِي ... فِي مَقَاصِيرِ الجِنَانِ
لاَ أُسَمِّيهِ فَإِنِّي ... خَائِفٌ حَدَّ السِّنَانِ

فهذا يا كعبةُ الحُسْنِ قَدْ أَوْضَحتُ لكَ مقامات أُمّهات الأكوان.

فصل

ولما دعتني دواعي الاشتياق إلى ما أودع الله من الأسرار في هذه الطباق قال:

مرحباً بهذا الابن السعيد، والطالب المستفيد. يا أيها الابن ما الذي أوصلك إلينا، وما السبب الذي أنزلك علينا، فخدمت بساطه، واستغنمت انبساطه، أدام الله أيام الوالد المقدم المعظم، وعدل قسطاسه وأبرم، أمَّ رأسه، وحرَّر أنفاسه، لما عرف العبد أنك صاحب العلمين والصورتين، وحامل سرّ الإنيتين أراد أن يقف عليها منك مواجهة، وأن يسمعها بحضرتك مشافهة. .

فقال: همة شريفة، وداعية سلطانية منيفة، ثم دعا بترجمانه، صاحب لسانه، وقال له: اصعد إلى منبر استوائنا، واذكر بعض ما عندنا، وعند حاجبنا من سرائر معلوم الكونين والصورتين. فصعد الخطيب وتكلم، وقال بعد أن بَسْمَل وصلى ثم سلّم:

الحمد لله الذي جمع لآدم عبده، وخليفته، ورسوله، بين يدي، وحباه بصورتيه ومنحه سَوْرَتيه، وأودعه سريرتيه، وحصل فيه قبضتيه، وهداه نجوتيه، وأنجب له سبيله وخاطبه بكلمتيه، وأمره على مَلائِهِ، واستلخفه على كونيه، واصطفاه برسالتيه، واختصه بخلافتيه، وكرّمه بمشاهدتيه، وخصّه بجنتيه، ووهبه معرفتيه، وأنزله بين

علميه، وأشهده مركزه وقاب قوسيه، وأسكنه في البرزخ متن كتابيه، لإظهار صفتيه. فقام عظيم الشأن سلطاناً على الأعيان، واستوزر له الزبرقان، الذي هو نظير الرؤية في الإنسان، فيعلو وينمو فيفضل، ويدنو فيخل فيزيل. فوزيره مثله، وعلى صورته.

وصورته له وجهان، وطريقان، وسَيْران، وتجليان، ومحقان، وإدباران وإدبار ومحق في كل أوان، عند العالمين بما في الصفة العلوية من الإحكام والترتيب والإتقان، واعتدال الأوزان.

وله محق واحد، وإدبار واحد عند العامة، فله الضِّدّان، وسرعة التأثير في الأكوان، وهو شبيه بالإنسان من جميع الوجوه؛ القباح والحسان، وله التقابلان. وإليه ينظر الثقلان، وفيه سرّان، وبدايتان وغايتان، ونقصانان وكمالان، وسرّان وأمران، وتأثيران، وحكمان، وله يدان، ورجْلان، وعينان، وأذنان، وثديان، وعُلوان وسفلان، ويمينان وشمالان، وفوقان وتحتان، وخلفان وأمامان، وحاجبان وقلبان، ولسانان، ومعرفتان، وأثيران، وعرشان، وكرسيان، وروحان، وتبييضان وتحميران، وتسويدان، وتكليسان، وحياتان وموتان، واعتدالان وانحرافان، وعقدتان. وفيه من كل شيء اثنان، فسبحان من فطره وفطر الخليفة آدم على هذا الإتقان، مولى الامتنان، والصلاة والسلام على الحقيقة المحمدية صاحب الإمامة المطلقة، والخلافة المحققة، ما اتصلت الأرواح بالأرواح، والأبدان بالأبدان.

ثم نزل وتكلم الأب فقال:

اعلم يا بني شرح الله صدرك، ورفع في ذروة التوحيد قدرك: أن الله تعالى لمّا كان على الحقيقتين، وأبان عنهما بالقبضتين في الموطنين، وأنبأ عنهما في عالم العبارات بالحرفين، وجعلهما على السوا في الفطرتين، والنعيمين والعذابين، والطاعتين والمعصيين، باعتدال الكفين، وجعل الآخرة ذات دارين ليحط بالعالمين، وفيها يقع الميز بين الفريقين، كما وقع في أوان القبضتين قبل أخذ الميثاقين، وجعل الدنيا برزخين. وأظهر الكافر في صورة المؤمن والمؤمن في صورة الكافر لذي عينين، وجعلهما محل تمحيص وبلوى للطائفتين، فوجّه إليهم على لسان واحد منهم حكمين، فأمر ونهى لتميز الكلمتين.

ثم قلت: يا بني أنت جامع القبضتين، وصاحب الحكمتين، وحامل الصورتين، فأخبرني عن السر الذي يرد المعادن إلى معدنين، وأوقفني على الكنزين الأبيضين، والأحمرين، وعن سر كل وصفين. كالجلال والجمال، والانفصال والاتصال،

والتركيب والتحليل، والتجميل والتفصيل، والفناء والبقاء، والإثبات والمحو، والسكر والصحو، والرب والعبد، والحرُّ والبرد. وما أشبه ذلك. فإمّا أن تخبرني بحقيقة تجمع لي هذه المعاني وإمّا بتفصيل هذه المباني.

فقال: أمّا بالتفصيل فيطول، وإيضاح الحقيقة الجامعة أولى بالوقت فأقول:

إن الأشياء المنفعلة إنما تبعث من فاعلها على حقيقة وجوده في الأعيان، ولهذا لم يبق أبدع من هذا العالم في الإمكان، وأبين ما يكون ذلك في الإنسان، أذله الجود المطلق، والفيض المحقق، فإن تفطنت فقد أبنتُ لك عن درج التحقيق، وألفيتك عن الطريق، فأدرج عليه حتى تعاين أسرار التفصيل لديه.

وأمّا بحثك عن الكنزين، والأمر الذي يردُّ المعادن إلى معدنين فاعلم أن هذا الأمر على مرتبتين:

المرتبة الواحدة: في المشاهدة تسمى خرق العوائد، وهي تصريف المحسوس على حكم همم النفوس، وهي مختصّة بأرباب الهمم ومعادن الحكم، وقوتهم تسري في الأرواح بقلب صفات أعيان الأشباح. فهذه صناعة علمية وصورة حُكمية لأنها روحانية موادّها سماوية، إكسيرها مقرون بسعادة الأبد، وفعله مشاهدة الأحد، يتصرف في العقل تصرف الأفعال بالأسماء.

وأمّا المرتبة الأخرى:

فهي صناعة علمية، موقوفة على عناية أزلية تورث الجنان ومجاورة الرحمٰن، ولهذا قال في الكتاب المبين:

﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١].

﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

فمن أراد أن يقف عليها، ويصل إليها، فإنها الكنز الذي لا يهدم جداره، والزند الذي لا يظهر أواره. هي حكمة لا يودعها الله تعالى إلاّ للأمناء من عباده، المتأهلين لحضرة إشهاده، فإذا أراد إنما يستعمل الفكر المحرق، لما قام به من الشوق المعلق، فأنتج له أن هذا الأمر موقوف على معرفة الحكمة وإنها موضوعة بين النور والظلمة، موقوفة على المعدن والنبات محكوم عليها لعدد شهود الزمان، ولكن قصر به الفكر عن تعيين ذاته، وعن الإدراك لجميع صفاته.

فصل

ومن ذلك قال:

فلمّا قام بنفس الملك خاطر السعادة، والتوجه إلى طريق الاستفادة، والبحث عن الأمر الذي به دوام الملك فقام بعض حكمائه، وأخصّاء علمائه وقال:

أيها الملك مطلبك في قدرتي، وحاجتك تحت قوّتي، ولكن قد لا تعرف قدرها فيحرمك الله خيرها. فأنا أنبهك أولاً عن كيفية إيجادها، وحسن إسعادها، بأنها من الله بمكان، وكأنها شاركت القدرة في إيجاد الأعيان، فهي حكمة علوية، مدرجة في صناعة علمية، لتعلم أيها الملك أن الله هو الحكيم الخبير، وأنه على كل شيء قدير، وأنه قبل كل شيء، وأنه أوجد الأشياء لا من شيء، ولكن مع اتصافه بهذه القدرة المحققة، النافذة المطلقة، لم يوجد لهذي المعادن ابتداء، حتى خلق الأفلاك، العلوية والروحانية السماوية، واللمحات الأفقية، وأودع كل فلك روحانية كوكبية تحتوي على خاصية بها، وعند وجودها خلق الأرض والسماء والهواء والأثير.

ثم أوجد فيها منها دائرة الزمهرير، ثم أجرى الشمس والقمر، والنجوم مسخرات بأمره، وخصّ كل متكون من هذه الأجرام بسرٍّ من مكنون سرّه، تظهر المعادن في أعيانها، وتخلصت بكرور أزمانها. فإذا كان الله مع قدرته ونفوذ إرادته، وقوة علمه لم يوجد شيئاً من المعادن إلا بعد خلق هذه الأدوات، وأجرى هذه المسخرات. فكيف تطمع أنت أيها الملك أن تكون فعالاً لهذه الحكمة مع عدم هذه الأدوات وتحصيل هذه الآلات. فإن قدرتك قاصرة، وصفقتك إن لم تحصّل هذه الآلات خاسرة، وما فعل الله شيئاً من هذه الأدوات، وقدم هذه الآلات مع غنائه عنها إلاّ لحكمة عَلِمَها مَنْ عَلِمَها، وجهلها مَنْ جهلها.

قال الملك: فكيف السبيل إلى تحصيل هذه الأدوات، وتركيب هذه المقامات.

فقال الحكيم: أيها الملك ألست ساكناً تحت خطّ الاستواء، وإنّك من أهل السواء؟

فقال الملك: نعم.

فقال الحكيم: من أراد أن يعلم أصل نشأة العالم، وترتيب هيئتي من خط الاستواء نُعرّفه.

فقال الملك: كيف أصنع؟ فإني لا أجد في نفسي قوة تصور هذه الأسباب والمقدمات، وإيجاد هذه التأليفات والمركبات.

فقال الحكيم: إن الله تعالى قد منحني للقوة على نبأ ما يماثلها، وإقامة ما يشاكلها، ووهبني أسرار كيفياتها وكمياتها ولي أصحاب من الحكماء أهل الفطنة والذكاء أشدُّ بهم أزري، وأحكم بمشاورتهم أمري، ليقضي غرضي المولى وتقوم له هذه الروحانية العُلى.

فسُرَّ الملك بما قاله الحكيم، وزال عنه ما كان أحاط به من الهموم.

فقال الحكيم: فاخترق مخاريق هذا الجبل العظيم، ينظر فيه؛ أين نقطة دائرة المركز الذي تقوم النشأة به، وترتب عليه نظام الهيئة فرأى الرياح والنجورات التي تنحل من مسام ذلك الجبل تصير كالدائرة تتحرك في موضعها، ولا تتعدى إلى غير مُهَيِّئها، فعمل الحيلة حتى روح ذاته فالتحق بالأطيار، وسوّى جناحيه وطار، واخترق معظم تلك الرياح محلقاً في جوهرها ينزل بنزولها ويسمو بسموّها إلى أن انتهى إلى موضع لا يتعدى النازل فيه على الصاعد ولا الصاعد على النازل.

فقال الحكيم: الله أكبر. قام الملك؛ وظهر.

فأراد بذلك المركز المعتدل أرضاً ذات أشجار وبقول، وأدار عليها الماء فدار، وأدار عليها الهوى فصفق النسر بجناحيه وطار، وأدار به دائرة الزمهرير وخلق به الفلك الأسير.

فلما أكمل هذه الأركان لإنشاء ما يريده من المعادن والنبات والحيوان، لم ينفصل عنها ما أراد لأنها أشبَاح بلا أرواح وإناث بلا ذكور. فاحتاج إلى إقامة النجوم الثابتة، والبروج الحاكمة، والكواكب السيّارة، وحركة أفلاكها، وفتح مسالك أملاكها فأقامها فكانت الآباد العلويات، وهذه الأمهات السفليات فتناكح بالحقائق الروحانيات، والرقائق السماويات، فتولد بينهما أبناء الحكيم؛ المعدنيات، والنباتيات، والحيوانيات، ولم تبلغ قوة هذا الحكيم فوق هذا الحد، ولكنه وفّى بالقصد.

فلما استوت هذه البنية على حسب ما أعطته الرؤية، وحُسْنُ النيّة، وجرت الأقلام، وأعطت قواها الروحانيات، وظهرت التكوينات والانفعالات، وأشرف الملك الكريم، على ما فعله الحكيم، وعاين تكوين الحكمة في هذه الأجزاء، وعرف أن الأمر لا يقوم إلاّ بوجود الأرض والسماء، فأعجبه ما رأى من حُسن الرأي، فأدركه الطيش والوله. فخاف عليه الحكيم التأله فأعمل الحيلة والنظر حتى لاح له ما أراد،

فظهر وشرع في إنشاء بستان ذي أفنان، ففيه من كل وليد وقهرمان، ومن الحور الحسان، والنخيل والرمان ضروب وألوان، ينساب فيها الجداول انسياب الشعابين بين تلك الأزهار والبساتين، وأنشأ فيها قصوراً من الذهب والفضة البيضاء، وأسكنها من كل جارية غضاء، وفرشها بالحرير من السندس والإستبرق والعبقري المرفود.

وجعل حصباءها الياقوت والمرجان، والزمرد، والجوهر وترابها المسك، فثبت الملك. وآكامها العنبر. ثم شرع في بناء دار [أخرى] ذات لهب وسعير، وبرد وزمهرير، وقيود وأغلال، وسرابيل من قطران وأفاعي كأنها النحت، وأساور عظيمة السحت، وعقارب مكنونة من الشحت، وبيوت مظلمة ومسالك ضيقة، وكروب، وغموم، ومصائب، وهموم.

ثم أشرف الملك على الدّارين فقال: انظر ما بين المنزلتين فرأى ما رآه، وسأله ما السبب الذي دعاه؟

فقال الحكيم: جعلت لك هذه الدار دار الرضا، تنعم بها من أطاعك وأولاك، وجعلت هذه الأخرى دار الغضب تعذب بها من عصاك وعاداك.

واعلم:

أن الله تعالى ما أسكنك في هذه الدّار إلاّ لتجعلها دار اعتبار، فتتفكر وتعتبر، وتتذكر وتزدجر، وتعظم من سوَّاك وعدلك، وصوّرك فجمّلك، وأولاك وملكك وعلمك، وإن كنت طائعاً لربك عادلاً لرعيتك فتصير إلى النعيم عند الله تعالى، كما تصير أنت ومن أطاعك إلى هذا النعيم. وإن كنت عاصياً جائراً، في حكمك ظالماً، فستصير إلى ضيق وعذاب أليم، فخَفْ ربك ودينك وأصلح مع الله قلبك، وأنذر قومك، وطهر ثوبك، ولا يحجبك سلطان عادتك، عن تحصيل أسباب سعادتك، فإن الدنيا لمحة بارق، وخيال طارق. كم ملك مثلك قد ملكها، ثم رحل عنها وتركها، ولا بد لك من الرحلة عنها إلى الأخرى. فإمّا أن يعمر درجها وإمّا أن يعمر دركها.

واعلم:

أن الله تعالى قد جعلك ملكاً على خلقه، وأقامك بين الحق والباطل في مقام حقّه، لا لقصور قدرته عن صلاح الخلق وتدبيره، وتصريفه في إظهار المُلْكِ وتسخيره، وإنما ضرب لك بك مثالاً في عالم الفناء، لتستدل به على ترتيب الملك الإلهي في دار البقاء، ولهذا جعل في هذه الدنيا ظلاً زائلاً، وغرضاً مائلاً، وجعلك عنها راحلاً، فهي جسر منصوب على بحر الهلاك، قد أبادت من القرون الماضية،

والأمم الخالية، والجبابرة الطاغية، والفضلاء، والحكماء، والأدباء، والعقلاء، والأولياء، والأنبياء ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: ٨].

وأنت أيها الملك على قاعدة مذهبهم، وعن قريب تلحق بهم، فإمّا إلى النعيم في دار الخلود بجوار الصمد، وإمّا إلى عذاب الأبد. فاجهد في تحصيل أدوات النجاة، والبقاء فإن الدنيا متاع، والآخرة خيرٌ لمن اتقى.

فصل

ومن ذلك:

ثم قال الحكيم: فأدر سماواتك، واستنزل روحانياتك، عسى ينجلي عنك غمامها، ويبدو لك بدر تمامها. فإن الحقائق الروحانية والرقائق السماوية تتأذّى (مما تتأذى) به الإنسانية، فالحذر الحذر من صفقة القدر، واطلب الشيء من معدنه، ودبره في موطنه، فإنه من تولد من الحقائق الطيبة الممزوجة بالأثقال، لا بد لمن أراد أن يكمل ذاته من مباشرة الأزبال. فإنه عنها تتكون وبها يتحقق وجوده، ولا يغرنّك التحاق الأسافل بالأعالي، والتحام الأباعد بالأداني. فإن للمعادن مواطناً، ولكل ساكن مسكناً، فمن حال بينها وبين معادنها، ودبرها في غير موطنها، تسقط في يديه، ودار وباله عليه، وكانت صفقته خاسرة وتجارته بايرة.

فإن كنت إلى تدبير هذه الصنعة، وإيجاد هذه الحكمة بالأشواق، فانزل عن هذه الطباق، وسل عن الجبل المعروف فتجد مطلوبك وإني أودعك إياه، وأنزلك في محيّاه وأعرفك بمُعَنَّاه، وأتحفك بسره ومعناه، وأفرق لك حكمته في مماته وحكمته في مَحْياه، فانهض معي بلا حول ولا قوة إلاَّ بالله. فرحل بي إلى خط الاستواء. فإذا بالجبل المذكور يعانق عنان السماء. فنزل إليه شخص من سراة الأرواح في نسيم الأرواح، لطيف الإشارة، فصيح العبارة.

فقال: مرحباً، وأهلاً وسهلاً.

فقال الشيخ: هذا الغلام قد أنزلته عليك، وسلمته إليك، له همّة في طلب الحكمة، وتشوق إلى معدن الرحمة، فسلمني إليه ووقف، وقبلني الآخر ولم يتوقف، وسرّى معه وانصرف، إلى أن أدخلني على الملك فقبلت يمنى بساطه، وانبسط فسررت بانبساطه فعرف مقصدي فأخذ بيدي، وأشار إلى بعض رعيته.

وقال: سِرْ به في ملكي ثم مكّنه من حاجاته.

فأخذني المملوك، وكان من أحسن المماليك، فاخترق بي جميع المسالك، فرأيت مُلكاً عظيماً، وسلطاناً جسيماً، بديع الترتيب والنظم، رفيع الكيف مدوّن الكم. ما من مسلك فيه إلاّ عليه حافظ، ولا مجلس إلاّ وعليه واعظ، فمن عرف ما أودع في تدبيره الحكيم من العلوم، دبَّر منه حكمته بصفة تقويه ينظر إليها روحانيات النجوم.

ومما رأيت في ذلك الجبل صهريجاً معلقاً في الهواء عليه قُبّة عظيمة محكمة البناء، يسقط من تلك القبة حجارة رخوة بصفة هندسية روحانية في ذلك الصهريج، وفيه سرب ينتهي إلى صهريج آخر. معلق في الهواء فترسب تلك الحجارة فتثقل.

وعندهم نهر يسمى نهر الغريب يجري في طرقات مدبرة في سرب حتى ينتهي إلى ذلك الصهريج، فإذا امتلأ طفت الحجارة حتى تسامت فم صهريج مصنوع من الكبريت فيعود ذلك الماء حميماً فيطبخ تلك الأحجار، فتكون منها الحكمة وهي التي تسمى الكيمياء.

فصل

ومن ذلك:

حضرة موسوية

ثم رجعنا نبتغي سماء الكلام، لنقف على ما ورثناه من موسى عليه الصلاة والسلام، فلما دخلنا عليه، وخضعنا بين يديه، سلّمنا وخدمنا، فأكرمنا واحترمنا، وجمع لنا بين إقبال الأخوّة والأبوّة، إثبات الشرف مقام النبي محمد عليه الصلاة والسلام ووفى بمقام النبوة.

فقلنا له: ما حظُّنا منك لنخبر به عنك، وأوقفنا على ما لديك، وما صرف الرحمٰن فيه النظر إليك.

فشال الحجاب، وانفتح الباب من خلفه جنتان، ذواتا أفنان، فيهما عينان تجريان، فيهما من كل فاكهة زوجان، فيهِنَّ قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، كأنهن الياقوت والمرجان.

فقال: هذا لمن حُرِم في دنياه الأمان.

ثم شال عن يساره الحجاب فانفتح الباب من خلفه جنّتان، مُدْهامتان، فيهما عينان نضاختان، فيهما فاكهة ونخل ورمّان فيهن خيرات حِسان، حور مقصورات في الخيام، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، متكئين على رفرفٍ خُضْرٍ وعبْقريٍ حِسَان.

فقال: هنا لمن عاش بالأمانة وبقيت الأعيان، فاطلب الأعيان بالعيان، فشاهدنا ما أخبر الله به في السورة التي يذكر فيها: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٤] غير أن جنى الجنتين ليس بدانٍ، فلما قصرت أيدينا عن تناول شيء منها، سألته ما السبب الذي قصر بنا عنها.

فقال: يا ولي تناوُلها موقوف على التركيب الثاني، إن فهمت بتعظيم معرفته الثاني وأنت في التركيب الأول فاصبر حتى تتحول. فإذا سَرَتْ روحانيتك في جسمك، ووسمت وسمك وعرفت سعادتك، وتقف على سر حجرها وأحجارها، فهنا يبدو لك شرف الاعتدال، وصورة التمام والكمال، ويظهر لعينك استواء المنحرف الميَّال، ويبقى العلم ويذهب الخيال، وتتضح المعاني ويزول الإشكال، وينحفظ التركيب باعتدال التركيب، وتبرز حقيقة الأبد، ويدوم البقاء بالديمومة الإلهية، من غير أمد، وتلوح كيفية التولد، وماهية التعبد، والتحاق الأجانب بالأقارب، وتنوع المراتب باختلاف المذاهب، وسرور الروح والنفس، بتحصيل الجمال والأنس، وتقف على سر إجابة دعوة المضطر، وإن كان كافراً، وهدى الطالب وإن كان جائراً، وتعلم أن الله لا يضره معصية عاص، ولا تنفعه طاعة طائع، ولم يُسم بالمانع، والجوادُ ليس بالمانع.

ثم قال: نادى يا حنّان يا منّان، يا رؤوف يا قديم الإحسان، يا من جعل معدن النبوّة أشرف المعادن، وموطن الأحكام أرفع المواطن، أنت الذي سَوّيت فعَدّلت، وفي أي صورة ما شئت ركّبت ما سويت. يا واهب إذ لا واهب، ويا مانح المثوبات لأهل المكاسب، أنت الذي وهبت التوفيق، وأخذت عبدك ومشيت به على الطريق، وخلفت فيه الأعمال المُرضيّة، والأقوال الزكية، وأنطقته بالتوحيد والشهادة، ويسَّرت له أسباب السعادة، ثم أدخلته دارك، ومنحته جوارك، وقلت له: هذا بعملك ولك ما انتهى إليه خاطر أملك، فناديته كما أمرتني فأجاب، وقرعت بابه بهذه الكلمات ففتح ورفع الحجاب. فلما تجلى ذلك الجبل الراسي، وخرزتُ على رأسي، فانصرف الإدراك إلى القلب فأبصر، وقال: أين هذا من مقام الله أكبر.

قال:

فَـأَسْـتُـرُه فَـيَـسْـتُـرُنِـي فَـيَـبْـدُو ... لِـذِي الـسَّـتْـرَيْـن آيَـاتٌ جِـسَـامُ
فَـمِـنْـهَـا الـعَـيْـنُ والـتَّـحْـكِـيـمُ فِـيـهَـا ... وَمِـنْـهَـا الانْـزِعَـاجُ والاصْـطِـلامُ
أَكَـاسِـيـرٌ تَـرُدُّ الـمَـيْـتَ حَـيّـاً ... وَيَـمْـطِـرُ عِـنْـدَ رؤْيَـتِـهَـا الـجَـهَـامُ
فَـهَـذا لِـلْـقُـرْآن قَـدْ فَـكّـرْتُ فِـيـهِ ... وَجَـدْتُ الـحَـقَّ حَـقًّـا يَـا غُـلامُ

ثم قال: إنّا نظمنا لك الدرر والجواهر في المسلك الواحد، وأبرزنا لك القول في حضرة الفرق المتباعد، ولهذا ترى الواقف عليها لا يكاد يعثر على سرّ النسبة التي أودعها لديك.

قال:

حَمَدْتُ إلَهِي والمقَامُ عَظِيمُ فَأبْدَى سُرُوراً والفُؤادُ كَظِيمُ
وَمَا عَجَبِي مِنْ فَرْحَتي كَيْفَ قُورِنَتْ بِتَرْحَةِ قَلْبٍ جَلَّ فِيهِ عَظِيمُ
وَمَا نَالَهُ الصّدِّيقُ فِي وَقْتِ كَوْنِهِ وَشَمْسُ سَمَاءِ الغَرْب مِنْهُ عَدِيمُ
مَذَاقٌ وَلَكِنّ الفُؤَادَ مُشَاهِدٌ إلى كُلّ مَا يُبْدِيه وَهْوَ كَتُومُ
فَأشْخَاصُنا خَمْسٌ وَخَمْسٌ وَخَمْسَةٌ عَلَيْهِم تَرَى أمْرَ الوُجُود يَقُومُ
وَمَنْ قَالَ إنَّ الأرْبَعِينَ نِهَايَةٌ لَهُم فَهْوَ قَوْلٌ يَرْتَضِيه كَلِيمُ
[وَإنْ شِئْتَ أخْبِر عَنْ ثَمَانٍ وَلاَ تَزِدْ طَرِيقُهُم فَرْدٌ إلَيْهِ قَوِيمُ
فَسَبْعَتُهمْ فِي الأرْضِ لاَ يَجْهَلُونَهَا وَثَامِنُهُمْ عِنْدَ النُّجُوم لَزِيمُ
فَعِنْدَ فَنَا حَاءِ الزّمَانِ وَدَالِهَا عَلَى فَاءِ مَدْلُولِ الكُرُورِ يَقُومُ
مَعَ السَّبْعَةِ الأعْلامِ والنَّاس غُفَّل عَلِيمٌ بِتَدْبِيرِ الأُمُورِ حَكِيمُ
وَفِي الرَّوْضَةِ الخَضْرَاءِ اسْمُ عِدَاتِه وَصَاحِبُها بالمُؤْمِنِينَ رَحِيمُ]
وَيَخْتَصّ بِالتَّدبِيرِ مَنْ دُونَ غَيْرِهِ إذَا فَاحَ زَهرٌ أوْ يَهِبُّ نَسِيمُ
تَرَاهُ إذْ نَاوأه فِي الأمْرِ جَاهِلٌ كَثِيرُ الدَّعَاوى أوْ يَكِيدُ زَنِيمُ
فَظَاهِرُهُ الإعْرَاض عَنه وَقَلْبُه غَيُورٌ عَلَى الأمْرِ العَزِيزِ زَعِيمُ
إذَا ما بَقي مِنْ يَوْمِهِ نِصْفُ سَاعَةٍ إلَى سَاعَةٍ أُخْرَى وَحَلّ صَرِيمُ
فَيَهْتَزّ غُصْنُ العَدْلِ بَعْدَ سُكُونِهِ وَيَحْيى نَبَاتُ الأرْضِ وَهْوَ هَشِيمُ
وَيَظْهَرُ عَدْلُ اللّهِ شَرْقاً وَمَغْرِباً وَشَخْصُ إمَامِ المُؤْمِنِينَ رحيمُ

وقال:

تَدَبَّر أيُّها الحَبْرُ اللَّبِيبُ أُمُوراً قالها الفَطِنُ المُصِيبُ
وَحَقّقْ مَا رَمَى لَكَ مِنْ مَعَانٍ حَوَاها لَفْظُهُ العَذْبُ العَجِيبُ
وَلاَ تَنْظُر إلَى الأكْوَانِ تَشْقَى وَيَتْعَبُ جِسْمُكَ الفَذّ الغَرِيبُ

أمّا بعد حمد الله الذي تقدم، والصلاة التي ختم بها الحمد وتمم. ثم قال:

وكنت نويت أن أجعل في هذا الكتاب ما أوضحته تارة وأخفيه أخرى. فأوّله أين يكون من هذه النسخة الإنسانية مقام الأنبياء، وثانيه مقام الإمام المهدي المنسوب إلى بيت النبي مقام الطيبين، وأين يكون ختم الأولياء وطائفة الأصفياء إذ الحاجة إلى معرفة المقامين، والإنسان آكد من كل مضاهاتها الأكوان الحدثان. لكنني خفت نزعة العدوّ الشيطان، أن يصرخ بي في حضرة السلطان. فيقول على ما لا أنويه، وأحصل من أجله في بيت التنويه فسترت الشاة بالقزان صيانة لهذا الجسمان.

ثم رأيت ما أودع الحق من الأسرار لديه، وتوكلت في إبرازه عليه. فجعلت هذا الكتاب لمعرفة هذين المقامين ومتى تكلمت على مثل هذا فأنا أذكر العالمين، ليتبين الأمر للسامع في العالم الكبير الذي يعرفه ويعقله، ثم أضاهيه بسرّه المودع في الإنسان الذي ينكره ويجهله، فليس غرضي في كل ما أصنّفُ في هذا الفن معرفة كل ما ظهر في الكون، وإنما الغرض تنبيه الغافل على ما وجد في هذا العين الإنساني، والشخص الآدمي. ثم أبين لك ما يجهله من الشيء الذي تعقله وتعرفه بأولى الإشارات في أصداف العبارات.

تنبيه:

ولما لم يتمكن القاصد للبيت العتيق، أن يصل إليه حتى يقطع كل فج عميق، ويترك الإلف والوطن، ويهجر الخلد والفطن، ويفارق الأهل والولد، ويستوحش في سيره من كل أحد، حتى إذا وصل الميقات، خرج من رِقّ الأوقات، وتجرد عن مخيطه، وخرج من مركزه إلى بسيطه، وأخذ يلبي من دعاه، بشيء ما كان قبل ذلك وعاه فصعد وقد لاح له على علم الهدى، ودخل الحرم ولثم الحجر. فإن الطريق الذي سلكت عليه، والمقام الذي طلبته وانفردت إليه، هو مقام فردانية الأحد، ونفي الكثرة والعدد، لا يصح معه التعريج على كون، ولا يقبل إلاّ ما تحققه عين.

ولما لم تعلم بحوادث الكون همتي، وتشوقت إليه كلمتي، كان الحق سبحانه وتعالى وجهتي، ونزهتي، عن ملاحظة جهتي، وكنت لا أشهد أَيْناً، ولا أبصر كوْناً.

ومن ذلك أقول:

أَقُولُ وَرَوْحُ القُدْسِ تَنفُثُ في النَّفْسِ ... بِأَنَّ وُجُودَ الحَقِّ في العَدَدِ الخَمْسِ
ولَكِنَّنِي أُدْعَى عَلَى القُرْبِ والنَّوَى ... بِلاَ كَيْفٍ بِالبَغْلِ الكَرِيمِ وَبِالعُرْسِ

فقال:

فَالجِسْمُ فَلكٌ بَحْرُ الجُودُ يُزْعِجُهُ ... رِيحٌ مِنَ الغَرْبِ بالأسْحَارِ مَشْحُونُ
وَرَاكِبُ الفُلْكِ مَا دَامتْ تُسَيِّرُهُ ... رِيحُ الشَّرِيعَةِ مَحْفُوظٌ وَمَيْمُونُ
فَلاَ تَزَالُ كَمَوْجِ المُلْقِيَاتِ بِهِ ... يَقُولُ لِلكَائِنَاتِ فِي الوَرَى كُونُوا
فَكُلُّ قَلْبٍ سَها عَنْ سِرِّ حِكْمَتِهِ ... فِي كُلِّ كَوْنٍ فَذَاكَ القَلْبُ مَغْبُونُ
فَافْهَم فَدَيْتُك سِرَّ اللّه فِيكَ وَلاَ ... تُظْهِرْه فَهْوَ عَنِ الأغْيَارِ مَكْنُونُ
وغِرْ عَلَيْه وصُنْه مَا حَيِيتَ بِهِ ... فَالسِّرُّ ميتٌ بِقَلْب الحُرِّ مَدْفُونُ

ثم عطف عليَّ عطف النشوان يغازلني مغازلة الهيمان، ويقول:

«رِدْني برداء الكتم، فإني أنا الختم. بفقدي تذهب الدول وتلحق الأواخر بالأول».

قَدْ كَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أذْكُرُه ... فَظُنَّ خَيْراً، ولا تَسأَلْ عَنِ الخَبَرِ

ثم قال:

فمن كان ذا كشف علوي، وعزم قوي، شقَّ على قلبي حتى يرى شمس ربي. فمن امتطى عنق الأشياء طلب ولحق، ومن نزل إلى زلول الكتم نجا والتحق، إلاّ إن كان كما فعله وفعله من قبلي خفي رمزٍ، ودرج معنى في معمى، ومن دون ذلك البحر المذكور أرخينا الستور.

ولمّا صحّ أن الختم متقدم الجماعة يوم قيام الساعة، ثبت أن له حشرين، وأنه صاحب حكمين. وصاحب هذا السرّ هو رهن بيدك وقد علق فلا تيأس، وأمسك عليه فتنكس، ووجه الأمر عند ذلك في إفشاء هذا السر المكتوم، والكتاب المختوم إفشاء تعريض لا تصريح وإعلام وتنبيه وتنويه.

ولمّا تلقيت منه الأمر على هذا الحدّ، دخلت تحت هذا العقد، فلزمني الوفاء بالعهد، فأنا الآن أبدي وأعرض، وإيّاك أعني واسمعي يا جارة. وكيف أبوح بسرّي، وأبدي مكنون أمري، وأنا الموصي به غيري، فيما يوضح نظمي ونثري.

ثم قال:

نَبِّه عَلَى السِّرِّ وَلا تُفْشِهِ ... فَالبَوْحُ بالسِّرِّ لَهُ مَقْتُ
عَلَى الَّذِي تُبديه فَاصْبِرْ ... واكْتُمْهُ حَتَّى يَصِلُ الوَقْتُ

فمن كان له قلب وفطنة، شغله طلب الحكمة عن البطنة، ووقف على ما رمزناه، وفك المعمى الذي لغزناه، ولولا خوف إفشاء السرّ الإلهي لشافهنا به الوارد والصادر، وجعلناه قوت المقيم وزاد المسافر.

والله الكفيل بالهداية إلى سواء السبيل.

ولو شاء لهداكم أجمعين.

فصل

بل وَصْلٌ

ولمَّا نزَّلَ عَلَيَّ الأسرار، وسطعت عن مسام أشعته الأنوار، اغتسلت بالماء القراح، فأعكست الأنوار إلى محل الإلهام فجرت جداولها، وأنهارها، واشتد الريح الغربي فتموجت بحارها، فدخل الموج بعضه إلى بعض، وأسرع إلى ما أبرمه بالمبرم والنقض فلا تبصر إلاّ سحاباً مركوماً، وموجاً مختوماً، في بحر لُجّيٍّ يغشاه موجٌ من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض.

فتأمل هذه الإشارات في نفسك، واجمع عليها بقلبك وحسّك، فإن الزمان شديد، جبار عنيد، وشيطان مريد. فانسلخ منهم انسلاخ النهار من الليل، وإلاّ لحقت بأصحاب الشرور والويل، وقد نصحتك فاعلم، وأوضحت لك السُّبُلَ فالزم. فأقامني الحق مقام البحر الذي علا موجه فطما، ودخل بعضه في بعض فهما، وأنا في حالة لا يعرفه إلاّ مَنْ كابدها، ولا يصفها إلاّ مَنْ شاهدها كما قيل:

لاَ يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلاَّ مَنْ يُكَابِدُهُ. وَلاَ الصَّبَابَةَ إلاَّ مَنْ يُعَانِيهَا

فأقمت متكئاً إلى اليمين، ونزَّلت قلبي في مقام عليين، إذ هو محلّ الحق، ومقعد الصدق، وقد غمره الماء، وأحاط به الأنواء، فلم تزل أمواجه تصفق، وأرياحه تزعج وتسبق إلى أن برقت لي منه بارقة كخرق الإبرة، فرشح منها قدر رأس الشعرة، رأيت فيها عبرة، ولم ير إلاّ شخصاً ملكياً أنشأها نشأً فلكياً لاقترابه، فعرفت أن ذلك الشخص جسمانية هذا الكتاب، الذي أنزل الحق عليَّ، وأبرزه للعيان على يديَّ، وإنه قطرة من ذلك البحر المتموّج، ورشحة من ذلك الموج الأوهج، فانظر وتأمل أيها المولى الأكمل، هذه الأسرار التي لا تتخلص بالفكر، إذ هي من حضرة ما لا خطر على قلب بشر، ولا وعتها أذن واعية، ولا أدركتها حقيقة بصر.

عَجِبْتُ مِنْ بَحْرٍ بِلا سَاحِلٍ ... وَسَاحِلٌ لَيْسَ لَهُ بَحْرُ
وَصُبْحَةٌ لَيْسَ لَهَا ظُلْمَةٌ ... وَلَيْلَةٌ لَيْسَ لَهَا فَجْرُ
وكُرَةٌ لَيْسَ لَهَا مَوْضِعٌ ... يَعْرِفُهَا الجَاهِلُ والحَبْرُ
وقُبَّةٌ خَضْرَاءُ مَنْصُوبَةٌ ... جَارِيَةٌ مَرْكَزُها العُمْرُ
مَنْ خَطَبَ الحَسْنَاءَ فِي خِدْرِهَا ... مُتَيَّماً لَمْ يُغْلِه المَهْرُ
أعْطَيْتُها المَهْرَ وَأَنْكَحْتُها ... فِي لَيْلَةٍ حَتّى دَنى الفَجْرُ
فَالشَّمْسُ قَدْ أدْرَج فِي ضَوْئِها ... القَمَرُ السَّاطِعُ والزَّهْرُ

فقد رمزنا في الصفات أمْراً يعجز عنه، ولا يصل إليه أحد إلاّ ما قدّر منه، فإن الموج والغبار بالامتزاج يزيد النار.

لَغَزْتُ أُموراً إنْ تَحَقَّقْتَ يسرَّها ... فَذَلِكَ عِلْمُ رَبِّكَ النَّافِعُ

غطس الغاطس ليخرج ياقوتها الأحمر في صدفة الأزهر، فيخرج من بعد ذلك البحر صفر اليدين، مكسور الجناحين، مكفوف العين، أخرس لا ينطق، مبهوت لا يعقل، فسئل بعدما رجع إليه النَّفَس، وخرج من سدفة الغَلَس.

فقيل له: ما رأيت، وما هذا الذي أصابك؟

فقال: هيهات لما تطلبون، وبُعْداً لما ترومون، والله لا ناله أحد، ولا تضمن معرفته روح ولا جسد، وهو العزيز الذي لا يُدرَك، والموجود الذي لا يهلك ولا يملك، وإذا حارت العقول وطاشت الألباب في تلقي صفاته هذا مقام الأنبياء، ومنزل الأمناء، وحضرة البلغاء وكل واحد من الواصلين إليه على قدر علمه، وقوة عزمه. فما كان شملهم المقام وعمّ، فمنهم التامُّ الأتم، فإنه من يقف على هذا العلم، ولا مقام لهذا الحكم، يروم ما لا يحصل له وذلك لما ذهل عنه وجهله وكفاك أن تعلم وهذا غاية العجز.

قل للباحث على ما لا يصل إليه، والطالب فوق ما يبتغيه: هل يعرف من الحق غير ما أوجده فيه؟

ثم قال للعارف:

أخرنا على المريد بالتعلّق، وعلى الله الإيجاد والتخلق، ولو فتحنا عليك باباً لوسعها، والتجأ بعضها إلى بعض لرأيت أمراً يهولك شطره، ويطيب لك خيره وخبره ولكن فيما ذكرناه تنبيهاً على ما سكتنا عنه وتركناه، وصيّره الحق سبحانه وتعالى، فزانه صبره، وهو موضوع نفوذ أمره إلاّ منه وهو حجاب تجليه، وترقي تَدَلّيه، ثم نظر طالباً أين موضع قدميه؟ وأين موضع نعليه؟

فانبعث من تلك الطريقة أشعة في الخلاة، استدارت أنوارها كاستدارة المرآة اللطيفة الكيف، الفارغة الجوف، معلومة المنازل، عند السالك والداخل، فجعل ذلك الكور، وأنشأ ذلك الدّور، كرسياً لقدميه، وحضرة لنفوذ ما يصدر من الأمر بين يديه، فيخرج الأمر منه متحد العين، حتى وصل الكرسي انقسم قسمين، إذ كان المخاطب من ذلك الموضع إلى أسفل موجودين اثنين، وإن كان واحداً فمن جهة أخرى، وعلى ذلك الواحد تتابع الرسل تترى، فإن المخاطب لجميع الأشياء إنما هو الإنسان ليس ملك ولا جان، فإن الملك والجان جزء منه، وأنموذج خرج عنه، فله بعض الخطاب، والإنسان كل الكتاب المنبّه عليه بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ثم بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

كما نبّه على الحقيقة المحمدية التي هي أصل الإنشاء، وأوّلُ الابتداء فقال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

فنحن الكتاب الأجلى، وهو الإمام الأعلى. فالإنسان الكتاب الجامع، والليل المظلم، والنهار المشرق الساطع. فمن علوّ مرتبه وسموّ منزلته، وإنه واحد بالنظر إلى قواعده، وخمسة بالنظر إلى مملكته، وستة بالنظر إلى جهاته، وسبعة بالنظر إلى صفاته، وثمانية بالنظر إلى سجيّته، وتسعة بالنظر إلى مراتبه، وعشرة بالنظر إلى إحاطته، وإحدى عشر بالنظر إلى ولايته، وهو روح القدس.

ثم قال: وتركنا تعين ما ذكرته موقوفاً على نفسك حتى تطّلع على ذلك ببصرك عند شروق شمسك، وقد نبّهنا عليها في هذا الكتاب بالتضمين. ففِد فؤادك وقوّ اجتهادك. عسى أن يفتح لك باباً من عنده عند مواظبتك على الوفاء والتصديق بوعيده ووعده.

ومن ذلك، إشارة:

مناقب المعارف والحكم موقوفة على ارتفاع الهمم.

فقلت له: ارفع الهمّة.

فقال: مضى زمان رفع الهمّة.

فقلت: اللهم ارفع بي الزمان، وبغير زمان زال الزمان فلا زمان.

ارفع الهمة في الزمان تنل ما نبهتُك عليه، فالترقّي دائماً أبداً.

ومن ذلك: ما لك يُضرب لك المثل بعد المثل، ولا تتفكر كم تخبط في الظلمة وتحسب أنك في النور، لا يغرنّك اتساع أرضه كلها شوك ولا فعل لك.

كم مات فيها من أمثالك؟

كم خرقت من نعال؟
فوقفوا ولم يتقدموا، ولم يتأخروا جوعاً وعطشاً.

وصية

لا راحة مع الخلق، فارجع إلى الحق فهو أولى لك.
فإن عاشرتهم على ما هم عليه بعدت من الحق.
وإن عاشرتهم على ما أنت عليه قتلوك.
فالسترُ أولى لك.

تنبيه:

تحفّظ من الصاحب فهو العدوّ الملازم. فدِلُه على الحق، واشغله به، فإنه سيشكر لك ذلك عند الله. وبعد:

أن سهّل الله بضروب نعمه بإنجاز هذا الكتاب من إشارات الصوفية. فإن العلم محصور المعلومات في ثلاثة:

فإمّا علم يتعلق بحضرة الدنيا وأسبابها، وما يحصل منها.

وإمّا علم يتعلق بالآخرة.

وإمّا علم يتعلق بالحق تعالى.

علم الأذواق من:

الصحو، والسكر، والشرب، والهيبة، والأنس، والإثبات، والمحو، والمحق، ومحق المحو، وفناء العين.

والأنبياء عليهم السلام هم الذين جمعوا هذه العلوم. والعلماء الذين هم ورثة لهم. وما عدا هذين الصنفين. فإنما بالبعض. وأقول للناظر في هذه العجالة:

قد أثبتُّ لك فيه كثيراً من دقائق الحقائق فيما يتعلق بك وفيما يتعلق بالأسرار الإلهية، ولقد نبهتك على الكنزين، وأجريت لك كلاماً من إشارات الصوفية، وتنبيهات حكمية، ومقامات فردانية لتفهم ما قلت لك، فإني أظهرت لك معنى من معاني، ورفعت لك الستر.

واعلم، وفقك الله، أن هذه الأسرار من العلوم التي يجب سترها ولا يجوز كشفها.

والله الموفق بمنّه وكرمه.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

منزل المنازل الفهوانية

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد

ابن عربي الحاتمي

المتوفى ٦٣٨هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً

الحمد لله الذي نقَّح العقول بعلوم الرياضيات وهذَّبها ثم وضع لها المنازل على مدارجها ورتَّبها، بعزته عند معارجها في السموات العُلى وتنوع مخارجها، من هذه القوالب الظلمانية السُّفلى.

إن منازل الثناء والمدح لأرباب الكشوفات والفتح.

ومنازل الرموز والألغاز، لأهل الحقيقة والمجاز.

ومنازل الدعاء والنداء، لأهل الإشارة والإقصاء.

ومنازل الأفعال لأهل الأحوال والوصال.

ومنازل الابتداء لأهل الخواطر الأُوَل والإيماء.

ومنازل التنزيه لأولي الاستنباطات والتوجيه.

ومنازل التقريب للمتأله الغريب.

ومنازل التوقّع لأصحاب السبحات والتبرقع.

ومنازل البركات لأهل الحركات.

ومنازل الأقسام للمدبرين عوالم الأجسام.

ومنازل الدهر لمن اغترف من النهر.

ومنازل الإنيّة لأرباب المشاهد العينية.

ومنازل لام ألف لأهل السر الذي لا ينكشف. إلاّ بعد قيام الألف من رقدتها وحل اللام من عقدتها.

ومنازل التقرير لعلماء الإكسير.

ومنازل فناء الكون للمستورين خلف حجاب الصون.

ومنازل الألفة لأصحاب الأمان والغرفة.

ومنازل الوعيد للقائمين بالعرش المجيد.

ومنازل الاستخبار للعارفين بالأسرار.

ومنازل الأمر للمتحققين بحقائق السر.

* * *

فالممتدحون بأوصافهم زاهون.

والرامزون من الاعتراض فائزون.

والمتألهون بأوصاف الربوبية متخلقون تائهون.

والواصلون على العين حاصلون.

والمشيرون عند التبليغ حائرون.

والمستنبطون مصيبون وغالطون.

والغرباء المقربُون عند صولة الكون منكسرون.

والمتبرقعون من سطوة السبحات خائفون.

والمتحركون بغيرهم مرزوقون.

والمدبرون بالفكر سالكون.

والممكّنون بوضع الحدود مكلفون.

والمشاهدون إذا سألتُهم جاحدون.

والكاتمون مجهولون فهم سالمون.

والعالمون على الأشياء والمعلومات حاكمون.

والمستورون عند المحققين منتظرون.

والآمنون في مواطن الدنيا مخدوعون.

والقائمون عند الله قاعدون.

والملهمون في الأكوان محكمون.

والمحققون بالثلاثة الأحوال ظاهرون.

فهم المؤمنون الكافرون المنافقون. فتراهم لهذه الثلاثة الأحكام في كل واد يهيمون، وبكل لسان يتكلمون، وفي كل صورة يظهرون، وعلى كل سور يتسورون.

وصلى الله على الكامل في المراتب الوجودية، والمالك للخزائن الجودية، المجموع له من المعراجين بالموقف الأزهى، والمكانة الزلفى، وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد

فإن الله تعالى لمّا جعل لهذه المعارج أحكاماً، وضع لها اسماً بحسب أحكامها. واشتق للمتحققين بها اسماً من أسماء هذه الأحكام. واختلفت توجهات الحقائق الإلهية على هذه المعارج فاختلفت الألقاب على هذه التوجهات.

كل ذلك ليقع التمييز للمبهم، والإعراب للمعجم، التفصيل للمجمل ثم جعل سبحانه للقائمين بهذه المعارج أحوالاً لها ألقاب في عالم العبارة، ليقع أيضاً التمييز بين رجالها أو بين أحكامها في الرجل الواحد كالعلم مجملاً والعالم مفصلاً. وإذا وقع التفصيل في العلم وقع التفصيل في العالم فقيل الهندسة، والمنطق، والنحو، واللغة، والطب، إلى غيره. له من العلم الصناعي وغير الصناعي فقيل: المهندس، والمنطقي، والنحوي، واللغوي، والطبيب. وغير ذلك. فلنذكر من هذا الضرب تسعة عشر قسماً كما ذكرناها في خطبة هذا الكتاب. وكما سترد أسماء المنازل محاطة محصورة في تسعة عشر قسماً. ونبين حكمة انحصار الأقسام في تسعة عشر. وأن الموجودات محصورة فيها من وجوه متعددة فنقول:

إن الله تعالى لما هيّأ المنازل للنازل، ووطّأ المعاقل للعاقل وزوى المراحل للراحل، وأعلى المعالم للعالم، وفَصّل المقاسم للقاسم، وأعدَّ القواصم للقاصم، وبَيّن العواصم للعاصم، ورفع القواعد للقاعد، ورتّب المراصد للراصد، وسخّر المراكب للراكب، وقَرّب المذاهب للذاهب، وسطّر المحامد للحامد، وسهّل المقاصد للقاصد، وأنشأ المعارف للعارف، وثبّت المواقف للواقف، ووَعّر المسالك للسالك، وعيّن المناسك للناسك، وأخرس المشاهد للشاهد، وأحرس الفراقد للراقد.

فجعل سبحانه وتعالى النازل مقدّراً، والعاقل مفكّراً، والراحل مشمراً، والعالم مشاهداً، والقاسم مكابداً، والقاصم مجاهداً، والعاصم مساعداً، والقاعد عارفاً، والراصد واقفاً، والراكب محمولاً، والذاهب معلولاً، والحامد مسؤولاً، والقاصد مقبولاً، والعارف مبخوتاً، والواقف مبهوتاً، والسالك مردوداً، والناسك مبعوداً، والشاهد محكماً، والراقد مسلماً.

فهذا قد ذكرناه مفصلاً مبيناً فأشرنا لهذه المنازل، وإن كثرت، بمنزل يجمعها يسمى: منزل المنازل، وهو هذا الكتاب وفيه أقول:

عجباً لأقْوَالِ النُّفُوسِ السَّامِيَةِ ... إنَّ المنَازِلَ فِي المَنَازِلِ سَارِيَهْ
كَيْفَ العُرُوجُ مِنَ الحضِيضِ إلَى العُلَى ... إلاَّ بِقَهْرِ الحَضْرَةِ المُتَعَالِيَهْ
فَصِنَاعَةُ التَّحْلِيلِ فِي مِعْرَاجِهَا ... نَحْو اللَّطَائِفِ والأُمُورِ السَّامِيَهْ
وَصِنَاعَةُ التَّرْكِيبِ عِنْدَ رُجُوعِهَا ... بِسَنَا الوُجُودِ إلَى ظَلامِ الهَاوِيَهْ

وفي هذا المنزل تجتمع المنازل كلها المذكورة في هذا الكتاب وغيرها مما ذكرناه في غير هذا الموضع، ومما لم نذكره. وربما تُسَمَّى المشاهد. وقد سمَّاها غيرنا: «المواقف»، و«البشائر»، و«الموارد». كما قد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم.

وسنذكر إن شاء الله في هذا الكتاب ما يعطيه هذا المنزل، وما يعطيه كل منزل. أعني من الأمهات التسعة عشر. وأمَّا ما تعطيه المنازل فنذكرها في كتبها إذا ذكرناها، إن شاء الله.

فأول منزل يلقاك في هذا المعراج:

منزل الثناء والمدح:

وفيه منازل، وهو مخصوص. وإنما ذكرناه في خطبة الكتاب ومنازله: منزل الفتح، ومنزل المفاتح الأول، ومنزل العجائب، ومنزل تسخير الأرواح البرزخية، ومنزل الأرواح العلوية.

وفي هذا المنزل قلت:

مَنَازِلُ المَدْحِ والتَّبَاهِي ... مَنَازِلٌ مَا لَهَا تَنَاهِي
لاَ تَطْلُبَنّ في السُّمُو مَدحاً ... مَدَائِحُ القَوْمِ فِي الثَّرى هِي
مَنْ ظَمِئَتْ نَفْسُهُ جِهَاداً ... يَشْرَبُ مِنْ أعْذَبِ المِيَاهِ

وبين منزل الفتح، ومنزل المفاتح الأول أربعة منازل.

وبينه وبين منزل العجائب خمسة عشر منزلاً.

وبينه وبين منزل الأرواح البرزخية أحد وثلاثون منزلاً.

وبينه وبين منزل الأرواح العلوية اثنان وثلاثون منزلاً.

وبين منزل المفاتح الأول ومنزل الأرواح العلوية ثمانية وعشرون منزلاً.

وبينه وبين منزل العجائب أحد عشر منزلاً.

وبينه وبين منزل الأرواح البرزخية سبعة وعشرون منزلاً.

لا تصل إلى منزل من هذه المنازل حتى تسلك هذه المنازل، التي بينها. ولكل منزل من هذه المنازل تجليات إلهية كثيرة نخاف من ذكرنا إياها في كل منزل لما جاء فيها من الطول وضيق الوقت.

وفي كل تجل مواهب وأسرار تزيد على السبع مائة ألف فأي ديوان يسعها.

لكن من دخل هذه المنازل سيقف على هذه الأسرار. ورُبَّ رجل يقف على هذه المنازل وتجلياتها وعلومها في اللحظة الواحدة من هذا العالم فيحصلها بجملتها. ولذلك أضربنا عن ذكرها وإن كنا نذكر من تجلياتها في بعض هذه المنازل ليقع الاستدلال بها على ما لم نذكره. تجد لك في منزل البرزخ من القسم الثالث من منازل الرموز ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الرموز:

وهو على خمسة أقسام:

القسم الأول: في الوحدانية.

وفيه منزل العقل الأول، ومنزل العرش الأعظم، ومنزل رد الكلام على المتكلم، ويسمى الصدأ. مثل ما وقع التجلي للنفس بالتجريد عن المادة فقال لها: من أنا؟ فقالت له: من أنا؟ فلما أسكنها هذا القالب، الظلمات، الذي هو بحر الفقر تجلى لها فقال لها: من أنا؟ فقالت: ربي.

وقد ورد هذا في بعض الأخبار النبوية: «إن الله لما خلق النفس قال لها: من أنا؟ فقالت له: من أنا؟

فأسكنها في بحر الجوع أربعة آلاف سنة، ثم قال لها: من أنا؟

قالت: أنت ربي»[1].

---

(١) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

فبين منزل العقل الأول وبين منزل العرش الأعظم (لا)[1] منزلاً. وبينه وبين منزل رد الكلام على المتكلم (كط) منزلاً. وبين منزل العرش الأعظم وبين منزل رد الكلام (يا) منزلاً.

وأما القسم الثاني:

فإنه يشتمل على منازل منها منزل الاستواء من العماء ومنزل التمثل، ومنزل القلوب، ومنزل الحجاب، ومنزل الاستواء الفهواني، ومنزل الألوهية السارية، ومنزل استمداد الكاهن، ومنزل الدهر، ومنزل إلمنازل التي لا ثبات فيها. فهذه منازل هذا القسم.

وبين منزل الاستواء من العماء ومنزل التمثل (و) منازل. وبينه وبين منزل القلوب (يه) منزلاً. وبينه وبين منزل الحجاب (يط) وبينه وبين منزلا الاستواء الفهواني (ك) منزلاً. وبينه وبين منزلا الألوهية السارية (كب) وبينه وبين منزل استمداد الكاهن (كحب).

وبينه وبين منزل الدهر (كد) وبينه وبين المنازل التي لا ثبات لها (كه) منزلاً. وبين منزل التمثل ومنزل القلوب (ح). وبينه وبين منزل الحجاب (يب). وبينه وبين منزل الاستواء الفهواني (يج). وبينه وبين منزل الألوهية السارية (يه) وبينه وبين منزل استمداد الكاهن (يو). وبينه وبين منزل الدهر (يز). وبينه وبين المنازل التي لا ثبات فيها (طا). وبين منزل القلوب ومنزل الحجاب (ج). وبينه وبين منزل الاستواء الفهواني (ه). وبينه وبين منزل الألوهية السارية (و). وبينه وبين منزل استمداد الكاهن (د) وبينه وبين منزل الدهر (ح). وبينه وبين المنازل التي لا ثبات فيها (ط). وبين الحجاب ومنزل الاستواء

---

(١) يشير الشيخ الأكبر بعدد الحروف إلى عدد المنازل وهي (٣١) منزلاً لأن «لا» عددها بحساب الجمل (٣١) وبذلك يكون بين العقل الأول والعرش الأعظم (٣١) منزلاً.
هذا وإتماماً للفائدة وتيسيراً على القارىء معرفة حساب الجمل لمعرفة عدد المنازل أذكر كيفية عملية الحساب التي تجري وفق (أبجد هوز) وهي على النحو التالي أ = ١، ب = ٢، ج = ٣، د = ٤، هـ = ٥، و = ٦، ز = ٧، ح = ٨، ط = ٩، ي = ١٠، ك = ٢٠، ل = ٣٠، م = ٤٠، ن = ٥٠، س = ٦٠، ع = ٧٠، ف = ٨٠، ص = ٩٠، ق = ١٠٠، ر = ٢٠٠، ش = ٣٠٠، ت = ٤٠٠، ث = ٥٠٠، خ = ٦٠٠، ذ = ٧٠٠، ض = ٨٠٠، ظ = ٩٠٠، غ = ١٠٠٠.
وهكذا نعرف عدد المنازل من معرفة عدد الحرف الواحد وبالنسبة للحرفين فصاعداً نجمع عدد أرقام أحرفها والرقم المجموع يمثل عدد المنازل التي يشير إليها الشيخ الأكبر رحمهما الله تعالى ونفعنا بعلومه وأسراره آمين.

الفهواني منزل. وبينه وبين منزل الألوهية السارية (ب). وبينه وبين منزل استمداد الكاهن (ج). وبينه وبين منزل الدهر (د). وبينه وبين المنازل التي لا ثبات فيها (ل). وبين منزل الاستواء الفهواني: وبين منزل الألوهية السارية (أ). وبينه وبين منزل استمداد الكاهن (ف). وبينه وبين منزل الدهر (ج). وبينه وبين المنازل التي لا ثبات فيها (د). وبين منزل الألوهية السارية وبين منزل استمداد الكاهن منزل وبين منزل الألوهية. ومنزل الدهر (أ) وبينه وبين المنازل التي لا ثبات فيها (ب).

وليس بين منزل استمداد الكاهن وبين منزل الدهر منزل. وبين منزل استمداد الكاهن والمنازل التي لا ثبات فيها منزل. وليس بين منزل الدهر والمنازل التي لا ثبات فيها منزل.

وأمّا القسم الثالث:

فإنه يشتمل على منازل منها:

منزل البرازخ، ومنزل الألوهية، ومنزل الزيادة، ومنزل الغيرة، ومنزل الفقد والوجد، ومنزل الشكوك، ومنزل الجود المخزون، ومنزل القهر، ومنزل الخسف، ومنزل الأرض الواسعة ومنزل الآيات الغريبة، ومنزل الحكم الإلهية، ومنزل الاستعداد. وليس بين منزل البرازخ ومنزل الألوهية منزل. وبين منزل الزيادة (ن)، وبينه وبين منزل الغيرة (ح) وبينه وبين منزل الفقر (ط)، وبينه وبين منزل رفع الشكوك (يا)، وبينه وبين منزل الجود (يب)، وبينه وبين منزل القهر (كج)، وبينه وبين منزل الخسف (كه)، وبينه وبين منزل الأرض الواسعة (كو)، وبينه وبين منزل الآيات (كر)، وبينه وبين منزل الحِكَم (كح)، وبينه وبين منزل الاستعداد (كط)، وبين منزل الألوهية ومنزل الزيادة (و)، وبينه وبين منزل الغيرة (ز)، وبينه وبين منزل الفقر (ح)، وبينه وبين منزل ربع الشبه (ي)، وبينه وبين منزل الجود (يا)، وبينه وبين منزل القهر (كب)، وبينه وبين منزل الخسف (كد)، وبينه وبين منزل الأرض الواسعة (كه)، وبينه وبين منزل الآيات (كو)، وبينه وبين منزل الحكم (كز)، وبينه وبين منزل الاستعداد (كح)، وليس بين منزل الزيادة ومنزل الغيرة منزل، وبينه وبين منزل الفقر (أ) وبينه وبين منزل رفع الشكوك (ج)، وبينه وبين منزل الجود (د) وبينه وبين منزل القهر (يه)، وبينه وبين منزل الخسف (يو)، وبينه وبين منزل الأرض الواسعة (يز)، وبينه وبين منزل الآيات (ير)، وبينه وبين منزل الحِكم (يح)، وبينه وبين منزل الاستعداد (كط)، وبين منزل الغيرة ومنزل الفقر منزل وبينه وبين منزل رفع الشكوك (ب)، وبينه

وبين منزل الجود (ح)، وبينه وبين منزل القهر (يد)، وبينه وبين منزل الخسف (يه)، وبينه وبين منزل الأرض الواسعة (يز)، وبينه وبين منزل الآيات (يح)، وبينه وبين منزل الحِكَم (يط) وبينه وبين منزل الاستدعاء (ك)، وبين منزل الفقد والوجد ومنزل رفع الشكوك (أ)، وبينه وبين منزل الجود (ر)، وبينه وبين منزل القهر (يج)، وبينه وبين منزل الخسف (يه)، وبينه وبين منزل الأرض الواسعة (يو)، وبينه وبين منزل الآيات (يز)، وبينه وبين منزل الحِكَم (لح)، وبينه وبين منزل الاستعداد (ط)، وليس بين منزل رفع الشكوك وبين منزل الجود منزل، وبينه وبين منزل القهر (يب)، وبينه وبين منزل الخسف (يد)، وبينه وبين منزل الأرض الواسعة (يه)، وبينه وبين منزل الآيات (يو)، وبينه وبين منزل الحكم (ير) وبينه وبين منزل الاستعداد (يح)، وبين منزل الجود ومنزل القهر (ي)، وبينه وبين منزل الخسف (يب)، وبينه وبين منزل الأرض الواسعة (يح)، وبينه وبين منزل الآيات (يد)، وبينه وبين منزل الحِكَم (يه)، وبينه وبين منزل الاستعداد (يو)، وبين منزل القهر ومنزل الخسف (أ) وبينه وبين منزل الأرض الواسعة (يـ)، وبينه وبين منزل الآيات (ج)، وبينه وبين منزل الحِكَم (د)، وبينه وبين منزل الاستعداد (ه)، وليس بين منزل الخسف وبين منزل الأرض الواسعة منزل، وبينه وبين منزل الآيات (أ)، وبينه وبين منزل الحكم (ب) وبينه وبين منزل الاستعداد (ج). وليس بين منزل الأرض ومنزل الآيات منزل، وبينه وبين منزل الحِكَم (أ) وبينه وبين منزل الاستعداد (ب). وليس بين منزل الآيات وبين منزل الحِكَم منزل، وبينه وبين منزل الاستعداد (أ). وليس بين منزل الحكم ومنزل الاستعداد منزل.

وأمّا القسم الرابع:

فإنه يشتمل على منازل منها:

منزل الزينة الإلهية، ومنزل المعنى الذي به يمسك السماء أن تقع على الأرض. فبين منزل الزينة ومنزل هذا المعنى الذي أشرنا إليه (ل).

وأمّا القسم الخامس:

فإنه يشتمل على منازل منها منزل الذكر، ومنزل السلب، فبين منزل الذكر ومنزل السلب (كب).

فهذه جملة هذه المنازل وفيها أقوال:

مَـنَـازِلُ الـكَـوْن فِـي الـوُجُـودِ مَـنَـازِلٌ كُـلُّـهَـا رُمُـوزُ

مَـنَـازِلُ لـلـعُـقُـولِ فِـيـهَـا دَلاَئِــلُ كُـلُّـهَـا تَـجُـوزُ
لِـمَـا أَتَـى الـطَّـالِـبُون قَـصْـداً لِـنَـيْـلِ شَـيْءٍ فَـذَاكَ: جُـوزُوا
فَـيَـا عَـبِـيـدَ الـكَـيَـانِ حُـوزُوا هَـذَا الَّـذي سَـاقَـكُـم وجُـوزُوا

ثم يتلو هذا المنزل أعني منازل الرموز:

منزل النداء:

وهي: منزل الأنس بالشبيه، ومنزل الأغذية ومنزل الغربتين، ومنزل الحجب، ومنزل المقاصير والخدود، ومنزل الابتلاء، ومنزل المعرفة، ومنزل المنع، ومنزل النواشي، ومنزل التقديس. وليس بين منزل الأنس ومنزل الأغذية منزل، وبينه وبين منزل الغربتين (ير) وبينه وبين منزل الحجب (كح) وبينه وبين منزل المقاصير والخدود (مد) وبينه وبين منزل الابتلاء (يه) وبينه وبين منزل المعرفة (س) وبينه وبين منزل المنع (سا) وبينه وبين منزل النواشي (سح) وبينه وبين منزل التقديس (سط) وبين منزل الأغذية وبين منزل الغربتين (يو) وبينه وبين منزل الحجب (كز)، وبينه وبين منزل المقاصير (مج)، وبينه وبين منزل الابتلاء (يد)، وبينه وبين منزل المعرفة (نط)، وبينه وبين منزل المنع (س)، وبينه وبين منزل النواشي (سز)، وبينه وبين منزل التقديس (سح)، وبين منزل الغربتين ومنزل الحجب (يب)، وبينه وبين منزل المقاصير (كه)، وبينه وبين منزل الابتلاء (لو)، وبينه وبين منزل المعرفة (ما)، وبينه وبين منزل المنع (مذ)، وبينه وبين منزل النواشي (مط)، وبينه وبين منزل التقديس (ن)، وبين منزل الحجب ومنزل المقاصير (يه)، وبينه وبين منزل الابتلاء (كو)، وبينه وبين منزل المعرفة (لا)، وبينه وبين منزل المنع (لب)، وبينه وبين منزل النواشي (لط)، وبينه وبين منزل التقديس (ص)، وبين منزل المقاصير وبين منزل الابتلاء (مي)، وبينه وبين منزل المعرفة (يه)، وبينه وبين منزل المنع (يو)، وبينه وبين منزل النواشي (كح)، وبينه وبين منزل التقديس (كد)، وبين منزل الابتلاء ومنزل المعرفة (د)، وبينه وبين منزل الابتلاء ومنزل المعرفة (د)، وبينه وبين منزل المنع (ل)، وبينه وبين منزل النواشي (يب) وبينه وبين منزل التقديس (ح)، وليس بين منزل المعرفة ومنزل المنع منزل، وبينه وبين منزل النواشي (ر) وبينه وبين منزل التقديس (ح) وبين منزل المنع ومنزل النواشي (ر)، وبينه وبين منزل التقديس (ح) وبين منزل المنع ومنزل النواشي (و)، وبينه وبين منزل التقديس (ن)، وليس بين منزل النواشي وبين منزل التقديس (ز) وليس بين منزل النواشي، وبين منزل التقديس منزل وفي هذه المنازل أقول:

لآيَـةِ الـرَّحْـمَـنِ فِـيـكَ مَـنَـازِلٌ فـأجِـبْ نِـدَاءَ الـحَـقِّ طَـوْعـاً يَـأفَـلُ
رَفَـعَـتْ إلَـيْـكَ الـمُـرْسَـلاَتُ أَكُـفَّـهـا تَـرْجُـو الـنَّـوالَ فَـلاَ يَـخِـيـبَ الـسَّـائِـلُ
أَنـتَ الَّـذِي قَـالَ الـدَّلِـيـلُ بِـفَـضْـلِـهِ وَلَـنَـا عَـلَـيْـهِ شَـوَاهِـدٌ وَدَلاَئِـلُ
لَوْلاَ اخْتِصَاصُكَ بِالْحَقِيقَةِ مَا زَهَتْ بِـنُـزُولِـكَ الأَعْـلَـى لَـدَيْـهِ مَـنَـازِلُ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الأفعال:

ويشتمل على منازل منها:

منزل الفضل، ومنزل الإلهام، ومنزل الإسراء الروحاني، ومنزل التلطف، ومنزل الهلاك.

فبين منزل الفضل ومنزل الإلهام (ز)، وبينه وبين منزل الإسراء الروحاني (سا)، وبينه وبين منزل التلطف (مجا)، وبينه وبين منزل الهلاك (قب)، وبين منزل الإلهام وبين منزل الإسراء الروحاني (ني)، وبينه وبين منزل التلطف (سج)، وبينه وبين منزل الهلاك (صه)، وبين منزل الإسراء الروحاني وبين منزل التلطف (ط)، وبينه وبين منزل الهلاك (مر)، وبين منزل التلطف ومنزل الهلاك (ل). وفي هذا المنزل أقول:

لِـمَـنَـازِلِ الأَفْـعَـالِ بَـرْقٌ لاَمِـعٌ وَرِيَـاحُـهَـا تُـزْجِـي الـسَّـحَـابَ زَعَـازِعُ
وَسِـهَـامُـهَـا فِـي الـعَـالَـمِـيـنَ نَـوافِـذٌ وَسُـيُـوفُـهـا فِـي الـكَـائِـنَـاتِ قَـوَاطِـعُ
أَلْـقَـتْ إلَـى الـعِـزِّ الـمُـحَـقَّـقِ أَمْـرَهَـا فَـالْـعَـيْـنُ تُـبْـصِـرُ والـتَّـنَـاوُلُ شَـاسِـعُ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الابتداء:

ويشتمل على منازل منها:

منزل الغلظة، ومنزل السبحات، ومنزل التنزلات، ومنزل العلم بالتوحيد الإلهي، ومنزل الرحموت، ومنزل الحق، ومنزل الفرع.

فبين منزل الغلظة ومنزل السحاب (يد)، وبينه وبين منزل التنزلات (ر)، وبينه وبين منزل العلم بالتوحيد (لز)، وبينه وبين منزل الرحموت (مه)، وبينه وبين منزل الحق (نط)، وبينه وبين منزل الفرع (صا)، وبين منزل السبحات ومنزل التنزلات (يه)، وبينه وبين منزل علم التوحيد (ك)، وبينه وبين منزل الرحموت (ما)، وبينه وبين منزل الحق (مه)، وبينه وبين منزل الفرع (عز).

وبين منزل التنزلات وبين منزل علم التوحيد (ز) وبينه وبين منزل الرحموت (يه) وبينه وبين منزل الحق (كط)، وبينه وبين منزل الفرع (سا).

وبين منزل علم التوحيد وبين منزل الرحموت (ز) وبينه وبين منزل الحق (كا)، وبينه وبين منزل الفرع (نج)، وبين منزل الرحموت وبين منزل الحق (بح)، وبينه وبين منزل الفرع (مه)، وبين منزل الحق ومنزل الفرع (ر).

وفي معنى هذه المنازل أقول:

لِـلابْـتِـدَاءِ شَـوَاهِـدٌ وَدَلاَئِـلُ ... وَلَـهُ إِذَا حَـطَّ الـركَـابُ مَـنَـازِلُ
يَخوِي عَلَى عَيْنِ الحَوَادِثِ حكمة ... ويَـمُـدُّه الله الـكَـرِيـمُ الـفَـاعِـلُ
مَـا بَـيْـنَـه نَـسَـبٌ وبـيـن الآلِـهَـة ... إلاَّ الـتَّـعَـلُّـقُ والـوجُـودُ الـحَـاصِـلُ
لاَ تَـسْـمَـعَـنَّ مَـقَـالَـةً مِـن جَـاهِـلٍ ... مَـبْـنـى الـوجُـودُ حَـقَـائـق وأبـاطِـلُ
مَـبْـنَـى الـوُجُـودِ حَـقَـائِـقٌ مَـشْـهُـودَةٌ ... وَسِوَى الوُجُودِ هو المُحالُ البَاطِلُ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل التنزيه:

ويشتمل على منازل منها:

منزل الشكر، ومنزل البأس، ومنزل النشر، ومنزل النصر، ومنزل الجمع، ومنزل الربح والخسران، ومنزل الاستحالات.

فبين منزل الشكر ومنزل البأس (لط)، وبينه وبين منزل النشر (ما)، وبينه وبين منزل النصر (مح)، وبينه وبين منزل الجمع (مد)، وبينه وبين منزل الربح والخسران (مو)، وبينه وبين منزل الاستحالات (ع)، وبين منزل البأس والنشر (أ)، وبينه وبين منزل النصر (ج)، وبينه وبين منزل الجمع (د)، وبينه وبين منزل الاستحالات (كط)، وبين منزل النشر ومنزل النصر (أ)، وبينه وبين منزل الجمع (ر)، وبينه وبين منزل الربح (د)، وبينه وبين منزل الاستحالات (كز).

وليس بين منزل النصر ومنزل الجمع منزل. وبينه وبين منزل الربح (ب) وبينه وبين منزل الاستحالات (كه) وبين منزل الجمع ومنزل الربح (أ)، وبينه وبين منزل الاستحالات (كه) وبين منزل الربح والخسران ومنزل الاستحالات (كب).

وفي هذا المنزل أقول:

لِمَنَازِلِ التَّنْزِيه والتَّقْدِيس سِرّ مَقُولٌ حُكْمُهُ مَعْقُولُ
عِلْمٌ يَعُودُ عَلى المُنَزّه حُكْمُهُ فَرْدُوس قُدْسٌ رَوْضَه مَطْلُولُ
فَمُنَزّهُ الحَقّ المبينِ مُجَوّزٌ مَا قَالَهُ فَمُرامُهُ تَضْلِيلُ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل التقريب:

ويشتمل على منازل منها:

منزل خرق العوائد، ومنزل وحدانية كن.

وبين المنزلين (لج).

وفي هذا المنزل أقول:

لِمَنَازِلِ التَّقْرِيبِ شَرْطٌ يُعلَمُ وَلَها عَلى ذَاتِ الكَيانِ تَحكُّمُ
فإذا أَتى شَرطُ القِيامَةِ واسْتَوى جَبَّارُها خَضَعَ الوجُودُ وَيَخْدُمُ
هَيْهَاتِ لاَ تَجْنِي النُّفُوسُ ثِمَارَهَا إلاَّ الَّتي فَعَلَتْ وأَنْتَ مُجسَّمُ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل التوقع:

ويشتمل على منازل منها:

منزل الطريق الإلهي، ومنزل السمع.

وبين المنزلين (لو). وفي هذا المنزل أقول:

ظَهرتْ مَنَازِلُ لِلتَّوقُّع بَادِيةْ وَقُطُوفُها لِيَدِ المُقرّبِ دَانِيهْ
فاقْطِفْ مِن أَغْصَانِ الدُّنُوّ ثِمَارَها لا تَقْطُفَنَّ مِنَ الغُصُونِ العَادِيَهْ
لاَ تَخرُجَنَّ عَنِ اعْتِدَالِكَ والزَّمَنْ وَسْطَ الطَّرِيق تَرى الحقَائِقَ بَادِيهْ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل البركات:

وهو يشتمل على منازل منها:

منزل الجمع والتفرقة، ومنزل الخصام البرزخي وهو منزل الملك القاهر وبين المنزلين منازل (مت). وفي هذا المنزل أقول:

لِـمَـنَـازِلِ الـبَـرَكَـات نُـورٌ يَـسْـطَـعُ وَلَـهُ بِـحَـبَّـاتِ الـقُـلُـوبِ تَـوَقُّـعُ
فِـيـهَـا الـمَـزِيـدُ لِـكُـلِّ طَـالِـبِ مَـشْـهَـدٍ وَلَـهَـا إلـى نَـفْـسِ الـوُجُـودِ تَـطَـلُّـعُ
فَـإِذَا تَـحَـقَّـقَ سِـرُّ طَـالِـبِ حُـكْـمَـهُ بِـحَـقَـائِـقِ الـبَـرَكَـاتِ شَـدَّ الـمَـطْـلَـعُ
فَـالـحَـمْـدُ لِـلَّـه الَّـذي فِـي كَـونِـهِ أَعْـيَـانُـه مَـشْـهُـودَةٌ تَـتَـسَـمَّـعُ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الأقسام:

ويشتمل على منازل منها:

منزل الفهوانيات الروحانية، ومنزل المقاسم الروحانية، ومنزل الرقوم، ومنزل مساقط النور، ومنزل الشعراء، ومنزل المراتب الروحانية، ومنزل النفس الكلية، ومنزل القطب، ومنزل انفهاق الأنوار على عالم الغيب، ومنزل مراتب النفس الناطقة، ومنزل اختلاف الطرق، ومنزل المودة، ومنزل علوم الإلهام، ومنزل النفوس الحيوانية، ومنزل الصلاة الوسطى.

فبين منزل الفهوانيات ومنزل المقاسم (يح)، وبينه وبين منزل الرقوم (يد)، وبينه وبين منزل مساقط النور (يه)، وبينه وبين منازل الشعراء (لط)، وبينه وبين منزل المراتب (ما)، وبينه وبين منزل النفس الكلية (مز)، وبينه وبين منزل القطب (مح)، وبينه وبين منزل انفهاق الأنوار (ن)، وبينه وبين منزل مراتب النفس (مح)، وبينه وبين منزل اختلاف الطرق (ند)، وبينه وبين منزل المودة (نه)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (نز)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (سا)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (سد).

وليس بين منزل المقاسم الروحانية ومنزل الرقوم منزل وبينه وبين منزل مساقط النور (أ)، وبينه وبين منزل السفر (كه) وبينه وبين منازل المراتب (كز)، وبينه وبين منزل النفس الكلية (لج)، وبينه وبين منزل القطب (لد)، وبينه وبين منزل انفهاق الأنوار (لز)، وبينه وبين منزل مراتب النفس (لط) وبينه وبين منزل اختلاف الطرق (م)، وبينه وبين منزل المودة (ما)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (مج)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (مح) وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (نا). وليس بين منزل

الرقوم ومنزل مساقط النور منزل، وبينه وبين منزل الشعراء (كد)، وبينه وبين منزل المراتب (كو)، وبينه وبين منزل النفس الكلية (لب)، وبينه وبين منزل القطب (ج)، وبينه وبين منزل انفهاق الأنوار (نو)، وبينه وبين منزل مراتب النفس (لح)، وبينه وبين منزل اختلاف الطرق (لط)، وبينه وبين منزل المودة (م)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (مب)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (مز)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (ن).

وبين منزل مساقط النور وبين منزل الشعراء (كج)، وبينه وبين منزل المراتب (كه)، وبينه وبين منزل النفس الكلية (لا)، وبينه وبين منزل القطب (لب)، وبينه وبين منزل انفهاق الأنوار (له)، وبينه وبين منزل مراتب النفس (لز)، وبينه وبين منزل اختلاف الطرق (لح)، وبينه وبين منزل المودة (لط)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (م)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (مه)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (مح).

وبين منزل الشعراء وبين منزل المراتب الروحانية (أ)، وبينه وبين منزل النفس الكلية (ز)، وبينه وبين منزل القطب (ح)، وبينه وبين منزل انفهاق الأنوار (يا)، وبينه وبين منزل مراتب النفس (يح)، وبينه وبين منزل اختلاف الطرق (يد)، وبينه وبين منزل المودة (ته)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (بر)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (كب)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (كه).

وبين منزل المراتب الروحانية وبين منزل النفس الكلية، وبينه وبين منزل القطب (و)، وبينه وبين منزل انفهاق الأنوار (ط)، وبينه وبين منزل مراتب النفس (ما) وبينه وبين منزل اختلاف الطرق (يب)، وبينه وبين منزل المودة (يج)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (يه)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (ك)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (كج).

وليس بين منزل النفس الكلية وبين منزل القطب منزل، وبينه وبين منزل انفهاق الأنوار (ج)، وبينه وبين منزل مراتب النفس الناطقة (ط)، وبينه وبين منزل اختلاف الطرق، (و)، وبينه وبين منزل المودة (ز)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (ط). وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (يد)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (يز).

وبين منزل القطب ومنزل انفهاق الأنوار (ب)، وبينه وبين منزل مراتب النفس (د)، وبينه وبين منزل اختلاف الطرق (ط)، وبينه وبين منزل المودة (و)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (ح)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (يح)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (يو).

وبين منزل انفهاق الأنوار وبين منزل مراتب النفس (أ)، وبينه وبين منزل اختلاف الطرق (ب)، وبينه وبين منزل المودة (جـ)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (ط)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (ي)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (يح).

وليس بين مراتب النفس الناطقة ومنزل اختلاف الطرق منزل، وبينه وبين منزل المودة (أ)، وبينه وبين منزل علوم الإلهام (ما)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (مو)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (مط)، وليس بين منزل الطرق وبين منزل المودة منزل. وبينه وبين منزل علوم الإلهام (ب)، وبينه وبين منزل النفوس الحيوانية (ز)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (ي).

وبين منزل المودة ومنزل علوم الإلهام (أ)، وبينه وبين منزل النفس الحيوانية (و)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (ط). وبين منازل علوم الإلهام وبين منزل النفوس الحيوانية (د)، وبينه وبين منزل الصلاة الوسطى (ز)، وبين منزل النفوس الحيوانية وبين منزل الصلاة الوسطى (ب).

وفي هذه المنازل أقول:

مَـنَـازِلُ الأَقْـسَـامِ فـي الـعَـرْضِ ... أَحْـكَـامُـهـا فِـي عَـالَـمِ الأَرْضِ
تَـجْـرِي بِـأَفْـلاكِ الـسُّـعـودِ عَـلـى ... مَـنْ قَـامَ بـالـسُّـنَّـةِ والـفَـرْضِ
وَعِـلْـمُـهـا وَقْـفٌ عَـلـى عَـيْـنِـهـا ... وَحُـكْـمُـهـا فـي الـطُّـولِ والـعَـرضِ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الإنيّة:

ويشتمل على منازل منها:

منزل سليمان عليه السلام، منزل الستر الكامل، ومنزل اختلاف المخلوقات، ومنزل الروح، ومنزل العلوم.

فبين منزل سليمان ومنزل الستر (يط)، وبينه وبين منزل اختلاف المخلوقات (يب)، وبينه وبين منزل الروح (سح)، وبينه وبين منزل العلوم (عط). وبين منزل الستر وبين منزل اختلاف المخلوقات (كب)، وبينه وبين منزل الروح (مح)، وبينه وبين منزل العلوم (نط)، وبين منزل اختلاف المخلوقات وبين منزل الروح (كه)، وبينه وبين منزل العلوم (لو)، وبين منزل الروح وبين منزل العلوم (ي).

وفي هذا المنزل أقول:

إنسيةٌ قُدسيةٌ مشهودةٌ لوجودها عند الرّجالِ منازلُ
تفني الكيانَ إذا تجلّت صورةٌ في سورةٍ أعلامها تتفاضلُ
وتريكَ فيكَ وجودَها بنعوتِها خلفَ الظّلالِ وجودُها لكَ شاملُ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الدهور:

ويشتمل على منازل منها:

منزل المسابقة، ومنزل العزة، ومنزل روحانيات الأفلاك، ومنزل الأمر الإلهي، ومنزل الولادة، ومنزل الموازنة، ومنزل البشارة باللقاء.

فبين منزل المسابقة وبين منزل العزة (و)، وبينه وبين منزل روحانيات الأفلاك (كد)، وبينه وبين الأمر الإلهي (كّ)، وبينه وبين منزل الولادة (كز)، وبينه وبين منزل الموازنة (مت)، وبينه وبين منزل البشارة (نج).

وبين منزل العزة وبين منزل روحانيات الأفلاك (يط)، وبينه وبين منزل الأمر الإلهي (نط)، وبينه وبين منزل الولادة (كا)، وبينه وبين منزل الموازنة (مج)، وبينه وبين منزل البشارة باللقاء (ند).

وليس بين منزل روحانيات الأفلاك ومنزل الأمر الإلهي منزل، وبينه وبين منزل الولادة (ب)، وبينه وبين منزل الموازنة (نط)، وبينه وبين منزل البشارة باللقاء (كح).

وبين منزل الأمر الإلهي ومنزل الولادة (أ)، وبينه وبين منزل الموازنة (بو)، وبينه وبين منزل البشارة (كر)، وبين منزل الولادة ومنزل الموازنة (يد)، وبينه وبين منزل البشارة (كه)، وبين منزل الموازنة ومنزل البشارة (ي).

وفي هذا المنزل أقول:

وَمِنَ المَنازِلِ مَا يَكُون مُقَدَّره مِثْلَ الزَّمَانِ فإنَّه مُتَوَهَّمُ
دَلَّتْ عَلَيْهِ الدَّائِرَاتُ بِدَوْرِهَا وَلَهُ التَّصَرُّفُ والمقَامُ الأعْظَمُ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل لام الألف:

ويشتمل على منازل منها:

منزل جمع الأمرين، ومنزل تشريف محمد ﷺ وبين المنزلين (يد). وفي هذا المنزل أقول:

مَنَازِلُ اللام في التَّحْقيقِ والأَلِفِ عِنْدَ اللّقَاءِ انفصَال حَالٍ وَصْلِهُما
هُمَا الدَّلِيلُ عَلَى مَنْ قَالَ إنَّ أنَا سِرُّ الوُجُودِ وأَنّي عَيْنُهُ فَهُما
نِعْمَ الدَّلِيلانِ إذْ دَلاَّ بِحَالِهما لاَ كَالَّذِي دَلَّ بِالأقوَالِ فَانْصَرَما

ثم يتلو هذا المنزل.

منزل التقرير:

ويشتمل على منازل منها:

منزل بعدد النعم، ومنزل دفع الضرر، ومنزل الشرك المطلق.

فبين منزل بعدد النعم وبين منزل دفع الضرر (ي)، وبينه وبين منزل الشرك المطلق (يب) وبين منزل دفع الضرر وبين منزل الشرك المطلق (أ).

وفي هذا المنزل أقول:

تَقَرَّرتِ المنَازِلُ بالسّكُونِ وَرَجَّحتِ الظُّهورَ عَلَى الكُمُونِ
وَدَلَّتْ بِالعَيَانِ عَلَى عُيُونٍ مُفَجَّرةً مِن المَاءِ المَعِين

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل فناء الكون:

وهو منزل واحد، وهو منزل المشاهدة. فيه يفنى ما لم يكن، ويبقى من لم يزل.

وفيه أقول:

فِي فَنَاءِ الكَونِ مَنْزِلْ رُوحُه فِينَا تَنَزِلْ
إنه لَيلَةُ قَدْرِي مَا لَهُ نُورُ ولا ظِلْ
هوَ عَيْنُ النُّورِ صِرْفاً مَا لَهُ عَنْهُ تَنَقُّلْ
فَأَنَا الإِمَامُ حَقَّا مَلَكُ في الصَّدر الأوَّلْ
عِنْدَهُ مُفْتَاح أَمْري فَيُولّيكُمْ وَيَعْزِلْ
سَمَهرُ يَأتِي طِوالُ لَسْتَ بالسماكِ الأعْزَلْ

فَـالـمـقَـامُ الـحَـقُّ فِـيـكُـمْ دَائـــمٌ لا يُـــتَـــبـــدَّلْ
وَهُـــوَ الـــقَـــاهِـــرُ مِـــنْـــهُ وَهُـــوَ الإمَـــامُ الأعـــدَلْ
لَـيْـسَ بـالـنـور الـمُـمَـثَّـلْ بَـل مِـنَ الـمَـهْـأَة أكْـمَـلْ
وأنـــا مِـــنْـــه يَـــقـــيـــنـــاً بِـمـكـان الـسـرِّ الأفْـضَـلْ
فَـبـعَـيْـنِ الـعَـيْـنِ أسْـمُـو وَبِـــأمْـــرِ الأمْـــر أنْـــزِلْ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الألفة:

وهو منزل واحد وفي هذا المنزل أقول:

مَـنَـازِلُ الأُلْـفَـةِ مَـأْلُـوفَـةٌ وَهْـي بِـهَـذَا الـنَّـعْـتِ مَـعْـروفَـةُ
فَـقُـل لِـمَـنْ عَـرَّسَ فـيـهـا أَقِـمْ فَـإنَّـهـا بـالأَمْـنِ مَـحْـفُـوفَـةُ
وَهْـي عَـلَـى الاثـنَـيـنِ مَـوْقُـوفَـةٌ وَعَـنْ عـذَابِ الـخَـوْفِ مَـصْـروفَـةُ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الاستخبار:

ويشتمل على منازل منها:

منزل المنازعة الروحانية، ومنزل حلية السعداء على الأشقياء، وحلية الأشقياء على السعداء، ومنزل الكون قبل الإنسان.

فبين منزل المنازعة وبين منزل الحلية (ط)، وبينه وبين منزل الكون (أ)، وبين منزل الحلية ومنزل الكون (يا).

وفي هذا المنزل أقول:

إذَا اسْتـفْـهـمت عَنْ أحْـبَـابِ قَـلْـبِي أحـالُـونـي عَـلَـى اسْـتِـفْـهَـام لَـفْـظِـي
مَـنَـازِلُـهُـمْ بِـلَـفْـظِـكَ لَـيْـسَ إلاَّ فَـيَـا شُـؤمِـي لِـذَاك وسُـوءُ حَـظِّـي
وَعـظْـتُ الـنـاسَ لاَ تَـنْـظُـر إلَـيـهِـمْ فَـمَـا الْـتَـفـتَـتْ بِـخَـاطِـرْهـا لـوعْـظِـي
لَـفَـظْـتُـهُـمـو عَـسَـى أحْـظَـى بـكـونٍ فَـكَـانـوا عيْـن حَـظّـي عَـيْـنَ لَـفـظِـي

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الوعيد:

ويشتمل على منازل منها:

منزل الجود، ومنزل الاستمساك بالكون وبين المنزلين (ك). وفي هذا المنزل أقول:

إنَّ الوَعيدَ لَمَنزِلانِ هُمَا لِمَنْ ... تَرَكَ السُّلُوكَ عَلَى الصِّراطِ الأَقْوَمِ
فَإِذَا تَحقق بِالْكَمَالِ وُجُودُه ... وَمَشى عَلَى حُكْمِ السَّنَاءِ الأَقْدَمِ
عَادَ نَعِيماً عِنْدَهُ فَنَعِيمُهُ ... فِي النَّارِ وَهِي نَعِيمُ كُلِّ مُكرَمِ

ثم يتلو هذا المنزل:

منزل الأمر:

ويشتمل على منازل منها:

منزل الروحانيات البرزخية، ومنزل التعليم، ومنزل السّرى، ومنزل النسب، ومنزل التمائم، ومنزل القطب والإمامين.

فبين منزل الروحانيات البرزخية وبين منزل التعليم (كب)، وبينه وبين منزل السرى (له)، وبينه وبين منزل النسب (لح)، وبينه وبين منزل التمائم (لط)، وبينه وبين منزل القطب والإمامين (مر).

وبين منزل التعليم وبين منزل السر (يب)، وبينه وبين منزل النسب (نه)، وبينه وبين منزل التمائم (يو)، وبينه وبين منزل القطب والإمامين (يز).

وبين منزل السر ومنزل النسب (ر)، وبينه وبين منزل التمائم (ح)، وبينه وبين منزل القطب والإمامين (د). وليس بين منزل النسب ومنزل التمائم منزل.

وبينه وبين منزل القطب والإمامين (أ). وليس بين منزل التمائم ومنزل القطب والإمامين منزل.

وفي هذا المنزل أقول:

مَنَازِلُ الأمرِ فَهْوَانِيَّةُ الذَّاتِ ... بِهَا تَحْصَلُ أَفْرَاحِي وَلَذَّاتِ
فَلَيْتَني قَائِم فِيها مَدَى عُمْري ... وَلاَ أَزولُ إِلى وَقْتِ المُلاقَاةِ
فَقُرَّةُ العَيْنِ لِلْمُخْتَارِ كَانَ لَهُ ... إِذَا تَبَرَّز في صَدْرِ المُنَاجَاةِ

فبهذا قد ذكرنا المنازل المعينة بأسمائها، وذكرنا كم بين منزل ومنزل من المنازل ولم نسمها، وإنما ذكرناها من أجل السالك، إذا سلك عليها ليتقدم له الخبر بكيفيتها، وسكتنا عن كيفياتها من أجل المدّعي. فإن المدّعي متى حصل الكيفيات ظهر بصورة الصدق، ولا يعرفه الأجنبي فتمشي دعواه ولا يفرق بينه وبين الصادق.

فلهذا لا نصرح بالكيفيات، ولا بنتائج الأعمال مربوطة بأعمالها. بل نسوق الأعمال في أبواب المعاملات، ونسوق النتائج في أبواب الأحوال، وأبواب الأسرار. ولا نقول هذا الحال نتيجة العمل الفلاني، ولا هذا السر طريقه العمل العلاني من أجل ما ذكرناه ولا نبالي مَنْ المدّعي. لو قلته إذا ادعاه عبد ما فأخذه مني. وإنما نخاف من انقياد الخلق إليه واتباعه، فيمزج ذلك الحق بهواه فيضل به الغير، ومن هنا ظهرت الإباحية وأصحاب الحلول في طريق القوم، فظهروا بالصورة لعيون العامة ولزوم الناموس. فإذا خلوا فهم شر الخلق. قلوبهم قلوب الذباب. تاب الله علينا وعليهم وراجع بنا، وبهم.

فلمزجهم الحق بهواهم، وأكاذيبهم. لم نبين ذلك حتى لا يكون في صحيفتي. فمنهم أشبه الخلق بالشياطين عندما يسترقون السمع. فيأخذ كلمة الحق فيضيف إليها سبعين كذبة من السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعاً في جهنم[1]، فيأت بها إلى وليه ليضله بها.

كذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]. كذا قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

● **فأمّا منزل المدح:**

فله أسرار كثيرة، ووجوه. لكن أخص أوصافه: تعلق العلم بما لا يتناهى.

● **وأمّا منزل الرموز:**

فكذلك، لكن أخص أوصافه: خواص العدد والأسماء والحروف.

● **وأمّا منزل النداء:**

فكذلك، لكن أوصافه: علوم الإشارة والتحلية.

---

(١) لعل الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى يشير إلى قول النبي ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يرى بها بأساً فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً**» (رواه ابن ماجه في سننه، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم ٣٩٧٠).

● وأمّا منزل الأفعال:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم الآن.

● وأمّا منزل الابتداء:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم المبدأ والمعاد ومعرفة الأوائل من كل شيء.

● وأمّا منزل التنزيه:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم الخلع والسلخ. وهو علم شريف إن لم يحققه الإنسان وإلا ضل. ومنه ضلت طائفتان كبيرتان: الباطنية والحشوية.

● وأمّا منزل التقريب:

فكذلك. لكن أخص أوصافه: علم الدلالات.

● وأمّا منزل التوقع:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم النسب والإضافات.

● وأمّا منزل البركات:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم الأسباب وارتباطاتها بالمسببات، والعلل والمعلولات، والشروط والمشروطات.

● وأمّا منزل الأقسام:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم العظمة.

● وأمّا منزل الدهر:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم الأزل واستمرار وجود الباري ووجود الملائكة.

● وأمّا منزل الإنيّة:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم الذات.

● وأمّا منزل لام الألف:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم نسبة الكون إلى المكون.

● وأمّا منزل التقرير:

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم الحضور.

● **وأمّا منزل فناء الكون:**

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم قلب الأعيان.

● **وأمّا منزل الألفة:**

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم الالتحام بين الموجودات عموماً.

● **وأمّا منزل الوعيد:**

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم المواطن والتمييز في كل شيء.

● **وأمّا منزل الاستفهام:**

فكذلك، لكن أخص أوصافه: علم ليس كمثله شيء.

فإنهم إذا أحالوك عند استفهامك عن منازل أحبابك على لفظه. فقد عزّ وجوههم في قلبك حيث لم يتمكن تصورهم ولا يتعلق بهم علم. فلم يجبلوك على قلبك، ولا على أعيانهم. فإن أعيانهم لا تشهد: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. فلا القلب يملكهم ولا العين تدركهم. فما بقي عندك سوى أسمائهم.

● **وأمّا منزل الأمر:**

فكذلك، لكن أخص أوصافه: عِلم العبودية.

فبهذا قد ذكرنا ما تعطيه أمهات المنازل التي هي تسعة عشر، وإنما كانت تسعة عشر لأن المنزول عليه في هذه المنازل يعطي حقيقة تسع عشرة حقيقة لا تنقال يكون عنها تسعة عشرة حقيقة تنقال بصورة الموجودات على صورة هذه الحقائق. ولم يكن عندنا علم بحصر هذه الحقائق حتى نظرنا هذه المنازل عندما أردنا أن نظهرها في عالم العبارة. فرأيناها تسعة عشر منزلاً. فنظرنا في مراتب كثيرة في الوجود فوجدنا التسع عشرة محاولة في الموجودات. فارتفعنا بالنظر إلى الجانب العالي فوجدناها هناك تقتضي هذا العدد.

فمن ذلك: الممكنات: تسعة عشر نوعاً. والملائكة: نوع واحد، وعالم الأجسام: ثمانية عشر نوعاً. والأفلاك: أحد عشر نوعاً، والأركان: أربعة أنواع والمولدات: ثلاثة أنواع.

ومن ذلك: صدور الذوات عن الذات، وصدور الأعراض عن الصفات، وصدور الزمان عن الأزل، وصدور المكان عن قبولها للنعوت، وصدور الإضافات عن الإضافات، وصدور الأوضاع عن الفهوانية، وصدور الكميات عن الأسماء،

وصدور الكيفيات عن التجليات، وصدور التأثيرات عن الجود، وصدور الانفعالات عن التجلي في صورة الاعتقادات، وصدور الخاصية عن الأحدية، ولا تتجلى أسماؤه لأحد أبداً. لأن سلطانها لا يقبل عيناً سواها ولذلك إذا ضربت الواحد في الواحد لم يخرج إلاّ واحد، وقد تكلمنا على هذا المقام في «كتاب الأحدية»[(١)].

ومن هذا المقام يكون لكل مخلوق ومبدع وموجود خاصية تخصه. بها يتميز من غيره، وهي أحدية كل موجود. ولهذا كان مبنى الوجود على التوحيد.

قال القائل[(٢)]:

وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــة ... تـــدل عـــلـــى أنـــه واحـــد

والآية هي أحدية كل معلوم، وصدور الحيرة عن العمى وصدور حياة الكائنات عن الحي، وصدور العلم عن العليم، وصدور الهواجس والعزمات والإرادات والقصود والنيات عن المريد، وصدور الإبصار عن البصير، وصدور السمع عن السميع، وصدور الإنسان عن الكمال، وصدور الأنوار والظلم عن النور.

ومن ذلك: أن السور من القرآن العزيز التي في أوائلها حروف الهجاء هي على خمس مراتب:

* مرتبة على حرف واحد مثل: «ن»، «ص».
* ومرتبة على حرفين مثل: «طه»، «يس» وشبه ذلك.
* ومرتبة على ثلاثة أحرف مثل: «آلم» و«ألر». وشبهه.
* ومرتبة على أربعة أحرف مثل: «ألمص» و«ألمر».
* ومرتبة على خمسة أحرف مثل: «كهيعص».

فهذه خمس مراتب وحروفها أربعة عشر حرفاً. فذلك تسعة عشر حرفاً.

ومن ذلك: جهنم. عليها تسعة عشر شرعاً.

ومن ذلك: الجنة. عليها تسعة عشر خازناً كشفاً.

ومن ذلك: وجود الآثار في الكون العنصري على أيدي تسعة عشر بتقدير العزيز العليم. وهي:

---

(١) وهو كتاب «الألف» مطبوع ضمن «رسائل ابن عربي» دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) هو أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي، توفي في بغداد سنة ٢١١هـ، ٨٢٦م وكانت ولادته سنة ١٣٠هـ ٧٤٧م.

البروج اثني عشر، والدراري سبعة فعند حلول هذه السيارة في هذه البروج يُحدِث الله سبحانه هذه الآثار في عالم الكون. والدراري غير مسخرة. لا تتصرف إلاّ عن حقائق إلاهية بالتصريف، وكذلك الاثني عشر برجاً. فلا بد من الحقائق الإلهية لأن يكون توجهها مختلفاً.

قال تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [النحل: ١٢].

ومن ذلك: الرجال الذين يحفظ الله بهم نظام العالم تسعة عشر.

اثني عشر منهم النجباء. ويقال لهم في الأمة الإسرائيلية: النقباء.

والسبعة ومنهم: الأبدال. ومنهم: القطب، والأوتاد، والأئمة.

ومن ذلك: الجنة مقسمة على تسعة عشر رتبة. على أربعة أصناف لكل صنف أربعة. ويتميزون في هذه المراتب على ثلاثة أحوال. فأربعة في أربعة بستة عشر، والأحوال الثلاثة متميزة بعضها عن بعض بالمرتبة. فذلك تسعة عشر.

والأصناف الأربعة هم: الرسل، والأنبياء، والأولياء، والمؤمنون ونعهدهم على تسعة عشر قاعدة.

كل صنف منهم يتنعم من حيث عقله، وحِسّه، ونفسه بأربعة. وهي: منابر، وأسرّة، وكراسي، ومراتب.

وتقع التفاصيل في النعيم بين الأصناف على حسب حقائقهم، وأعمالهم، واختصاصاتهم، وجدّتهم.

نقسمه على أهلها بهذه المثابة من المنابر، والأسرّة قدماً بقدم. والمراتب على حد سواء.

وقد ذكرنا هذا الفصل مستوفياً محققاً في كتاب: «أسرار الصلاة من التنزلات الموصلية».

ومن ذلك أيضاً: أنّا تتبعنا ما صحّ من الأخبار في باب الجبر والنزول إلى محل التنشئة. فوجدناها تسعة عشر وهي:

الصورة، والعين، واليد، واليمين، والقبض، والقدم، والتحول، والفرح، والضحك، والعجب، والنفس، والذراع، والمعية، والامتحان، والأنامل، والاستواء، والظرفية، والمكانية، والنزول.

ومن ذلك: أنه اتفق أنا نظرنا سور القرآن فوجدناها تسعة عشر نوعاً.

منها:

* سور أوائلها: الحروف المجهولة.
* وسور أوائلها: الحمد.
* وسور أوائلها: يا أيها.
* وسور أوائلها: الأفعال المستقبلية.
* وسور أوائلها: الأفعال الماضية.
* وسور أوائلها: أفعال الأمر.
* وسور أوائلها: التسبيح.
* وسور أوائلها: إذا.
* وسور أوائلها: ويل.
* وسور أوائلها: ألم.
* وسور أوائلها: القسم.
* وسور أوائلها: الاستفهام.
* وسورة أولها: حرف النفي.
* وسور مفردات أولها: الابتداء.
* وسور أولها: تبارك.
* وسور أولها: اقترب.
* وسور أولها: إنّا.
* وسور أوائلها: لام الألف.
* وسور أولها: قد.

فهذه تسعة عشر نوعاً. ومن ذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تسعة عشر حرفاً. والبسملة للأولياء بمنزلة «كن» للحضرة الإلهية. فإذا أراد الولي كون أمر. قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فيقع ما يريده.

وقال الحلاج: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ منك بمنزل «كن» منه واشتركت في ظهور الآثار عن التسعة عشر والكواكب التي ذكرناها مجهولة سبباً بتقدير العزيز العليم».

وربما لو تتبعنا الوجود وجدنا من ذلك كثير. فليكتف هذا القدر. ولنرجع إلى ما يدل عليه هذا المنزل الذي هو منزل المنازل.

ونقول:

العروج في هذه المنازل على نوعين: أعني المنازل المعنوية التي لا يصح النزول منها لعالم الأجسام، لأنها ليست أجساماً وأمّا العروج فيها بالميم. فعلى الحقيقة: اللطائف الإنسانية هي المنزلة لهذه المعاني الإلهية، والأسرار الفهوانية، وغيرها مما هو لغير الحضرة الفهوانية.

وأما العروج بالأجسام فلا يصح إلاّ في عالم الأجسام. وذلك مخصوص بمحمد ﷺ اختصاص عناية إلهية. فإنه أُسْرِيَ به ﷺ وبجسمه فاخترق الجود، الأركان والعناصر، وذلك بالحركة، وكان محمولاً بالبراق. والحكمة القسرية غير منكورة عندنا وعند المحيلين لهذا الإسراء الجسماني. فإنّا نأخذ الحجر وطبعه النزول. فيرمى به في الهواء فصعوده في الهواء بخلاف طبعه، وبطبعه.

فإن طبعه يقتضي الحركة نحو المركز. فصعوده في الهواء عرضي بالحركة القسرية، وهي رمي به علواً.

وأما قولنا: وبطبعه.

فإنه على طبيعة تقبل بها الحركة القسرية. ولو لم يكن ذلك في طبعه لما انفعل لها، ولا قَبِلها.

وكذلك اختراقه ﷺ الفلك الأثير، وهو نار. والجسم الإنساني مهيأ مستعد لقبول الإحراق. ثم إن المانع من الإحراق أمور يسلمها الخصم. فتلك الأمور كانت الحجب، التي خلقها الله سبحانه في جسم المسمى به. فلم يكن عنده استعداد الانفعال للحرق، أو أمر آخر وهو الطريق الذي اخترقه. ليس النار إلاّ محمول في جسم لطيف. وذلك الجسم هو المحرق بالنار فسلب عنه النار وجعل ضده كنار إبراهيم عليه السلام وبأي وجه كان، فليس بمحال.

ولنا على ذلك طريقة أخرى من جهة الدليل العقلي.

ليس هذا الكتاب موضعه. فإنا إنما نتكلم مع المسلمين لنا أن الله فاعل كل شيء. فلا أبالي.

ثم اخترق الأفلاك من غير أن يسكنها عن تحريكها كاختراق الماء والهواء إلى أن وصل السدرة المنتهى فترك البراق بها، وقعد على الرفرف الأزهى. وارتقى في

تلك المحفة العظمى إلى المكانة الزلفى. فاخترق عوالم الأنوار إلى أن حار موضع القدمين إلى الكون المحيط بالأكوان وهي الدائرة الكبرى، والمحيط الأعظم، وحامل الشكل الأول. كل ذلك بجسمه ﷺ. فعاين محل الاستواء، وخلع عليه بذلك المكان خلعة البهاء. فلما فارق عالم التركيب والتدبير لم يبق له أنيس من جنسه. فاستوحش من حيث مركبه فنودي بصوت أبي بكر: يا محمد قف. إن ربك رضي.

فارتاع لذلك النداء، واضطرب. فسكن جانبيه بأن تلي عليه عند ذلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

هذا لسان الأحباب. وخطاب الأخلاء والأصحاب. وهذا أول الأبواب المعنوية. من هنا تقع في بحر الإشارات والمعاني، وهو الإسراء البسيط. فيقع المشاهد بالبصر لا بالجارحة لأعيان الأرواح المهيمة التي لا مدخل لها في عالم الأجسام. فترك الرفرف في الحين وانسلخ من الرسم والاسم وسافر برفرف همته فحطت العين بساحل بحر العماء حيث لا حيث ولا أين. فأدركت ما أدركت من خلف حجاب العزة الأحمى الذي لا يرتفع أبداً.

ثم عادت بلا مسافة الشهود علينا. ثم إلى تركيب كونها المتروك بالمستوى مع الرفرف الأزهى. فنزلت به على معراجها الأقدس من عرشه الأعلى إلى كرسيه الأبهى، إلى السدرة المنتهى. فأشرف على الاستعداد بالعدوة القصوى، واطلع على السعداء بالعدوة الدنيا. ثم نزل إلى السموات العُلى سماء بعد سماء إلى بيته الأشرف بالحرم المكي الأحمى غير الكعبة العظمى فأصبح في حرمه آمناً. لا أثر عليه من إسرائه. وقد أخذ بأبصار القوم عن إدراكهم نور بهائه. وأخبر القوم بحاله فآمنت طائفة، وأنكرت طائفة. فنعت لهم بيت المقدس لرفع التلبيس فازدادوا كفراً ولهم عذاب أليم.

ثم له ﷺ إسراءات روحانية خلاف هذا الإسراء. ومعارج معنوية غير هذا المعراج.

مثل: معراج عائشة.

ومنتهى ما انتهت في ذلك الروايات في علمي من طريق ما رويت إلى أربعة وثلاثين معراجاً. فجمع له ﷺ من المعراجين الظاهر والباطن، جسماً ومعنى.

وأمّا نحن: فالإسراء بنا رؤيا نراها في حال النوم أو الفناء. فإن كانت نوماً فهو الرؤيا والمبشرات وإن كانت فناءً فهو المكاشفات.

* والفناء لا ينقض الطهارة، والنوم ينقضها.

* والنوم حالة تعم الخاص والعام.

* والكشف مخصوص بالخصوص.

* والكشف نتائج الأحوال، والرؤيا نتائج الأعمال.

وبينهما فرقان يعلمه أهل هذا الشأن.

* فللمؤمنين والأولياء كشف واستطلاع على هذه المنازل الجسمانية في الأفلاك العلوية.

فنعاين ترقيها وتواضعها، وأشكالها، وترتيب عوالمها وما أودع الله تعالى فيها من الخصائص، وغير ذلك. وليس لهم في عالم المعاني معراج أصلاً للمؤمنين وأمّا الأولياء المختصون فلهم عروج شريف في عالم المعاني مطلقاً. ثم انتقال عنه إلى المشاهد الإلهية التي لا تتغير بالمكان ولا نحكم عليها الآن[١].

---

(١) في أصل الكتاب المخطوط قال الشيخ إسماعيل بن سودكين تلميذ الشيخ محيي الدين بن عربي: «سمعت جميع هذا الكتاب، وهو كتاب «منزل المنازل الفهوانية» على مُنشِئه الإمام العالم المحقق الراسخ: أبي عبد الله محمد بن علي العربي، رضي الله عنه. مع أبي. وسمع بعضه جماعة منهم: أبو بكر بن عيسى الناعوري.
وشمس الدين محمد بن الأمير سعد الدين المعظمي الشيخ المسمع وأجازهما الشيخ على ما بهما في المجلس.
وذلك في ثاني المحرم سنة ثمان عشرة وستمائة عليه جميعه وقال إسماعيل بن سودكين. ولله الحمد والمنة وهو حسبنا ونعم الوكيل».

المدخل إلى المقصد الأسمى في الإشارات

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد
ابن عربي الحاتمي
المتوفى ٦٣٨هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً

رب وفق

الحمد لله وهو نفس الحمد على ما تقرَّر في قلب كل من به توحَّد، ثم شاهده منه في كل مشهد، ونزل به وعليه وله في أصدق مقعد.

والصلاة على من هو عين الجمع في هو، ثم دعى بعبد هو، وبمحمد. صلاة هي نفس مصليها وتوحد. ذاتاً للحمد في كل قلب وصل وحد.

أمّا بعد

فهذا كتاب تكلمنا فيه على ما وقع في القرآن العظيم من الأسماء بلسان الحقيقة والشريعة على طريقة يرتضيها كل عالم بالله به لا بي.

وسميته:

«المدخل إلى المقصد الأسما في الإشارات، فيما وقع في القرآن بلسان الشريعة والحقيقة من الأسماء والكنايات».

فأوَّلُ ما أذكره:

أن الاسم هو المسمى، والمسمى والتسمية لسان حقيقة.

لسان عقل الاسم؛ اللفظ الدَّالُّ على المُسَمّى ليس المسمى وهو لفظ المُسمى أو رسمه.

والمسمّى: اللافظ بالاسم أو الراقم له، والمسمّى المدعو بذلك اللفظ أو الرقم.

والتسمية: حالة في المسمّى، وهو تصور الاسم في النفس.

لسان حقيقة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١] و﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٧٨].

فالربُّ: هو الاسم على الحقيقة. كقولك: اسم. واسم عبارة عن المسمى، وهو المسبَّحُ. وهو «الهُوْ» المشهود فيك، وهو الشاهد. فإن التسبيح له، والهو المطلق لا يقبل التسبيح. ومن هنا قال العارفُ: «سبحاني». إشارة بلسان الحقيقة: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ [يوسف: ٤٠].

فالاسم: روح. والمُسمّى: حامله. ولولا الاسم ما عُبِدَ هذا الصنم. والاسم للهُوْ، لاَ لذا. فالاسم المعبود. فانتفى الشرك. إشارة. ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [النجم: ٢٣].

فمن أسمائه هنا أنت، وأنا. ونزَّهها عن النزول. فإنّه لا ينزل على شيء إلاّ من لم يكن فيه، ولم يكن شيء بلا هو، فلا نزول.

وعلى هذا النحو ما بقي فأدرج عليه بفتح أقفال الغيوب بأيسر شيء. لسان عقل في كل ما ذكرنا المسبّح المسمّى وهو المعبود. فالاسم قد يُطلق ويُرادُ به المُسَمَّى، لسان حقيقة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فإذن ثم الأسماء السواء. أيّ: فالأسماء لله كالمعاني للذات سواء. انظر كيف نفى بـ«لا»، واللام كسرت الهاء. وقد انتفت بـ«لا» فظهر الهو. فبقي هو الأسماء الحُسْنى.

فالاسم: المسمى. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر: ٢٤] وغير ذلك. وتكفي هذه الإشارة في الاسمْ:

لسان ظاهر «بسم» لسان باطن الله.

افتتح كلامه بالباء وهي اثنان. ولم يمكن أن يفتتح بالألف لأنه يريد الظهور، وإدخال الوجود الأول في الثاني. فدخل بالباء من أجل أنها اثنان وهو المطلوب. وهي من عالم الشهادة من أجل الظهور والغيب مدرج فيه، وظهر في كلمة الله بعد بسم. فبدأ بالباء فلما انتهى إلى السين عاد إلى ما منه بدأ وهو الميم. ثم بدأ بالألف في كلمة الله. فلمّا انتهى إلى «اللام». عاد إلى ما منه بدأ وهو الهاء. فالتقى اللام بالسين في معقد الإزار وهو الوسط كما رسمناه في الطُّرّة فكل شيء في قولك: «بسم الله». وإن كان الهو أنت. فأنت أنت، وهو هو. فاختص بالهاء بالحرفين وهما «كن» واختص «أنت» بالكلمتين وهما «بسم الله».

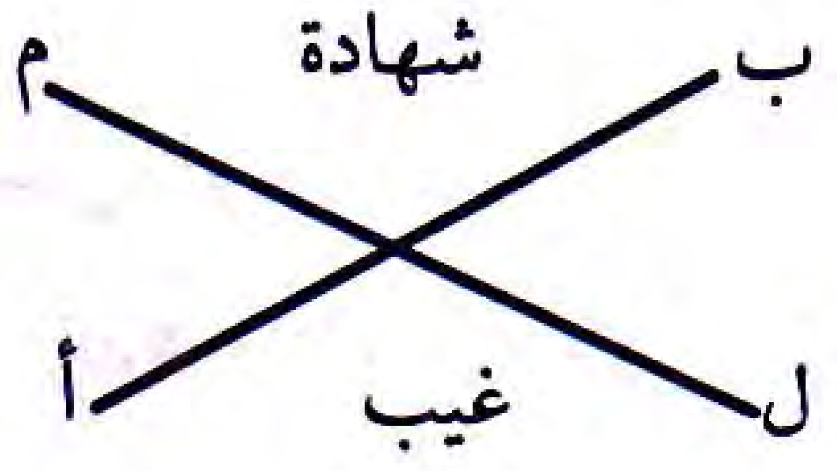

ولما لم يكن أن يقوم «الأنت» إلاَّ با«الهُوَ». لم يكن أن تخلو الكلمتين عن حرف لأن الحرفين له. فدخلت الباء. ولمَّا كانت كلمتين احتجنا حرفاً يكون اثنين. فلهذا كانت الباء دون غيرها.

وقد أشار بعض السادة إلى ما ذكرناه فقال:

«بسم الله منك بمنزلة كُنْ منه».

فهذا بسط ما أشار على الإيجاز. فمن عرف بسم الله، لم يحتج إلى علم سواه. فإنه الحاوي لكل شيء والساري في كل شيء. ولهذا بُدىء به وجعل الباء تعمل في الميم عمل الإضافة في الهاء وهو عمل انخفاض من أجل النزول إلينا لنعرفه فإنَّا في الخفض فلو جاء بعامل الرفع لم نطق ذلك.

كنايةُ «ب» من «بسم»

كنى بالباء عن الهو عند بعض شيوخنا رحمه الله. وليس الأمر كما زعم. فإنّه أرسلها مطلقة، ووجه التحقيق في ذلك إنما الكناية بالباء من كونها مكسورة، لأنها تظهر «ياء» الكناية التي هي بمنزلة الهو في مرتبة أخرى، ثم حذفت من مرتبتي الخط واللّفظ من أجل سكون السين، وهي غيب في السر البرزخي الذي بين الباء والسين، وفي موضع هذه الياء الغيبية ظهرت الألف الأنية من:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا﴾ [هود: ٤١].

و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

فإن بعض الحذّاق جعل الباء بدلاً من ألف الوصل، ولو كان ما قاله حقاً لما أظهره لنحقق الصادق الإمامة في:

﴿بسم الله مجريها﴾.

و﴿اقرأ باسم ربك﴾.

لكن الذي يعطي التحقيق. أن الباء من براءة من الله بدل من البسملة كلها نقلت إلى سورة النمل في الكتاب السليماني فهذا الحرف البائي إنما وقعت الكناية به في حال كسره لأنه ثُنائيّ على صورة الحضرة الإلهية. فإنه عين العبد الجامع الإنساني الصوري، وكذلك بالصورة الإنسانية وهي حرف الباء. ظهر الاقتدار والحكم في المملكة وبهذا كنى عنه بالخلافة فكان ظاهراً لباطنيّته المستخلفة وشهادة لغيبيته ليكون

مطلوباً أبداً. فيكون الافتقار لازماً والحاجة. ويكون العبد مقدساً مشهوداً حجاباً أحمى. وهو أَيْنِيَّةُ المعنى المطلوب الذي كان في العماء. وقد أشار من قُدْس غيبه لذلك فقال:

«ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي»[١] فافهم.

● **اسم «اللَّهُ»:**

اسم وقع في القرآن باللسانين. وهو الاسم المحيط. فجميع الأسماء تحت حيطته، وهو لها كالذات لما تحمله مِنْ المعاني وهو اسم الذات المجازية، التي ستتنوّع في الصور على البصائر، والأبصار. وظهر هذا التنوّع البصري في أعيان الأرواح كالصورة الدحيية، وشبهها. وظهر التنوّع البصري في الإنسان. ويكون له التنوع البصري وقتاً، وفي سوق الجنان قلب الأعيان في صور الإحسان. فقد ظهر التنوّع الإلهيّ في العالم، وهو ما يؤيد باب الصورة المفطورة.

والهُوَ من هذا الاسم: هو اسم الذات الحقيقية التي تتنوع فيها الصور وتتقدس في نفسها عن التَّنوّع والتحول.

وسيأتي اسم الهُوَ بعد هذا.

فهذا الاسم كلمة نفي رفعتها الروحانيات العُلى إليها وشَدَّت تمكُّنِها بها لتنفي بذلك كل ما سوى الهو، وألف الأنا، ولام الألف النافية موجودة في رسم الهو. هكذا فانظر هو.

فاللَّهُ الهُوَ، والهُوَ الله. فتارة يكون الهو بالهو. ولكن بوجود الأنا، وتارة يكون الهُوَ بالأنا، والأنا بالهو. فوقعت الألف الإنيّة غير متصلة ولا متصل بها ظاهراً وباطناً. ووقع الهو مثل ذلك باطناً لا ظاهراً رسمياً، ولكن ظاهراً فهوانياً. فإنه لا يصح اتصالها مع كلمة العدم. فإن الهو كلمة وجودية، وهذه حرف النفي. فإن الألف فيه ظاهر. ثم قد يقع الهُوَ بالهاء والهيَ وقد أشرنا لذلك و«لياء» الإضافة في قولنا:

انظر إذَا ما قُلْت هُوَ أو قلت ها — وَتَفَطَّن الخريت لي وتنبَّها
وَأنَّا يُولد منها هي والذي — يَعطي أنا تجد الدنيّ تألّها
مَا ياءُ إنِّي غَيْرَ وَاوِ الهُو ولا — هو ذَاتُه عِنْد اللَطَائِفِ والنُهَى

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٢٥٤) [٢/ ١٧٥].

إنَّ النُّهى مَعقولةٌ بنفوسِها ... وكَذَا النُّفوسُ بِهُوَ وهِي عقلت وها
فَإِذَا دَعَاها السِّرُّ في غَسَقِ الدُّجَى ... ليحُلّها بالعين مِنْ عِند اللها
قَالتْ: أنَا محبوسةٌ بِدُعَائكم ... مَا بين مُبدي جودكم والمنتهى

وقد اندرج في الكلام في هذا الاسم اللسانان. وهي إشارات قدسية تتميماتها غيبٌ فيها ليعرف المدَّعي المتسور على الحقائق أين هو فليتنقل.

● اسم «الرحمٰن»:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمٰن: ١، ٢]. رحيم بين رحمانين كنهرٍ بين بستانين. وتلميذ حديد القلب مُلْقى بين أستاذين. فقل للحاذق النحرير إن السرّ في هذين.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وللرحمٰن الأسماء الحُسْنَى. وهما المدعوان لكن الله منيع الحمى مفرداً أبداً. والرحمٰن منيع الحمى مثله ما دامت ألف أنا، ولام المعرفة معه. فإذا زالا أخذته الإضافة.

فقيل: رحمان اليمامة فهو منيع الحمى على الإطلاق ولهذا ناب مناب الاسم الله. وإنما قيل الإضافة لأمرين: الأمر الواحد: ما ذكرناه من زوال ألف الأنا. والأمر الآخر: أنّ الله وهو الهُوَ إذا وقعت الكناية عنه دخل النكران كما دخل في رحمان. فقيل: إلهُكَ وإلهي. كما قيل: رحمان الدنيا والآخرة.

فلمّا وقع الشَّبَهُ بين الاسمين كان ما ذكرناه لسان لم يقولوا: «وما الله» حين قيل لهم: «اعبدوا الله».

وقالوا: «وما الرحمٰن». حين ﴿قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ١].

فإن الرحمة تناقض التكليف. بخلاف الألوهية. فلهذا زادهم نفوراً. فإنهم ما عقلوا الحقيقة، ولو عرفوا أن للرحمٰن الأسماء الحُسنى، كما هي لله، لعرفوا أن من أسماء الرحمٰن المكلف والمعبود وغير ذلك. فافهم.

ولمّا كانت المهيمنيّة على جميع الأسماء لذلك اختص الاستواءِ وبما في السموات والأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، وبالعلم بالسرّ وما هو أخفى. فإن الهوَ المجاور للإنّ الحقيقي كناية عن الرحمٰن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١﴾ [الرحمٰن: ١] بعدم المعارضة والإعجاز وهي علامته فيه ولكن من كونه قرآناً لا فرقاناً.

ولهذا قال: ﴿بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]. ولم يقل الفرقان. فإن مقام الجمع صعب المنال جداً. فالرحمٰن جمع الجمع. فإنه المعلم الجاعل العلامة في عين الجمع بالتمانع، فافقه. ويكفي هذا القدر باللسانين.

- **اسم «الرحيم»:**

اسم من ثلاثة أسماء ظهرت في كل منزلة، وهو اسم مشترك في التفكير، مفردٌ في التعريف. اسم مختص بالإيمان والتقوى والإنفاق والاتباع. وهو الاسم الكاتب على نفس الربِّ. وهو في الألوهية مطلق. فإذا اتبع لاسم آخر فليس لضعف فيه مثل قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، و﴿ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

قال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فإن الرحمانية لها الوجود الإيجادي، ولها الصبغة. والرحيم له الصبغة والنعت والصفة وهو شجنه من مسمّاه إذا أطلق على الكون فهو أبداً يطلب الوصل ويكره القطع والفصل هو الآخر والمباشر للمنزلة.

لأن المنزلة والمرتبة للشيء لا يكون إلاّ بعد وجود عينه فكان اللّهُ ولا شيء معه. وهو الآن على ما عليه كان.

والرحمٰن: لإيجاد الأعيان. والرحيم: لتعيين المراتب. ولهذا كانت السورة من القرآن بالسين.

قال النابغة: ألم تر أن الله أعطاك سورةً. أي: منزلةً.

ألف أنا، أيّد الفهوانية به، ولام التعريف نكرة لكونه ليس هو. فإن الهُوَ لا يقبل الزيادة، لأنه نفس المعرفة. ولولا هذه الأسماء ما هي نابتة عن الهو ما كان لها هذا الحكم، ولما لم تكن عين الهو. لهذا قبلت التعريف.

- **اسم «ربُّ» الإضافة:**

الربُّ المضاف حُكْمُه حُكْمُ ما أضيف إليه. لأنه لا يعطى إلاّ بحسب ما يقتضي مرتبة المضاف إليه، وأعلى مراتب الإضافة أن يضاف إلى كل ما سواه. فإنه يقرب من مرتبة الرب المطلق.

أين قوله: رب العالمين. وقوله: وهو رب كل شيء. من قوله: ربكم وربُّ آبائكم. أو قوله: ربّ السموات.

فإذا أُطلق من غير تقييد فهو الهو الثابت وليس له حكم. فإنه ليس ثَمَّ سوى الهو، وإذا قُيِّد فلا بُدّ من وجود العين وظهور السلطان.

● **اسم «مالكُ الملكِ» إذا أُضِيفا:**

الكلام في إضافته كما تقدم في الربّ، وهكذا كل مضاف إليه هذا الاسم تحت حيطة الرب وهو عنه ومن سريته ولا يصح أن يكون مطلقاً أبداً لا بالقوة ولا بالفعل.

والمُلْكُ: مُلْكان. ـ مُلْكٌ يجوز بيعه. ـ ومُلْكٌ لا يجوز بيعه.

فملك هذا المالك يصح فيه البيع من وجه ولا يصح في مرتبة أخرى، ولهذا اشترى من المؤمنين أنفسهم، واشترى منه الضلالة بالهدى.

والمَلِكُ: مَلِكان. ـ مَلِكٌ يعزل عنه مالكه. على زعم الذي يعزله. وهو قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. ـ وملك لا يعزل عنه مالكه.

وهذا كله موجود في الحضرة الإلهية غير العامة لتنزلها وعندنا لما تعطيه الحقائق، وإن تنزل. فلولا ما أعطت الحقائق تنزّله ما تنزل.

ولما كان لا يصح مُلْك بين اثنين. قلنا هذا وقد أقرَّ لنا بالملك. فقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣]. فأيَّدَ الملك باليمين التي هي القوة. فصحَّ، ولا تبالي من الاشتراك في الملك. فإنه ليس بصحيح عند الانتقاد والفحص. فإن الذي لهذا منه غير الذي للشريك منه.

فالملك إنا مُقِرُّون بالوحدانية أبداً.

● **كناية «ك»:**

اسم خطابي يطلب الحضور والمشاهدة والرؤية. لكن بابه الحضور خاصة، وقد يكون الحجاب، وقد يكون إلاّ في حق الله تعالى. فإن الخطاب والمشاهدة لا يجتمعان فلا بد من الحجاب.

وأمّا في الكون فلا تبالي بشيء إلاّ المحبين في وقت ما، لا في كل وقت. وهذا الكاف هو اسم للذات المجازية وكذلك الياء في ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] وغير ذلك.

وهو المؤيد للتسعة عشر. وهم السبعة والاثنا عشر. ولا بد من عجز الكون فلا بد من تأييد القادر وهو العشرون وهو الكاف، وهو نظير الباء في العقد الأول فإنه ثانٍ.

- **كناية «العابد»:**

نيابة «**مَرِضْتُ فلم تُعدني، وجعتُ فلم تطعمني**». وهذا الاسم هو الذي يهب من تحت الأرجل، وكان يدعو عليه اللهم. ويستعيذ أن يغتال من تحته وكل ذم وقع في الوجود في فعل من الأفعال من الله أو على لسان الكون. فهو على هذا الاسم وكل حاجة تقضى في العالم عند الدعاء. فهذا الاسم الذي يقضيها فهو المشؤوم، وهو بهذه المثابة. ومن تخلق بهذا الاسم العابد لم يكن أحد فوقه. وهو المدعوُّ بقوله: اهدنا، ولا تؤاخذنا، وافعل لنا، واصنع لنا.

وعن صورة هذا الاسم صدر العالم. وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**خلق آدم على صورته**»(١). هذه هي الصورة الحقيقية.

وأمّا الصورة المجازية فمن الذات المجازية. ولهذا قال: خلق آدم. فخصّ هذا الاسم. فإن الآدمية لها هذا المقام.

- **كناية «النّستعين»:**

نيابة. لا تصح كمال الحمد والمعرفة في الوجود إلاّ بوجود حمد الكون ومعرفته، وحينئذٍ تكون المراتب كاملة. وكان طلب العون لكمال الحمد والمعرفة والكون. إذ ذاك لا شيء لكنه من الأشياء العلمية. لأن مراتب الوجود أربعة.

فخوطب في مرتبة ما منها يطلب العون طلبه الاسم العابد بالاسم المستعين. فأجاب الكون، فخرج من وجود العلم إلى وجود العين فكان العون المطلوب في كمال المراتب. فكان المتعين هذا منه إنما هو مطلوب معاوضة. فطلب العابد والمستعين من المعين والمستعين، والمستهدى من المستهدي.

فكما أعنتك فأعنّي، وكما هديتك فاهْدني.

وهذا في كل نيابة فأيهم سرّ الله ما أعجبه.

- **كناية «المستهدي»:**

نيابة من طلب منك العون في أمر ما فقد طلب منك الهداية إلى ظهور طريق ذلك. فإنه بك يظهر، فأنت المُبين له والمُهدي فإن العين يجب أن تراه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، حديث رقم (٥٨٧٣) ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم [١١٥ - (٢٦١٢)] ورواه غيرهما.

ولهذا الاسم المُستهدي فإن العلم به ثابت لكن العين له فائدة، ولا يهتدي لطريقه إلا بوجوده. فلهذا كان الكون المستهدي والهادي. ثم هذه الكناية تتنوّع بحسب ما يكنى به عنها من الأمور، وما يتوجه به عليه، وقد يكون اسماً ولكن لا بد أن يكون مسنداً فإنه غير مستقل. كأكثر الأسماء إلاّ القليل مثل الحي، والثابت، والعالم. وقليل من سُرَّ به.

● الاسم «المُنْعِمُ»:

اسم أظهر به النعمة التي هي أثره فهو عنها كما هي عنه، فصار الأمر دورياً، واتصلت أواخر الدوائر بأوّلها. فلم يتعين أول عن آخر، ولا آخر عن أول. غير أن هذا الاسم، وإن انسحب على جميع النعم كما تنسحب عليه جميع النعم من باب الإجمال ولكن لا بد من تقييده بنعمة مخصوصة أي لا شخصية لا يصح إطلاقه مرسلاً مثل المنعم في الفاتحة بالسلوك على الصراط المستقيم الذي هو السِّرُّ فيه، أو في الأشياء به ولا بد.

فهذا معنى تقييده وكذا جميع الأسماء والكنايات.

● كناية «المغضوب عليه»:

نيابة ظهرت في الكون عنه تقديساً للجانب الأحمى ترقاه من هذه الكناية بنفسه، ولهذا شرف الكون حيث كان حبه الذم المتعارف عن الجانب القدسي وتحقيق هذا الإنسان أن كل اسمين تقابلا كالمبلي والمنعم، وما أشبه ذلك إذا ظهر سلطان أحدهما في المحل فإن مقابله معزول معروض عنه فهو مغضوب عليه إلى أن يدور الدور وتأتي دولته ويعزل صاحبه فينعكس الغضب عليه.

ولذلك إن الغضب لا يصح للذوات، وإنما يطلب صاحب الفعل وهو الاسم المقابل، فهو المغضوب عليه وهو المضل مثلاً، والخاذل. فإن الهادي صاحب المنعم فهو يطلب المغضوب الذي هو المضل. فافهم.

● كناية «الضَّال»:

نيابة الضادّ هنا عن طريق مخصوص دعاه إليه الاسم الهادي وكان المدعو عنك ذلك بحب فسلك به طريق غير الهدى فسمى الهادي المضل ضالاً. لعدوله عما دعاه إليه مما يوافق غرض المدعو آجلاً لا عاجلاً. فبانت الحقائق.

● **كناية «الكاتب»:**

نيابة. وذلك أنه لما ضَمّ المعاني إلى القوالب المحتومة وأدرجها فيها، كان كاتباً.

الكاتب يطلق [على] من كان مراده نفس قلمه، وقلمه أصبعه وأصبعه عين ذاته فيكون هو هو ليس غير. وكل كاتب يفتقر إلى آلة فهو كاتب كون الوجود رق منشور، والعالم فيه كتاب مسطور، والقلب بيت معمور بما وسع من «ما وسعني»، والطور نصف الدائرة الظاهرة الذي هو «ن». ومستوى الرحمٰن الذي هو العقل السقف المرفوع والنفس الحاملة نسخة الحق والعالم البحر المسجور إن عذاب ربك لواقع بتلاطم الأمواج لاحتراق الرياح والزعازع ما له من دافع لوجود الخلاء ولطافة الهبوب لسان ضم الذات إلى الذات على الموازنة كتابة وانضم لهما كاتب.

وكنية لبستها بكنية حتى إذا التبست نقصت بها يدي فتصادمت الذاتان فتقادما وقع الصلح على أن أكون الظاهر هنا ويكون الباطن، ويكون هو الظاهر هناك وأكون الباطن فيصح الظاهر والباطن للذاتين بالتجليين في الحضرتين فلا بد من ظاهر وباطن لأنه لا بد مني ومنه فهي الكتابة فإن ظهرنا هنا فإنّا وإن ظهرنا هناك فهو الكاتب لسان المعاني أوجدت ذوات الحروف في أعيانها، والحروف أوجدت المعاني عندك.

إنك توجد فلا بد لك من مادة، وهو الحرف. وهو الأستاذ فلا بد له من مادة التوصل الذي به يقع التلقي منك وهو الحرف فقد اجتمع الأستاذ والتلميذ على إيجاد الحرف. فهي الكتابة وواضعها الكاتب، وهو اجتماع الذاتين على إيجاده فتحقق.

فصل

وقد بَيّنّا في هذا المدخل كيف ينبغي للعارف أن يأخذ الأسماء والكنايات، وكيف ينزلها. فإنا لو وسّعناها حتى نستوفي ما ظهر في الوجود منها لطال الأمر وحاف على وقتنا وتركنا ما هو الأولى بنا من الاشتغال.

فقد مَهّدنا السبيل وعرَّفنا صورة التأويل، والله يعصم إنه على ما يشاء قدير.

كمل كتاب المدخل بحمد الله تعالى وعونه. وذلك في أواخر شهر ذي الحجة. سنة تسع وعشرين وثماني مائة. والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد. وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كتاب العظمة

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد

ابن عربي الحاتمي

المتوفى ٦٣٨هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله مبدع الثاني في المثاني، ومودع المعاني في المعاني، مُقيمُ السَّبعة أعلاماً، ومنزّل القرآن العظيم إماماً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

حضرة تميُّز الأول

باب أوله باء، وآخره ميم

ولما كانت الباء أول موجود مُقَيَّد، وكانت في المرتبة الثانية من الوجود. كان لها العمل في عالم الكون السُّفْلي. فأول معمول يليها هي الحاكمة عليه بالذات. ثم إذا كان معمولاً ممن يطلب وجوداً آخر يستند إليه، عمل فيه ذلك الاستناد عمل الباء، وإن اختلف وجه الحكم؛ فصورة العمل واحدة.

غير أن في هذا الباب الذي في هذه الحضرة، أربع كلمات قدسية:

اسم الاسم وهو مكون الباء. ثم الاسم: وهو مكون اسم الاسم. ثم كلمة العموم الإيجادي. ثم كلمة الاختصاص.

وهذه الكلمات كلها (صدرت على حكم الكون الأسفل، مع علوها ورفعتها، ولهذه الكلمات الوجودية) عشرون شخصاً. منهم أموات، وأحياء، ونُوَّم.

فالأحياء: عشرة أشخاص، منهم ستة حياتهم سفلية، وأربعة حياتهم برزخية، وما فيهم من له حياة علوية.

والأموات: ثمانية. والنوَّمُ: اثنان.

ولكل واحد من هؤلاء الأشخاص منازل يعرفون بها، ومن هذه المنازل يكون لهم الحكم في العالم.

فالحيُّ الأول: له منزلتان. والثاني: له أربعون منزلة. والثالث: له خمس منازل. والرابع: له خمسون منزلة. والخامس: له ثماني منازل. والسادس: له أربعون منزلة.

وهذه منازل أهل الحياة السفلية.

وأمّا أهل الحياة البرزخية: فالأول: له ثلاثون منزلة. والثاني: له مائتا منزلة. والثالث: له أربعون منزلة. والرابع: له مائتا منزلة.

والميِّت:

الأول: له منزلة واحدة. والثاني: له ثلاثون منزلة. والثالث: له منزلة واحدة. والرابع: له ثلاثون منزلة. والخامس: له منزلة واحدة. والسادس: له منزلة واحدة. والسابع: له ثلاثون منزلة. والثامن: له عشر منازل.

والنائم الأول: له ثلاث مائة منزلة. والنائم الثاني: له ثمانية منازل.

فإذا مرَّ السالك على هؤلاء الأشخاص أفاده كل شخص من العلوم والأسرار على قدر منازله. فأول ما يمر على الحي الأول، ثم على النائم الأول، ثم على الحي الثاني، ثم على الميت الأول، ثم على الميت الثاني، ثم على الحي الثالث، ثم على الحي الرابع، ثم على الميت الثالث، ثم على الميت الرابع، ثم على الحي الخامس، ثم على النائم الثاني، ثم على الحي السادس، ثم على الميت الخامس، ثم على الحي السابع، ثم على الميت السادس، ثم على الميت السابع، ثم على الحي الثامن، ثم على الحي التاسع، ثم على الميت الثامن، ثم على الحي العاشر.

فليلزم السالك مع هؤلاء الأشخاص الروحانيين، إذا مرَّ بهم في سفره الروحاني ما يستحقون من الآداب. فإن للحي آداباً تخصُّ حضرته، وللميت كذلك، وللنائم كذلك.

وإذا تلقى السالك منهم أسرارهم، وما يهبونه من الحكم الإلهية، يتلقاها بالقبول والتسليم. فإنها من العلوم الإلهية الرفيعة المنار، المحرقات سُبُحاتها، والظاهرة آياتُها. وجماع أدبه أن يلقي السمع وهو شهيد. فإذا تميّز في هذه المشاهدة غاب ثمَّة المشهود في الشاهد. عرف حينئذٍ خلاف علماء الكشف الإيماني في هذا الباب لماذا يرجع. فإن طائفة من أهل الكشف الإيماني ألحقت هذا الباب بمقام العظمة، وقالت: إنه جزء منها وَوَصْفٌ لها، ولا بد.

وطائفة قالت: إنه ليس من مقام العظمة، ولكنه مفتاح لكل مقام إلهي، إلاّ لمقام القهر والغلبة، فإنه يناقض معناه.. فلعدم المناسبة لم يصح أن يكون له مفتاحاً أصلاً. غير أن في هذا الباب ثلاثة أشخاص لم تدركهم المشاهدة لأنهم في حال فناء محقق.

ومعنى قولي: الفناء المحقق تحرز من الفناء غير المحقق. والفرق بينهما: أن الفناء المحقق: كما يفنى صاحبه عن شهود نفسه. كذلك يفنى عنه الغير، لتحققه بحالة الفناء؛ فلا تظهر له صورة أصلاً مشهودة، لغلبة الحق عليه ظاهراً وباطناً، فلا يُرى كما أن الحق لا يُرى.

والفناء الذي هو غير المحقق:

يفنى عن نفسه، وصورته ظاهرة لغير جليسه فقد استحكمت المشاهدة على باطنه خاصة.

ومقام الفناء المحقق: يكون في الدار الآخرة مطلقاً لكل مشاهد، لأن المشاهدة هناك تعم ذات المشاهد. وهنا ليس كذلك في حق كل شخص.

فهؤلاء الثلاثة أشخاص المغيّبون على هذه الحالة. فإن أردت أن تعرف أماكنهم، فانظر الواحد منهم بين الحي الأول والنائم الأول تثبَّت هناك عسى تشملك بركة غيبته. وما له سوى منزل واحد.

وأمّا الثاني فمكانه من الحي الثالث والرابع، فتثبَّت هناك أيضاً طالباً بركته، وما له سوى منزل واحد.

وأمّا الثّالث: فمكانه بين الحي الرابع والميت الثالث فتثبت هناك قليلاً. وله ست منازل. وهو أخفى من صاحبيه. فإنه ما ثم ما يدل عليه ألبتَّة. لأنه هو الدليل على نفسه. فجماعهم ثلاثة وعشرون شخصاً لا غير فإذا أحكم الإنسان مسائل هذا الباب وتحققها وقبلها علماً. أحاط علماً بأمور تكاد لا تتناهى، فأحرى بالموجودات. وقد أشبعنا القول في هذا الباب في كثير من كتبنا على ضروب مختلفة. وهذا الكتاب من الفتوحات فهو جارٍ على ما أعطاه الفتح الإلهي المكي. وإن قيدناه في غيره فالتنزل لها ويقوتها.

واعلم:

أن هؤلاء الأشخاص وإن كانوا ثلاثة وعشرين فليسوا من جنس واحد بل من عشرة أجناس. ومعنى أجناس حضرات إلهية. صدر كل جنس عن حضرة مخصوصة بإذن الله.

فمنهم من ظهر من جنسه شخص واحد فصاعداً، فمنها حضرة البهاء، والرفعة، والشرف، والإنيّة، واللطف، والهوية، والحياة، والنور، والرحمة، واليُمْن.

فالحي الأول: من حضرة البهاء.

والنائم الأول: من حضرة الرفعة.

والحي الثاني والسادس والعاشر من حضرة الشرف.

والميت الأول والثالث والخامس والسادس والفانين المحققين من حضرة الإنيّة.

والميت الثاني والحي الثالث والميت الرابع والسابع من حضرة اللطف.

والحي الرابع: من حضرة الهوية.

والحي الخامس والثامن: من حضرة الرحمة.

والنائم الثاني والحي التاسع من حضرة الحياة.

والحي السابع: من حضرة النور.

والميت الثامن: من حضرة اليُمْن.

والفاني الثالث: من حضرة أخرى خلاف هذه العشرة وهي حضرة الوقاية ولها اسم الواقي مهيمن عليها.

فإذا أردت أن تعرف كم مسألة إلهية في هذا الباب فانظر ما يجتمع لك من المنازل التي فيه. فهي عيون المسائل مع أعداد الأشخاص ضعفين من أجل نعوتهم بالحياة والموت والنوم والفناء.

باب من الحضرة عينها أوله ألف، وآخره نون وهو الباب الثاني من سبعة أبواب من هذا الكتاب

ولمّا كان هذا الكتاب يتضمن مقامات السبعة الأبدال لهذا بيَّنَّاه على سبعة أبواب. وهؤلاء الأبدال وإن كانوا سبعة فمنهم أربعة هم أوتاد الأرض. وهؤلاء الأوتاد وإن كانوا أربعة. فمنهم القطب والإمامان.

وقد تكلمنا في حقيقة القطب والإمامين في كتاب «**منزل القطب والإمامين**» من «**الفتوحات المكية**»، ونبهنا على طرف منه في كتاب «**مواقع النجوم**».

فالقطب: يحفظ المركز.

والإمام الأيمن: يحفظ عالم الأرواح.

والإمام الأيسر: يحفظ عالم الأجسام.

والأوتاد الأربعة: يحفظون الشرق والغرب والجنوب والشمال.

والأبدال السبعة: يحفظون أقاليم الكرة علواً وسفلاً فهم سبعة بالشخص، وأربعة عشر بالحكم.

فأول هذ الباب ألف المدح، وآخره نون الكون ويتصرف الثناء بين المكوِّن والمكوَّن فيثني المكوِّن على المكوَّن فثناؤه على نفسه. ويثني المكوَّن على المكوِّن حقيقة ويجني ثمرة ثنائه بما يليق بحقيقته.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

فثناء المكوِّن قول القائل:

فَإِذَا مَدَحْتُ فَإِنَّمَا أُثْنِي عَلَى نَفْسِي ... فَـنَـفْـسِـي عَـيْـنُ ذَاتِ ثَـنَـاءِ

وثناء المكوَّن قول الآخر:

إِذَا نَـحْـنُ أَثْـنَـيْـنَـا عَـلَـيْـكَ بِـصَـالِـحٍ ... فَأَنْتَ الَّذي تُثْنِي فَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

لكن الثناء على الألوهية بالربوبية من أعجب ما سمعته الآذان وسطرته الأقلام. ولكن لما قامت الألوهية هنا مقام الذات، ونابت منابها؛ لأنها الوصف الأخص والنعت الأعلى، والاسم الأسنى لذلك أثنى عليها بالربوبية وغيرها من أسماء الثناء كالملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، إلى غير ذلك.

هذا وإن كان الثناء من المكوَّن بأي اسم كان. فإن كل كون يكون حظه من الثناء بذلك الاسم على قدره في علمه بمنشئه من وجه حقه لا من وجه سببه، وقدره في علمه راجع إلى قدر قبوله، وقبوله على قدر استعداده. واستعداده الأكمل على قدر نشأته، مفرداً كان أو مركباً، ذا جسم أو غير جسم. والعالم كله أعلام منصوبة للدلالة عليه سبحانه من حيث ما هو ناصب لها ومن حيث ما أودع فيها، لا من حيث ما هو عليه تعالى، ومن حيث ما يعرف نفسه. لأنه يتقدس ويتعالى عن تعلّق الأفكار به، وتحصيلها له عند منتهى سفرها وإلقائها عصا تسيارها، فإنها ما انتهت في سفرها، وما ألقت عصاها بعدما وفّت حقيقتها في المطلب، إلاَّ في بحر العجز والحيرة، وخلف حجاب العزَّة والغيرة، ولكن نعم ما سافرت هذه الأفكار، ونعم ما حصلت في طريقها من الأسرار، لكن ما أوتي عليها إلاَّ من مفارقة ذاتها وجولانها في غير ميدانها، والمطلوب إليها أقرب من حبل الوريد.

وقد قال القائل:

قَـدْ يَـرْحَـلُ الـمَـرْءُ لِـمَـطْـلُـوبِـهِ ... والـسَّـبَـبُ الـمَـطْـلُـوبُ فـي الـرَّاحِـلِ

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] هو قرة الأعين، وشفاء لما في الصدور، من علل طلبه والبحث فيما لا مبحث فيه. فلو سكنت لرأته منها

مخبراً عنها، وله ما سكن لا لغيره. ولغيره ما لم يكن لا له. فهو أغنى الشركاء عن الشرك.

من قال هذا لله ولوجوهكم فهو لوجوهكم ليس لله منه شيء. لا تقبل الحضرة الإلهية حكماً دنّسه الكون بظهوره فيه شركاً.

يـا نَـاظِـراً لـحـكـمـةِ مِـنْ خَـارِجِ إِنْـسَـانُـكَ الـحِـكـمـةُ يَـا نَـاظِـرُ

يقول العبد: الكبرياء لله، والعظمة لله، أو الحمد لله.

فيأخذها الحق منه، أخذ عزيز مقتدرٍ، من عبدٍ لاهٍ غير مفتكر. عندما يصل النطق إلى لام الخفض من الحمد لله. يأخذه الحق مقدساً قبل أن يدنسه الكون وتبقى «لاهٍ» صفة محققة للعبد حيث أراد أن يحمده. وهو غير قادر على ذلك. فجهل نفسه فكيف يعرف غيره وهذا بابٌ عظيم أسراره كثيرة لولا التطويل لعرفناك بعددها وأشخاصها ونعوتهم وحضراتهم مثل الأول ولكن مداره من جهة جناب الحق على ثلاثة أقطاب:

* قطبٌ يتضمن أربعين ركناً من أركان المجد.

* وقطبٌ يتضمن ثمانية أركان من أركان الحياة الأزلية.

* وقطبٌ يتضمن أربعة أركان من أركان الديمومة، فتفيض أركان المجد من سُبُحاتها على سُبُحات الديمومة، فتنتشر على صفاء بحر الألوهية؛ فيضرب لها شعاع في حقائق الربوبية؛ فيضيء منها العالم. فهو النور الذي فيه يسعون، كما تفيض أيضاً أركان المجد من سبحاتها على سبحات الحياة، فينتشر على صفاء بحر المعرفة الإنيّة. فيضرب لها شعاع في أكناف الرحمة الإيمانية، فيكون عنها الوجود المحفوظ.

فهذا روح هذا الباب ومغْناه، لخَّصناه لأصحابنا؛ أهل الكشف والوجود والجمع؛ ليتحققوا به إذا وقفوا عليه. وبالله التوفيق.

باب من الحضرة نفسها وهو بابٌ أوله ألف وآخره ميم وهو الباب الثالث من سبعة

هذا ألف الثناء وميم الوصف، وبينهما بحور زواخر كيانية تموجها رياحٌ إلهية، زعازع لا تبقي هذه الرياح على ظهر هذه فُلكاً يجري إلا تكسّر ألواحه، وتغرق أهله، ثم ترمي بالكل إلى السيف، فينشأون خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

لكن مدار هذا الباب، وإن كان عسير المدرك، سامي التجلي على أربعة أقطاب:

قطبٌ: يتضمن مائتا ركن من أركان الرحمانية.

وقطبٌ: يتضمن أربعمائة ركن متصلة من أركان التوبة. وخمسة أركان من أركان الهوية.

وقطبٌ: يتضمن ثمانية أركان من أركان الجناب الرحموتي.

وقطبٌ: يتضمن أربعين ركناً من أركان الملك والشرف.

فتفيض أركان الجناب الرحموتي من سُبحاتها على صفاء نهر الرحمانية، فيضرب له شعاع في زوايا الكون فَيُعرفون من ذلك النور. العارفون المفتوحة أبصارهم بنور الكشف مآل الكون وعاقبته، وإلى أين يرجع بعد انقضاء مدته؟

وفي الباب الذي قبله يعرف من أين صدر؟ وتفيض أركان الملك والشرف من سبحاتها على أركان صفاء نهر الهوية. فيضرب لها شعاع في زوايا البرزخ فيضيء على أهله ويشرف فيُعرفون بذلك النور. من كُشِفَ غطاؤه عنه مراتب الخلق ونتائج أعمالهم وكشوفات أبصارهم ومطالعات أسرارهم، فطوبى لمن أشرقت أرضه بهذه الأنوار، وجمع بين الدارين في هذه الدار، فاستراح من ذلة الوقفة ولحق بأهل الاستثناء عند نفخة الصعقة، ثم طوبى له وحُسن مآب.

فهذا أخصر ما يمكنني من إيضاح ما يتضمنه هذا الباب، ومسائله أكثر من نصف مسائل الباب الأول من هذا الكتاب. وطلب الاختصار منعنا من ذكر أعداد المسائل في كل باب لكن أكثرها مسائل الباب السابع الآتي آخر الكتاب.

باب من الحضرة نفسها وهو باب أوله ميم، وآخره نون وهو الباب الرابع من سبعة

ميم الثناء، ونون نتائج الأعمال. وبينهما أفلاك تدور ومياه تغور وتدور على العالم بأسره.

هذه الأفلاك ثمانية عشر ألف ألف دورة. تعطي للسعداء في هذه الدورات نوراً شعشعانياً لا ظلمة بعده، وتعطي للأشقياء ظلمة ظلمانية لا نور بعدها. وتعطي للعصاة من أهل التوحيد سدفة بعد انقضائها. أعني الدورات يعقبها نور لا ظلمة بعده. وتعطي

للمنافقين المتظاهرين بأكمل الطاعات سدفة يعقبها ظلمة مركزية سفلية لا نور بعدها ولا علو.

وفي هذا الباب، وعند وجود هذه الحركات تتمايل أغصان سدرة المنتهى، تحمل خزائن الأعمال مملوءة نوراً، وترتفع أغصان شجرة الزقوم؛ تحمل خفراء من الأعمال مملوءة ظلمة، فتتفتح خزائن السدرة، فتنتشر الأنوار بين يدي عمّالها، فترى نورهم يسعى بين أيديهم، وتنفتح خزائن الشجرة الملعونة فتنتشر ظلماتها بين يدي عمالها، حتى أن أحدهم إذا أخرج يده لم يكد يراها، ويضرب بالخزائن بعضها في بعض؛ فترمي بخزائن أخر ليس فيها شيء، وترمي بخزائن أخر فيها نور وظلمة على السواء، وترمي بخزائن أخر نورها يغلب على ظلمتها، وترمي بخزائن أخر ظلمتها تغلب على نورها. فتبدو المراتب على حسب ما ذكرنا.

فإذا انقضى الأمر بعد تعاقب هذه الأدوار، وتكرير النهار على النهار. يتعلق العالم بأغصان الشجرتين فترتفع هذه بأصحابها إلى الجوار، وتنزل هذه بأصحابها إلى الدرك الأسفل من النار.

ومدار هذا الباب وإن عظمت خطوبه وكثرت أسراره، وفاتت الإحصاء على ثلاثة أقطاب: قطبٌ: يتضمن سبعة أركان من أركان العزّة. وقطبٌ: يتضمن ثلاثة أركان من أركان الجمال المطلق. وقطبٌ: يتضمن ركناً واحداً من أركان الحقيقة.

وينقسم هذا الركن إلى شعبتين: شعبة: تعم جميع أركان المقامات كلها. وشعبة: تخص مقام الإنيّة من حيث التحقق بها لا من حيث السريان.

فتفيض أركان العزّة من سُبُحاتها على صفاء مرآة ذلك الجمال المطلق. فيُضرب لها شعاع على عالم الرحمة الاختصاصية فيتزاورون بها في جنات المعارف والأسرار ويتسامرون له. وبهذا النور تقع المشاهدة هنا لأصحابها والرؤية هناك لأهلها، كما تفيض أيضاً أركان العزّة من سُبُحاتها على صفاء نهر الحقيقة، فيضرب لها شعاع في زوايا مقامات العبودية فيرون بها من يلجأون إليه فيخاطبونه تأنيساً لتوقع الحاجة.

كما ورد:

«تعرّف إليّ في الرخاء أعرفك في الشدّة»(١).

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٩٩١) [١/ ٢٧٥] ولفظه: «**تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرِفْك في الشدّة**».

غير أن هذه الأنوار إذا انتشرت على صفاء نهر الحقيقة، اكتسبت من ذلك النهر صفاء، يندرج صفاء سبحاتها فيه اندراج نور الكواكب في نور الشمس، فتسري الأنوار المتولدة منهما، من حيث الشُّعبة العامة في جميع المعلومات على ضروبها من النفي والإثبات.

وبذلك النور يدرك العلماء معلوماتهم على مراتبها ومن حيث الشعب الخاصة لمقام الإنيّة تسري في الصدور خاصة فتنشرحُ بها. وذلك هو النور الإسلامي المعَوَّل عليه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]. وقوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]. فهذا نور الشرح والفتح لتحصيل المعارف والعلوم بذلك النور الآخر المتقدم ذكره. فافهم. وبالله التوفيق.

حضرة الاشتراك

الباب الأول منها أوله ألف، وآخره دالٌ وهو الباب الخامس من سبعة

هذه ألف الالتجاء لحضرة مشاهدة الخطاب.

والدَّالُ: دال العلة التي لها خلق البارىء الكون في مقام جمعية العبد وتعظيمه، ومقام وحدانية الحق تعالى وعظمته.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

أي: ليتذلَّلُوا إليّ. ولا يتحقق العبد بالعبودية التي هي الذلّة إلاّ بعد معرفته بنفسه، أنه مربوب ومقهور مجبور لسيد قادر قاهر يفعل ما يشاء فيعرف ما ينبغي لسيده من أوصاف السيادة والملك، ويعرف ما ينبغي له من أوصاف العبودية فإذا صحت له هذه المعرفة حينئذٍ يذلِ حقيقةً حالاً وقولاً وعقداً لعز سلطان سيده.

فما أبدع قول الحق سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولم يقل إلاّ ليعرفون فيعبدوني. ولو قال ذلك لكانت المعرفة به من العلوم الكسبية. والمعرفة به سبحانه ضرورية موجودة في فِطَرِ الخلق: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

كل مولود يولد على الفِطرة. ولما كانت المعرفة به ضرورية قال ليعبدون فنبّه على السبب الذي أوجد لأجله الثقلين وخرج من هذا الخطاب أُمَمٌ أمثالنا كثيرون من الروحانيات والعالم الأرضي. وسبب ذلك أنهم فُطروا على المعرفة والعبادة فليس لهم في العبادة كسْبٌ، ولذلك ليس لهم جزاء على أعمالهم. إنما هي عبودية محضة، ليس لهم رائحة مشم من الربوبية مثل ما للثقلين.

قال في إبليس: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وفي فرعون: ﴿مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وما ذكر هذا الوصف عن غير الثقلين أصلاً. فإذا كنى العبد عن نفسه بنون نفعل، فليست بنون التعظيم، وإذا كنى عن الحق تعالى بضمير الإفراد، فإن ذلك لغلبة سلطان التوحيد في قلب هذا العبد، وتحققه به حتى سرى في كليته، فظهر ذلك في نطقه لفظاً كما كان عقداً وعلماً ومشاهدة وعيناً، وهذه النون نون الجمع. فإن العبد وإن كان فردانيّ اللطيفة، وحدانيّ الحقيقة فإنه غير وحداني ولا فرداني من حيث لطيفته ومركبها وهيكلها وقالبها. وما من جزء في الإنسان إلاّ والحق تعالى قد طالب الحقيقة الربانية التي فيه. إن تلقى على هذه الأجزاء ما يليق بها من العبادات. وهي في الجملة وإن كانت المدبرة فلها تكليف يخصها يناسب ذاتها. فلهذه الجمعية يقول العبد لله تعالى:

«لك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، وإياك نعبد»(١) وأمثال هذا الخطاب.

ولقد سألني سائل من علماء الرسوم عن هذه المسألة عينها. كان قد حار فيها. فأجبته بأجوبة منها هذا فشفى غليله والحمد لله. ولهذا الباب أسرار لطيفة ومعان دقيقة أضربنا عن إيرادها في هذا المختصر لأسباب ولكن قد تأتي مفرقة في «الفتوحات». فإن هذه «الفتوحات المكية» تضمنت «خمسمائة كتاب وستين كتاباً» هذا أحد هذه الكتب، وهو من فصل المنازل. وهذا الفصل مائة منزل وبضعة عشر منزلاً. كل منزل كتاب، وهذا الباب على ثلاثة أقطاب: قطب يتضمن سبعين ركناً من أركان رفيع الدرجات. وقطب يتضمن ركنين من البهاء. وقطب يتضمن أربعة أركان من أركان الديمومية.

---

(١) رواه ابن خزيمة، باب ذكر الدليل على أن النبي ﷺ إنما أوتر...، حديث رقم (١١٠٠) [٢/ ١٥٥] ورواه غيره ولفظ رواية ابن خزيمة هو أن عمر خرج ليلة في رمضان فخرج معه عبد الرحمٰن بن عبد القارىء فطاف بالمسجد وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: والله إني أظن لو جمعنا هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ثم عزم عمر على ذلك وأمر أبي بن كعب أن يقوم لهم في رمضان فخرج عمر عليهم والناس يصلّون بصلاة قارئهم فقال عمر: نعم البدعة هي والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون، يريد آخر الليل، فكان الناس يقومون أوله وكانوا يلعنون الكفرة في النصف اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ولا يؤمنون بوعدك وخالف بين كلمتهم وألقِ في قلوبهم الرعب وألقِ عليهم رجزك وعذابه إله الحق، ثم يصلي على النبي ﷺ ويدعو للمسلمين بما استطاع من خير ثم يستغفر للمؤمنين، قال: وكان يقول إذا فرغ من لعنة الكفرة وصلاته على النبي واستغفاره للمؤمنين والمؤمنات ومسألته: اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ربنا ونخاف عذابك الجد أن عذابك لمن عاديت ملحق ثم يكبّر ويهوي ساجداً».

فتفيض أركان الرفعة من سبحاتها على صفاء نهر المكالمة الإلهية، الجاري من نهر التوحيد، فيضرب لها شعاع في زوايا عالم الأمر فيشرق. ولأجل هذا النور لا يمسهم في عبادتهم لأن هذا النور يحملهم فيها فهم المحمولون ألحقنا الله بهم.

ويفيض ركنا البهاء من سبحاتها على صفاء نهر العزَّة فينعكس الشعاع عليه. فيكون انعكاسه سبباً لتحقق الأولياء بمقام العبودية والحرية بخروجهم بهذا النور عن رق الأكوان فهم العبيد الأحرار، الذين ليس لأحد عليهم سلطان.

وتفيض أركان الديمومية من سبحاتها على صفاء نهر الكمال فيضرب له شعاع في زوايا الكون المنفصل فيظهر له بذلك النور عين الجمع والوجود فينغمس فيها فيلحق بالكون المتصل ويزول الشرك.

- فإن الكون المنفصل عبارة عن وصف النفس بما ليست عليه.
- والكون المتصل ما له دعوى ألبتة تلعب به يد الأقدار حيث شاءت لا حراك له ولا سكون من نفسه.

قيل له: أنت. فلم يجب. قيل له: ما أنت. فلم يجب. قيل له: فإيش تريد أن تكون؟ أثبتناك فلم تُجب؟ أو نفيناك فلم تجب؟! فقال فانياً في خطابه عن خطابه بخطاب الأمر للأمر من نفس هذا المختص:

جوابك في كلامك، وسؤالك. فإنك أثبتني ونفيتني. فلو كنت لي مني مثبتاً لم تقل أثبتناك. ولو كنت لي مني مُنفياً لم تقل نفيناك. فكيف يُجيب من لا ثبوت له ولا انتفاء. أنت أنت أيها الأمر في أنت وفي أنا. فأنا غير أنت أيها الأمر وأنت غير أنا. فأنت إذاً أنت لأنت، لا لأنا، ومن ضرب الواحد في نفسه لم يخرج له سوى نفسه. فاسأل ولا تسأل فما يجيبك غيرك. فذم وامدح، وهذا المفتاح فمن شاء فليفتح.

والله الموفق لا ربَّ غيره. وقد علم كل أناس مشربهم.

باب آخر منها أوله ألف وآخره نون
وهو الباب السادس من سبعة

اعلم: أن الله تعالى لمّا أوجد عالم الهياكل الظلمانية والقوالب الجسمانية أوجدهم في الكون المنفصل، فظهرت عنهم الدعاوى المهلكة والدعاوى الصادقة، عن غير الحقيقة التي طولبوا بها.

فأمّا أصحاب الدعاوى المهلكة، فادّعوا الربوبية مطلقاً فهلكوا، وكانوا من الخاسرين. وهم طائفتان:

- طائفة ادعت القوة لها كفرعون، وغيره.
- وطائفة ادعت أن القوة لله، والفعل لها. وهم المعتزلة ومن تابعهم.

فهؤلاء أصحاب الدعاوى المهلكة.

وأمّا أصحاب الدعاوى الصادقة: فهم أصحاب غفلات مع العقد السليم فللّه معهم لغزان. إن أخذهم بعقدهم ابتداء سلموا من غير مشقة، وإن أخذهم بغفلتهم شقوا ثم شفع فيهم عقدهم فانتقلوا إلى دار السعادة، ولكن لم يشموا رائحة من الكون المتصل، الذي هو عين الجمع والوجود.

وثَمَّ طائفة من أصحاب الدعاوى الصادقة نظر الحق إليهم بعين العناية فهداهم ليستخلصهم لنفسه، واصطنعهم في دار الامتزاج قبل الرحلة إلى دار التخليص. فعجّل لهم التخليص هنا. ففرّق بين ظلمتهم ونورهم شهودُهم الذي أشهدهم.

فَأَفْنُوا ثُمَّ أَفْنُوا ثُمَّ أَفْنُوا ... فَكَانُوا في الوُجُود لِسَان حَقّه
وأَبْقُوا ثُمَّ أَبْقُوا ثُمَّ أَبْقُوا ... فَصَرَّفَهُم عَلَى مِقْدَارِ وفْقِه
وَمَا أَفْنُوا، وَلاَ أَبْقُوا فَكَانُوا ... لَهُو المَسْتُورِ في أَطْوَارِ خَلْقِهِ
فَنَاداهُم عَبِيدي مِن عبادي ... فَرَدُّوا مَنْ تُنَادِيهِ بِحَقّه
مُقِيمٌ لاَ يَزالُ يَراكَ فيه ... وَتُبْصِرُه عَلى تَحقِيقِ صِدْقِه
فَإن أَخرَجْتُه مِنه فَأَهلاً ... وَسَهلاً وَلْيَكُن إخراج شَوْقه
إِلَيَّ نَزَل بِتَركِيب نَزِيهٍ ... عَنِ التَّخلِيلِ مَقْرُونٌ بأُفْقه
ورِيٍّ بَعْدَ شُرْبِ نَالَ مِنه ... عَلَى قَدْر وَلَكِن بَعْدَ ذَوْقه

فلما ألحقهم بالكون المتصل ناداهم فلم يجيبوا فتعطلت الأسماء في حقهم، وما ظهر لها أثر في لطائفهم. فبعد هذا المشهد العلي، والحال السنيّ ردّهم إلى الكون المنفصل، فنطقوا بلسان التقوى فيه، لا بلسان الدعوى، فكانوا حاكين ما نصّ لهم، تالين ما أمروا بتلاوته، لا طالبين؛ فهم الشهود الأمناء، وهم الأبرياء الأخفياء لا يعرفهم سواه. مجهولة أحوالهم من حيث الشَّبه بالصورة، واختلاف البواعث والمعاني. فهم يأكلون ويشربون، ويركبون، وينكحون، ويمزحون، ويضحكون.

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

انظر ماذا فعلت مشاركة الصور، وإن اختلفت السور، فبهذا اللسان نطقوا، وعن هذه الحقيقة ترجموا، ولو عُثِر عليهم رُجموا. هكذا قال ابن عباس رضي الله عنه فسبحان من سترهم بهم عن أعين المنكرين، وإن كانوا مسلمين صالحين.

قال بعض العارفين: **«لا يبلغ أحد درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صدّيق أنه زنديق»**. معنى هذا الكلام لو نطق بما يقتضيه مقامه وحاله المستور. لكن لا ينطق إلاّ بأمر المعتاد، فيخفى بين العباد، فيحيا طيب العيش، نزيه المكان، كثير الإمكان، فهذه أحوال أرباب هذا الباب مجملة.

ومدار هذا الباب على ثلاثة أقطاب: قطب يتضمن سبعين ركناً من أركان العلم. وقطب يتضمن ستة أركان من أركان الوراثة. وقطب يتضمن خمسين ركناً من أركان النور.

فتفيض أركان العلم من سبحاتها على صفاء نهر العبودية، فيضرب لها شعاع في أركان الولاية. فذلك نور الأولياء ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩].

وتفيض أركان النور من سبحاتها على صفاء نهر الهداية، فيضرب لها شعاع في محجّة السالكين إلى الله، فحيثما وقع ذلك النورُ فالطريق الظاهر به طريق السعادة والمجانب له طريق الشقاوة. فمَن كوشف بهٰذا النور، فإنه معصوم، إن كان نبيًا. ومحفوظ، إن كان ولياً.

والفرق بين العصمة والحفظ: أنَّ العصمة تعمّ الذات كلها، والحفظ يتعلق بالجوارح مطلقاً. ولا يشترط استصحابه في السر، فقد تخطر للولي خواطر لا يقتضيها طريق الحفظ لكن لا يظهر لها حكم على الجوارح أَلْبَتَّة. فاعلم، والله الموفق.

حضرة تميّز الثاني

باب أوله ألف وصل
وآخره نون وهو الباب السابع

إذا لاح علم الهداية للبصائر طلبته اللطائف بهياكلها، وذلك لأن العبد إذا أشرقت لعينه أنوار النور، حصل له التميّز علماً لا غير. فيرى طريق المقامات العلية والمشاهد القدسية، عليها الآثار النبوية بالعلامات الربانية، والآيات الرحمانية، والدلالات الإلهية. ويرى عكس هذا الطريق من جميع الوجوه، ويرى نفسه عليه، أو بينهما. فإن خلع عليه رداء التوفيق مشى بالموافقة على الطريقة المُثلى المحقوقة بالسُبُحات العُلى، القائدة إلى المورد الأحلى بالمقام الأجلى، حيث الشهود الأسنى، والمكانة الزلفى، والمرتبة العظمى، حيث تنكشف أسرار المودة في القربى، عند حجاب العزّة الأحمى، بساحل بحر العمى.

أَلَ لَـيْـتَ الـتَّـراجِـم مُـخْـبِـراتٌ ... بِـمـا يَـبْـدُو إِلـى الـبَـصَـرِ الـغَـرِيـبِ
مِـنَ الأَسْـرَارِ فـي فَـلَـكِ الـمَـعـالـي ... إِذَا يَـسْـري عَـلـى الـحِـكَـم الـعَـجـيـبِ
فَـتُـبْـصِـرُ نَـاطِـقـاً بِـلِـسـان غَـيْـبِ ... غَـرِيـبـاً فـي غـريـبٍ، فـي غَـرِيـبِ

وقام له سرُّ الاستقامة في كل شيء من حيث أن كل شيء منه بدا، وإليه يعود. فليس ظهور الاستقامة فيما يطلق عليه في الاصطلاح اسم المستقيم. فإن الكرة مستقيمة في التدوير. وليس اسم الاستقامة على الخط المستقيم بأولى من غيره.

لو قيل لكل غصن من أغصان الشجرة على اختلافها ودخول أغصانها بعضها على بعض: لماذا خرجت عن حدّ الاستقامة الذي مشى عليها هذا الغصن الآخر؟ لقال: بل سلْهُ لما خرج عن حد الاستقامة التي أنا عليها؟

فمن رأى وجود الأشياء منه سبحانه ابتداءً ونشأً. ورأى رجوعها إليه عوداً، ورأى معيَّته في الأشياء بين البدء والعود. لم يرَ معوجاً. بل كان يرى استقامة محضة لا غير.

فالعارف إذا سأل الاستقامة. إنما يسأل معرفة حكمة الأشياء في وضعها، ووجوه الحقّ فيها. ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

فإذا اتضح للعبد طريق السعادة وطريق الشقاوة، ورأى غاية الطريقين إلى الله تعالى. فلا يخلو هذا العبد. إمَّا أن يلحظ نفسه وما يعطيه طبعه. وإمَّا أن لا يلحظ ذلك.

فإن لم يلحظ ذلك: فلا يقع له التميز من الطريقين من حيث الغاية. فلا يسأل النجاة من النار، ولا يسأل نعيم الجنان. بل ينظر في الطريقين نظر متنزِّه قد تسامى عن حكم الأكوان فيه. وذلك إذا كان الاسم «الله» في غاية الطريقين حينئذٍ يكون بهذه المثابة.

فإن لحظ نفسه: في هذا المشهد مع الاسم «الله» في الغاية فصّل برؤيته نفسه ما في الاسم «الله» من الإجمال فهرب من النار، وطلب الجنة. فإن رأى غاية كل طريق الاسم الخاص به فرأى في طريق السعادة الاسم المنعم، ورأى في طريق الشقاوة الاسم المبلي، فرَّ من الله إلى الله. فرَّ من المبلي المنتقم إلى المُنْعِم، والاستعاذة به.

قال: أعوذ بك منك. فإنه هرب منه إليه، ولا سيما إن شاهد أهل الخبرة والتيه، الذين تخيلوا في ضلالتهم أنهم على هدى يشتد تعوذه لعظيم سلطان هذا المكر. حيث مكر بهم من حيث لا يشعرون ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

فإن الضال إذا عرف أنه ضال، فهو على هدى في ضلالته، لكن يكون ظالماً مستكبراً عالماً فيرجى له. لأن العالم لا يمكن له أن يلتبس عليه معلومُه بعد قيام العلم، وحضوره معه. لكن كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. هذا وصف العالم تشم عليه روائح السعادة.

وقال في الشقي المطلق الجاهل: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. فسبب إبايته وتكبره جهله. بخلاف الأول الذي سبب إبايته عن الانقياد بالظاهر تكبره على جنسه. فإن العالم لا يتمكن له الإباية بباطنه لحصول العلم عنده. فهو منقاد مطيع باطناً. معتاص جموح ظاهراً. وأمره إلى الله. وقد تكلمنا عليه في كتاب (لا إله إلا الله) مستوفى. فإن هناك محله ومكانه.

ثم إن السعيد المجتبى إذا عاين معارج المهتدين الذين يقدموه زماناً ورأى صفاء أنوارهم لما تخلصت عن ظُلماتهم. وتلك الضياءات اللامعة المستخلصة من ظلمة الكون الثقلي بالضرورة يرى نوره دون أنوارهم في الصفاء والشعشعانية. وقد يكون فوق من رأى بالرتبة والفضيلة وهو لا يشعر لما يرى من المفاضلة بين النورين، وما يعلم أن سبب قصور نوره أنه للعلاقة الماسكة له لبقاء هذه الجثة الظلمانية وشغله بها، وعدم تخلصه منها. فيسأل حينئذٍ ربه تعالى في العروج به على معارج هذه الأنوار التي تراءت له رغبة في الصفاء المحض الذي لا يشوبه تكدير وتكثر. رغبته في ذلك والحاجة وطلبته إلى أن يتخلص كما تخلصوا فيكون صفاؤه عند ذلك على قدر ما

اتصف من المعارف الإلهية وتحقق به من الصورة المعلومة. فهذه صورة عالم هذا الباب.

ومداره على ثلاثة أقطاب: قطب يتضمن خمسة أركان من أركان الهوية. وقطب يتضمن أربعة أركان من أركان الديمومية. وقطب يتضمن ركناً من أركان الإنيّة.

فتفيض أركان الهوية، وركن الإنية من سبحاتها على صفاء نهر الديمومية. فيضرب لها شعاع في زوايا الجنّة والنار، فيكون شعاع نور الهوية في جهنم فيقع الحجاب: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

فالهو مصحوبهم أبد الآبدين ويكون شعاع نور الإنيّة في الجنان فتكون الرؤية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

فالإنيّة مصحوبهم أبد الآبدين، ونهر الديمومية يمد الدارين بحقيقته في شعاع كل نور، ولهذا هؤلاء في السعادة دائمون، وهؤلاء في الشقاوة دائمون.

عصمنا الله وإيّاكم من غوائل الفتن وصرف عنّا وجوه المحن إنه ذو الآلاء والمنن.

فصل

فهذا منزل العظمة قد أعطى من حقائقه قدر ما قبله استعداد الوقت صاحبه. يصغر إذا كان من أرواح التسخير حتى يصير كالوضع لا غير.

وأمّا نحن في هذا المنزل فلا نصغر بل نفنى ونفنى عن نفنى بلا نفنى بل به عنه، ولا غير ولا أثر ولا مخبر ولا خبر ولا رجوع بعد هذا الفناء بأنا لكن بهو. فيكون الراجع الهو لا الأنا. فيتسامى إذ ذاك عن الاتصاف بالصغر والتعرض للحكم.

كما قال «أبو يزيد»: «ضحكت زماناً وبكيت زماناً، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي». وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: «لا صباح لي ولا مساء. إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي». والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله.

هذا التنزل مكيّ والمحلّ قونوي يوناني فما تخلص من آثار الحكم الفكرية إلاّ بعد أن جعله الله له من بين يديه ومن خلفه رصداً. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نسخ من نسخة قوبلت من أصلٍ نُسخ من خط المؤلف وقُرِىء عليه فصح جهد الطاقة والحمد لله وحده.

قوبل من أصل قوبل من أصل نسخ من خط المؤلف وقرىء عليه فصح جهد الطاقة والحمد لله وحده.

ملاحق كتاب العظمة

ملحق ١

في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات المحمدية

إنَّ الـعَـظِـيـمَ إذَا عَـظَّـمْـتَـهُ نَـزَلا وَإنْ تَـعـاظَـمْـتَ جَـلَّـت ذَاتُـه فَـعَـلا
فَـهُـوَ الّـذي أبْـطَـل الأكْـوَان أجْـمَـعِـهـا مِـنْ بَـابِ غَـيْـرَتِـهِ وَهُـوَ الّـذي فَـعَـلا
وَلَـيْـسَ يُـدْرِكُ مَـا قُـلْـنَـا سِـوَى رَجُـلٍ قَـدْ جَـاوَزَ الـمَـلأَ الـعُـلْـوِيَ والـرُّسُـلا
وَهَـامَ فِـيـمَـنْ يَـظُـنّ الـخَـلْـقُ أجْـمـعـه تَـحْـصِـيـلَـهُ وَسَـهـا عَـنْ نَـفْـسِـه وَسَـلا
ذَاكَ الـرَّسُـولُ رَسُـولُ الـلّـه أحْـمَـدُنـا رَبُّ الـوَسِـيـلَـةِ فـي أوْصَـافِـهِ كَـمُـلا

اعلم

أن لهذا المنزل أربعة عشر حِكماً:

الأول: يختص بصاحب الزمان. والثاني والثالث: يختص بالإمامين. والرابع والخامس والسادس والسابع: يختص بالأوتاد. والثامن والتاسع والعاشر والأحد عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر: بالأبدال.

وبهذه الأحكام يحفظ الله عالم الدنيا. فمن علم هذا المنزل علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا. ونظيره من الطب علم تقويم الصحة. كما أنه بالأبدال تنحفظ الأقاليم، وبالأوتاد ينحفظ الجنوب والشمال والمغرب والمشرق. وبالإمامين ينحفظ عالم الغيب الذي في عالم الدنيا وعالم الشهادة، وهو ما أدركه الحس. وبالقطب ينحفظ جميع هؤلاء، فإنه الذي يدور عليه أمر عالم الكون والفساد.

وهؤلاء على قلب أربعة عشر نبياً وهم:

آدم، وإدريس، ونوح، وإبراهيم، ويوسف، وهود، وصالح، وموسى، وداود، وسليمان، ويحيى، وهارون، وعيسى، ومحمد سلام الله عليهم وعلى المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ولكل واحد ممن ذكرنا طريق يخصه، وعلم ينصه، وخبر يقصه، ويرثه من ذكرناه ممن ليست له نبوة التشريع، وإن كانت له النبوة العامة. فلنذكر من ذلك ما تيسر فإنه يطول الشرح فيه، ويتفرع إلى ما لا يكاد أن ينحصر.

ولهم من الأسماء الإلهية:

الله، والرب، والهادي، والرحيم، والرحمٰن، والشافي، والقاهر، والمميت، والمحيي، والجميل، والقادر، والخلاق، والجواد، والمقسط.

كلُّ اسم إلهيّ من هذه ينظر إلى قلب نبيّ مِمَّن ذكرنا، وكل نبيٍّ يفيض على كل وارث.

فالنبي كالبرزخ بين الأسماء والورثة، ولهم من حروف المعجم حروف أوائل السور، وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون.

هذا لهم من حيث الإمداد الإلهي الذي يأتيهم في قلوبهم، وإنما الذي يأتيهم من الحروف في صور خيالهم بالإمداد أيضاً فالدال، والذال، والعين، والنون، والصاد، والراء، والألف، والطاء، والحاء، والواو، والضاد، والغين، واللام، والميم، والتاء، والكاف، والباء، والسين، والقاف، والياء، والهاء، والحرف المركب من لام الألف الذي هو للحروف بمنزلة الجوهر.

وهذه الحروف من عالم الأنفاس الإلهية، وما تركب من الكلمات من هذه الحروف خاصة مما وقع عليها الاصطلاح في كل لسان بما تكون بها الفائدة في ذلك اللسان. فإن تلك الكلمات لها على ما قيل لي خواص في العالم ليست لسائر الكلم.

وأمّا الأرواح النورية فعين لهؤلاء الأنبياء منهم أربعة عشر روحاً من أمر الله ينزلون من الأسماء ـ التي ذكرناها ـ الإلهية على قلوب الأنبياء وتلقاها حقائق الأنبياء عليهم السلام على قلوب من ذكرناه من الورثة، ويحصل للفرد الواحد من الأفراد وراثة الجماعة المذكورة، فيأخذون علم الورث من طريق المذكورين من الأرواح الملكية والأنبياء البشريين، ويأخذون بالوجه الخاص من الأسماء الإلهية علوماً لا يعلمها من ذكرناه سوى محمد ﷺ فإن له هذا العلم كله. لأنه أخبر أنه قد عَلِم علم الأولين وعلم الآخرين.

اعلم

أن لله كنوزاً في الطبيعة التي تحت عرش العماء، اكتنز فيها أموراً، فيها سعادة العباد. كاكتزان الذهب في المعدن. وصور هذه الكنوز صور الكلمات المركبة من الحروف اللفظية فلا تظهر، إذا أراد الله إظهارها، إلاّ على ظهر أرض أجسام البشر على ألسنتهم. وإنفاقها والانتفاع بها عين التلفظ بها، مثل قول الإنسان:

«لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم».

فهذه الكلمات من الكنوز المنصوص عليها من الله على لسان رسوله ﷺ، وأول ما أظهرها الله تعالى على لسان آدم عليه السلام فهو أول من أنفق من هذا الكنز في الطواف بالكعبة حين أنزله جبريل فطاف به بالكعبة فسأله: ما كنتم تقولون في طوافكم بهذا البيت؟ فقال جبريل عليه السلام:

كنا نقول في طوافنا بهذا البيت «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر».

فأعطى الله آدم وبنيه من حيث لا تعلمه الملائكة كلمة «لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم». فقال آدم لجبريل عليهما السلام: وأزيدكم أنا: «لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم».

فبقيت سُنَّةً في الذكر في الطواف لبنيه، ولكل طائف به إلى يوم القيامة. فأخبر رسول الله ﷺ أن هذه الكلمة أعطيها آدم عليه السلام من كنز تحت العرش[(١)].

فالكنوز المكتنزة تحت العرش، إنما هي مكتنزة في نشأتنا، فإذا أراد الله إظهار كنز منها، أظهره على ألسنتنا، وجعل ذلك قربة إليه، فإنفاقه النطق به. وهكذا جميع ما اكتنزه مما فيه قربة، وما ليس بقربة مِمّا هو مكتنز، بل يخلق في الوقت في لسان

---

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري وغيره بألفاظ متقاربة ونص رواية البخاري هي: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر، أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ: **«أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»** وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لي: **«يا عبد الله بن قيس»** قلت: لبيك يا رسول الله، قال: **«ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟»** قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي، قال: **«لا حول ولا قوة إلا بالله»** (صحيح البخاري، حديث رقم ٣٩٦٨ وانظر صحيح مسلم حديث رقم ٢٧٠٤ وصحيح ابن حبان حديث رقم ٤٤٩).

العبد، وكانت صورة اختزانه ـ إذ لا يختزن إلاّ أمر وجودي ـ أن الله لما أراد إيجاد هذا المكتنز، تجلى في صورة آدمية، ثم تكلم بهذا الأمر الذي يريد أن يكتنزه لنا أو لمن شاء من خلقه، فإذا تكلم به أسمعه ذلك المكان، الذي يختزنه فيه فيمسك عليه، فإذا أنشأ الله ذلك المكان صورة ظهر هذا الكنز في نطق تلك الصورة، فانتفع بظهوره عند الله، ثم لم يزل ينتقل في ألسنة الذاكرين به دائماً أبداً، ولم يكن كنزاً إلاّ فيمن ظهر منه ابتداء، لا في كل من ظهر منه بحكم الانتقال والحفظ.

وهكذا كلُّ «من سَنَّ سُنَّةً حسنة»[1] ابتداءً من غير تلقف من أحد مخلوق إلاّ من الله إليه فتلك الحسنة كنزٌ اكتنزها الله في هذا العبد من الوجه الخاص، ثم نطق بها العبد لإظهارها، كالذي ينفق ماله الذي اختزنه في صندوقه فهذا صورة الاكتناز ـ إن فهمت ـ.

فلا يكون اكتنازاً إلاّ من الوجه الخاص الإلهي، وما عدا ذلك فليس باكتناز. فأول ناطق به هو محل الاكتناز، الذي اكتنزه الله فيه.

وهو في حق من تلقفه منه ذكر مقرب كان موصوفاً بأنه كنز، فهذه كلها رموزه لأنها كلها كنوزه.

وبعد أن أعلمتك بصورة الكنز والاكتناز، وكيفية الأمر في ذلك لتعلم ما أنت كنز له، أي: محل لاكتنازه، مما لست بمحل له إذا تلقنته، أو تلقفته من غيرك فتعلم عند ذلك حظك من ربّك وما خصَّك به من مشارب النبوة. فتكون عند ذلك على بينة من ربك فيما تعبده به، ولا تكون فيما أنت محل لاكتنازه وارثاً، بل تكون موروثاً فتحقق ما ترثه وما يورث منك. ومن هذا الباب مسألة بلال الذي نص عليها لنا رسول الله ﷺ في قوله له: «بمَ سبقتني إلى الجنة»[2]؟

يستفهمه إذ علم أن السبق له ﷺ فلما ذكر له ما نص لنا قال: بهما. أي: بتينك الحالتين فمن عمل على ذلك كان له أجر العمل، ولبلال أجر التسنين وأجر عملك معاً. فهذا فائدة كون الإنسان محلاً للاكتناز.

---

(١) رواه ابن خزيمة، باب استحباب الإعلان بالصدقة. . و حديث رقم (٢٤٧٧) وابن ماجة في سننه، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة. . ، حديث رقم (٢٠٣)، ورواه غيرهما.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب استحباب الصلاة. . . ، حديث رقم (١٢٠٩) وابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن بلالاً. . . ، حديث رقم (٧٠٨٦) والحاكم في المستدرك، من كتاب صلاة التطوع، حديث رقم (١١٧٩) والترمذي، باب في مناقب عمر، حديث رقم (٣٦٨٩) ورواه غيرهم.

وأمّا تسنين الشّرّ فليس باكتناز إلهي، وإنما هو أمرٌ طبيعي، فإن النبي ﷺ يقول معلماً لنا: «**والخير كله بيديك**».

أي: أنت الذي اكتنزته في عبادتك، فهو يجعلك فيهم واختزانك ولذلك يكون قربة إليك العلم به، ثم قال: «**والشّرُّ ليس إليك**»[1].

أي: لم تختزنه في عبادك. وهو قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

فأضاف السوء إليك والحسن إليه، وقوله صدْقٌ وأخباره حقٌّ. وأمّا قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩].

أي: التعريف بذلك من عند الله، والحكم بأن هذا من الله وهذا من نفسك. وهذا خير وهذا شر. معنى (كل من عند الله) ولهذا قال في حق من جهل الذي ذكرناه منهم. ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

أي: ما لهم لا يفقهون ما حدثتهم به فإني قد قلت: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فرفعت الاحتمال أو نصصت على الأمر بما هو عليه.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم [٢٠١ ـ (٧٧١)] وابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر الدعاء بين تكبيرة الافتتاح وبين القراءة، حديث رقم (٤٦٢) والحاكم في المستدرك، ومن تفسير سورة بني إسرائيل بسم الله الرحمٰن الرحيم حديث رقم (٣٣٨٤) وأبو داود في سننه، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، حديث رقم (٧٦٠) ورواه غيرهم. ونص رواية مسلم هي:

عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك**» وإذا ركع قال: «**اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي**» وإذا رفع قال: «**اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد**» وإذا سجد قال: «**اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين**» ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**».

فلما قلت: (كل من عند الله). يعلم العالم بالله أني أريد الحكم والإعلام بذلك أنه من عند الله لا عين السوء. ولمّا علم ذلك رسول الله ﷺ قال: «والخير كله بيديك والشر ليس إليك».

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧، ٨] فجورها أنه فجورها، وتقواها أنه تقوى. ليفصل بين الفجور والتقوى. إذ هي محل لظهور الأمرين فيها. فربّما التبس عليها الأمر وتخيلت فيه أنه كله تقوى. فعلّمها الله فيما ألهمها ما يتميز به عندها الفجور من التقوى، ولذا جاء بالإلهام ولم يجىء بالأمر. فإن الله لا يأمر بالفحشاء، والفجور فحشاء. فالذكر للأصل وهو القطب. والتحميدان أعني تحميد السرّاء والضرّاء لما انقسم التحميد بلسان الشرع. بين قوله: (في السراء) الحمد لله المنعم المتفضل، وبين قوله: (في الضراء) الحمد لله على كل حال، وما له في الكون إلاّ حالة تسر، أو حالة تضر، ولكل حالة تحميد، وهي قوله تعالى لنا في كتابه عن إبليس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧].

وقام على كل جهة من هذه الجهات من يحفظ إيمانه منها جعل الأوتاد أربعة للزومهم هذه الجهات لكل وتد جهة أي الغالب عليه حفظ تلك الجهة خاصة. وإن كان له حفظ لسائر الجهات «كأفرضكم زيد»[(١)]، و«أقضاكم عليّ»[(٢)]، و«كالجماعة تحمل ما لا يقدر الواحد على حمله إذا انفرد به».

فلكل واحد من الجماعة قوة في حمله، وأغلب قوته حمل ما يباشره من ذلك المحمول. فلولا الجماعة ما انتقل هذا المحمول لأن كل واحد واحد لا يقدر على حمله فبالمجموع كان الحمل. كذلك هذا الأمر. فهذه سبعة.

وأمّا الأبدال: فلهم حفظ السبع الصفات في تصريف صاحبها لها، إذ لها تصرف في الخير، وتصرف في الشر، فتحفظ على صاحبها تصريف الخير، وتقيه من تصريفاتها في الشر.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الفرائض، حديث رقم (٧٩٦٢) [ج٤ ص٣٧٢] بلفظ: **«أفرض أمتي زيد بن ثابت»** والطبراني في المعجم الصغير حديث رقم (٥٥٦) [ج١ ص٣٣٥].

(٢) رواه الطبراني في المعجم الصغير، حديث رقم (٥٥٦) [ج١ ص٣٣٥] ونصه: عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأرفق أمتي لأمتي عمر بن الخطاب وأصدق أمتي حياء عثمان وأقضى أمتي علي بن أبي طالب وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل يجيء يوم القيامة أمام العلماء برتوة وأقرأ أمتي أبي بن كعب وأفرضها زيد بن ثابت»**.

فهذه جملة الأربعة عشر التي ذكرناها لقوم يعقلون من المؤمنين إذا أنصفوا، ومن حصل له حفظ ما ذكرناه فذلك المعصوم، وتلك العصمة. ما ثم غير هذين في الظاهر والباطن ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦].

وإذا علمت هذا وانفتح لك مقفله مشيت لكل واحد من الذي عَيَّنَّا لك على ما له مما ذكرناه من الأسماء الإلهية، والحروف الرقمية المعينة، والأفهام الموروثة من النبيين المذكورين والأرواح النورية، فيحصل لك ذوقاً جميع ما ذكرناه وكشفاً لمعناه فلا تغفل عن استعماله.

وفي هذا المنزل من العلوم. علم الأذكار المقربة إلى الله تعالى، وعلم الأسماء الإلهية، وعلم اختصاص الرحمة وشمولها، وعلم الأسماء المركبة التي لله، وعلم عواقب الأمور، وعلم العالم، وعلم مراتب السيادة في العالم، وعلم الثناء بالثناء، وعلم الملك والملكوت، وعلم الزمان، وعلم الجزاء، وعلم الاستناد، وعلم التعاون، وعلم العبادة، وعلم البيان والتبيين، وعلم طرق السعادة، وعلم النعمة والمنعم والإنعام، وعلم أسباب الطرد عن السعادة التي لا يشوبها شقاء، وعلم الحيرة والمتحيرين، وعلم السائل والمجيب، وعلم التعريف بالذات والإضافة وأيّ التعريفين أقوى.

هذه أمهات العلوم التي يحوي عليها هذا المنزل، وكل علم منها، فتفاصيله لا تنحصر إلاّ لله تعالى. أي يعلم مع علمه بها أنها لا تنحصر، لأنها لا نهاية لها. ومنها تقع الزيادة في العلم لمن طلبها، ومن أُعطيها من غير طلب. وهو قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فإن تناهى العلم في نفسه فإن المعلوم لا ينتهي.

وَقَدْ نَهَيْتُ النَّفْسَ عَن قَوْلِهَا ... بِالانْتِهَا فِيهِ فَلَمْ تَنْتَهِ
لِجَهْلِهَا بِالأَمْرِ فِي نَفْسِهِ ... لِذَاكَ قَالَت إِنَّهُ يَنْتَهِي
وَقَدْ رَأَيْنَا نَفَراً مِنْهُم ... بِمَكَّةَ يَجُولُ فِي مَهْمَهِ
قَدْ حَكَمَتْ أَوْهَامُهُم فِيهِم ... فَانْحَازَ ذُو اللُّبِّ مِنَ الأَبْلَهِ

واعلم

أن عالم الإنسان لما كان مِلْكاً لله تعالى كان الحق تعالى مَلِكاً لهذا المِلْك بالتدبير فيه وبالتفصيل. ولهذا وصف نفسه تعالى بأن ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

[الفتح: ٤]، وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. فهو تعالى حافظ هذه المدينة الإنسانية لكونها حضرته التي وسعته وهي عين مملكته، وما وصف نفسه بالجنود والقوة إلاّ وقد علم أنه تعالى قد سبقت مشيئته في خلقه أن يخلق له منازعاً ينازعه في حضرته ويثور عليه في ملكه بنفوذ مشيئته فيه وسابق علمه وكلمته التي لا تتبدَّل سماه الحارث، وجعل له خيلاً ورجلاً وسلّطه على الإنسان فأجلب هذا العدو على هذا الملك الإنساني بخيله ورجله.

ووعده بالغرور بسفراء خواطره التي تمشي بينه وبين الإنسان فجعل الله في مقابلة أجناده أجناد ملائكته، فلما تراءى الجمعان وهو في قلب جيشه جعل ميمنة ومسيرة وتقدمة وساقة وعرفنا الله بذلك لنأخذ حذرنا منه من هذه الجهات فقال الله تعالى لنا أنه قال هذا العدو.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الحجرات: ١٦].

وهو في قلب جيشه في باطن الإنسان فحفظ الله هذا الملك الإنساني بأن كان الله في قلب هذا الجيش، وهذا العسكر الإنساني في مقابلة قلب جيش الشيطان، وجعل على ميمنته الاسم الربّ، وعلى ميسرته الاسم الملك، وعلى تقدمته الاسم الرحمٰن، وفي ساقته الاسم الرحيم، وجعل الاسم الهادي يمشي برسالة الاسم الرحمٰن، الذي في المقدمة إلى هذا الشيطان، وما هو شيطان الجان وإنما أعني به شيطان الإنس. فإن الله تعالى يقول: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ٤ ـ ٦].

فإن شياطين الإنس لهم سلطان على ظاهر الإنسان وباطنه، وشياطين الجن هم نوّاب شياطين الإنس في بواطن الناس، وشياطين الجن هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الإنس، ويدبرون دولتهم فيفصلون لهم ما يظهرون فيها من الأحكام، ولا يزال القتال يعمل على هذا الإنسان المؤمن خاصة فيقاتل الله عنه ليحفظ عليه إيمانه، ويقاتل عليه إبليس ليرده إليه، ويسلب عنه الإيمان، ويخرجه عن طريق سعادته حسداً منه. فإنه إذا أخرجه تبرأ منه وجثا بين يدي ربه الذي هو مقدم صاحب الميمنة ويجعله سفيراً بينه وبين الاسم الرحمٰن، وعرَّفنا الله بذلك كله لنعرف مكايده. فهو يقول للإنسان بما يزين له (أكفر) فإذا كفر يقول له: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَا﴾ [الحشر: ١٦، ١٧]. لأن الكفر هنا

هو الشرك، وهو الظلم العظيم ولذلك قال: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يريد المشركين، فإنهم الذين لبسوا إيمانهم بظلم وفسره رسول الله ﷺ بما قاله لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فعلمنا بهذا التفسير أن الله أراد بالإيمان هنا في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] أنه الإيمان بتوحيد الله، لأن الشرك لا يقابله إلاّ التوحيد. فعلم النبي ﷺ ما لم تعلمه الصحابة، ولهذا ترك التأويل من تركه من العلماء ولم يقل به، واعتمد على الظاهر، وترك ذلك لله، إذ قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

فمن أعلمه الله بما أراده في قوله، علمه بإعلام الله لا بنظره، ومن رحمة الله بخلقه أنه غفر للمتأولين من أهل ذلك اللسان العلماء به إذا أخطأوا في تأويلهم فيما تلفظ به رسولهم. إمّا فيما ترجمه عن الله، وإمّا فيما شرع له أن يشرعه قولاً وفعلاً، وليس في المنازل الإلهية كلها على كثرتها ما ذكرنا منها في هذا الكتاب، وما لم نذكر من يعطي الإنصاف ويؤدي الحقوق ولا يترك عليه حجة لله ولا لخلقه فيوفي الربوبية حقها والعبودية حقها، وما ثم إلاّ عبدٌ ورب إلاّ هذا المنزل خاصة هكذا أعلمنا الله بما ألهمه أهل طريق الله الذي جرت به العادة أن يعلم الله منه ورثة أنبيائه.

وهو منزل غريب عجيب أوله يتضمن كله، وكُلُّه يتضمن جميع المنازل كلها. وما رأيت أحداً تحقق به سوى شخصٍ واحد مكمَّل في ولايته لقيته بإشبيليَّة، وصحبته وهو في هذا المنزل، وما زال عليه إلى أن مات رحمه الله. وغير هذا الشخص فما رأيته مع أني ما أعرف منزلاً، ولا نحلة، ولا ملّة إلاّ رأيت قائلاً بها ومعتقداً لها ومنصفاً بها باعترافه من نفسه. فما أحكي مذهباً ولا نحلة إلاّ عن أهلها القائلين بها، وإن كُنّا قد علمناها من الله بطريق خاص، ولكن لا بد أن يرينا الله قائلاً بها لنعلم فضل الله عليّ وعنايته بي حتى أني أعلمت أن في العالم من يقول بانتهاء علم الله في خلقه، وأن الممكنات متناهية، وأن الأمر لا بد أن يلحق بالعدم والدثور، ويبقى الحق حقاً لنفسه ولا عالم. فرأيت بمكة من يقول بهذا القول، وصرح لي به معتقداً له من أهل السوس من بلاد المغرب الأقصى. حجَّ معنا وخدمنا وكان يُصرُّ على هذا المذهب حتى صرح به عندنا، وما قدرت على ردّه عنه، ولا أدري بعد فراقه إيّانا هل رجع عن ذلك، أو مات عليه؟

وكان لديه علوم جمة وفضل إلاّ أنه لم يكن له دين وإنما كان يقيمه صورة عصمة لدمه. هذا قوله لي ويعطيه مذهبه. وليس في مراتب الجهل أعظم من هذا الجهل.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ملحق ٢

حضرة العظمة

إنَّ الـعَـظِـيـم الّـذي تُـعَـظِّـمـه أَفْـعَـالُـه لَـيْـس مَـن يَـقُـولُ أَنَـا
وَمَـنْ يَـقُـلْ إِنَّـمَـا تُـعَـظِّـمُـهُ أَحْـسَـابُـه لاَ أَرَى لَـهُ ثَـمَـنَـا
فَـلاَ تُـعَـظِّـمُـه إِنَّـهُ رَجُـلٌ يُحْشَرُ يَومَ الحِسَابِ في الجُبنَا

يُدْعى صاحبها عبد العظيم، وحال هذا العبد الاحتقار التام مع كونه محلاً للعظمة فيفنيه عن نفسه، وما رأيت أحداً يحكم هذا المقام إلاّ شخصاً واحداً من حديثه الموصل، وأخبرني شيخي أبو العباس العريني من أهل العليا من غرب الأندلس أنه رأى واحداً أيضاً من أهل هذه الحضرة، وقد تلبس كالحلاج فيعظم جسمه في أعين الناظرين بالأبصار، وأمّا حكمها في النفوس فكثير الوقوع، فإنه تقع أمور كثيرة يعظم في النفوس قدرها بحيث لا تتسع النفس لغيرها، ولا سيما في الأمور الهائلة التي تؤثر الخوف في النفوس.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].
﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].
﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ولكن في نفس الموحد يشاهد عظمته في نفس المشرك لا في نفسه فيشاهده ظلمة عظيمة إذا أخرج يده فيها لم يكد يراها.

واعلم

أن العظمة حال المعظِّم (اسم فاعل) لا حال المعظَّم (اسم مفعول) إلاّ أن يكون الشيء يعظم عنده ذاته فعند ذلك تكون العظمة حال المعظَّم لأن المعظِّم (اسم فاعل) ما عظمت عنده إلاّ نفسه فهو من كونه معظماً نفسه كانت الحال صفته، وما عظم سوى نفسه، فالعظمة حال نفسه، وهذه الحالة توجب الهيبة والإجلال والخوف فيمن قامت بنفسه. قال بعضهم:

كَـأَنَّـمَـا الـطَّـيْـرُ فَـوْقَ أَرْؤُسِـهِـم لاَ خَوْفَ ظُلْمٍ وَلَكِن خَوْفَ إِجْلاَلِ

لما في قلوبهم من هيبته وعظمته، وقال الآخر:

أَشْـتَـاقُـهُ فَـإِذَا بَـدَا أَطْـرَقْـتُ مِـن إِجْـلاَلِـهِ
لاَ خِـيـفَـةً بَـلْ هَـيْـبَـةً وَصِـيَـانَـةً لِـجَـمَـالِـهِ

وهذه الأسباب كلها موجبات لحصول العظمة في نفس هذا المعظم إلاّ من عظمة الحق في القلوب لا توجبها إلاّ المعرفة في قلوب المؤمنين، وهي من آثار الأسماء الإلهية. فإن الأمر يعظم بقدر ما ينسب إلى هذه الذات المعظمة من نفوذ الاقتدار وكونها تفعل ما تريد ولا رادّ لحكمها، ولا يقف شيء لأمرها فبالضرورة تعظم في قلب العارف بهذه الأمور، وهي العظمة الأولى الحاصلة لمن حصلت عنده من الإيمان، والمرتبة الثانية من العظمة هي ما يعطيه التجلي في قلوب أهل الشهود والوجود من غير أن يخطر لهم شيء من تأثير الأسماء، ولا من الأحكام الإلهية بل بمجرد التجلي تحصل العظمة في نفس من يشاهده، وهذه العظمة الذاتية.لا تحصل إلاّ لمن شاهده به لا بنفسه، وهو الذي يكون الحق بصره ولا أعظم من الحق عند نفسه، فلا أعظم من الحق عند من يشهده في تجليه ببصر الحق لا ببصره، فإن بصر كل إنسان وكل مشاهد بحسب عقده وما أعطاه دليله وهذا الصنف من أهل العظمة خارج عمّا ارتبطت عليه أفئدة العارفين من العقائد فيرونه من غير تقييد فذلك هو الحق المشهود، فلا يلحق عظمتهم عظمة معظم أصلاً، وما أحسن ما جاء هذا الاسم حيث جاء في كلام الله ببنية فعيل فقال: عظيم. وهي بنية لها وجه إلى الفاعل ووجه إلى المفعول.

ولما كان الحق عظيماً عند نفسه كان هو المعظِم والمعظَّم فأتى بلفظ يجمع الوجهين كالعليم سواء، وقد يرد هذا البناء ويراد به الوجه الواحد من الوجهين كالاسم الحليم، هذا لسان الظاهر وعلم الرسم.

وأمّا علم الحقيقة المعتمد عليه عند العارفين. فكل فعيل في أسماء الحق وصفاته ونعوته كالحليم والعليم والكريم فلا فرق بين هذه الأسماء وبين العظيم في دلالتها على الوجهين، وذلك لكونه هو الظاهر في مظاهر أعيان الممكنات فما حلم إلاّ عنه ولا تكرم إلاّ عليه. ألا ترى حكم إيجاد المرجح إيجاده عند المتكلمين إلاّ بالقدرة أو القادرية عند بعضهم، أو بكونه قادراً عند طائفة فهو القادر، ولا يترجح الممكن إلاّ بالإرادة كما قلنا في القدرة على ذلك الترتيب والمساق فهو المريد.

فالمريد إذا أراد ترجيح الوجود على العدم في المخلوق إن لم يكن هو القادر على ذلك، وإلاّ فعدم الإرادة أو وجودها على السواء. فيحتاج المريد إلى القادر بلا شك والعين واحدة ما ثَمَّ عين زائدة مع اختلاف الحكم.

فلهذا قلنا في هذا البناء في حق الحق بطلب الوجهين ولا يقدر أحد من الطوائف من العلماء بالله على مثل هذا العلم الإلهي إلاّ العلماء الراسخون من أهل الله الذين هوية الحق علمهم كما هي سمعهم وبصرهم فاعلم ذلك.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

تاج الرسائل ومنهاج الوسائل

تأليف
الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد
ابن عربي الحاتمي
المتوفى ٦٣٨ هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليماً

هذا كتاب (تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الإلهية المودعة في المعاني الروحانية) ممّا جرى بيني وبين الكعبة المعظمة عند طوافي بها من باب المكاشفة والمطالعة إلى بعض من يكرم عليه من أصحابه، ويعزّ لديه من أترابه بمكة سنة ستمائة.

فقال:

الحمد الله الذي توّجني بتاج العِزّة بعد الخضوع، وردّاني برداء الرفعة بعد الخشوع، ووحّدني بالواحدة البتول من الأعيان، التي لم يطمثها إنس قبلي ولا جان، وصلّى الله على السيد المختار من آل عدنان، وسلم كثيراً ما اختلف الملوان.

أمّا بعد

فإن الله تعالى لما أنزلني في حَرَمِه، وأطلعني على حرمه وجمع شملي بكعبة الحُسْنِ المونِقَة، وروضة المُزْنِ المورِقة عاينتُ نشأةً فلكيَّة، وحقيقة ملكية، وجارية فلكية ومرتبة ملكية، وتربية مكيّة.

سِتْر مُسْدَلْ، ويَمينٌ تُقْبَّل، وكلماتٌ تُقْبَل، ونَفَحات يمنية سريانية تَقْبَلْ. واستلامٌ والتزامٌ، ومصُّ ريق، وتعنيق، رخيمةُ الدلال، معشوقة الإدلال، رائعة الجمال، فائقة الجلال. غضَّةٌ ناضرة، نكتة نادرة وضّاحة الجبين، معتدلة العرنين، حسنةُ القدّ، أسيلة الخدّ، روضة مظلولة، لا ملولة ولا مملولة، نجلاء العينين، رائقة المنظرين، مائسة العطفين.

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ(١)

تَفْتَر عن دُرٍّ منظوم، وتَتَنفَّس عن مسْكٍ مَخْتُوم، سبطةُ البنان، مريضة الأجفان، عنبرية النشر، دائمة البِشْر، صَابرةٌ مُختسبة، قائمة منتصبة، لا تعترض ولا تعرض وتمرض بعدما تمرِضُ.

عذبةُ الكلام، شهيَّةُ الفِدَام، سهلة الهوى، صعبة القياد، كثيرة البلوى، حليفة السهاد، تقيد الخاطر، وتسحر الناظر، وتذيب الأشباح، وتفني الأرواح، وتنحل الأجساد، وتنضج الأكباد، وتورث الاحتراق، وتربّي الأشواق، وتفي بالعهد والميثاق، صادقة الموعد، إلهيَّة المحتد، ربانية المولد، روحانية المقصد، عزيّة المشهد.

إن نظرتَ إلى عباراتها قُلْتَ: عربيةٌ عرباء.

وإن نظرت إلى إشاراتها قلت: سريانية خرساء. قُسِّمت بين ثلاثة أسماء، كما وصف محبوبته في قصيدته بشار بن برد الأعمى فقال:

بِنْتُ عَشْرٍ وثَلاثٍ قُسِّمَتْ بينَ غُصْنٍ، وكثيب، وقمر

- فغُصنٌ للحركة المستقيمة. - وكثيب للمقعدة الكريمة. - وقمر للنظرة السليمة.

أو كما وصفتُ أنا في بعض قصائدي، وفريدة من فرائدي. فجمعت في بيت واحد أربعة أوصاف. فقلت:

بَدْرُ تَمٍّ تَحْتَ دَجْنٍ قَدْ سَمَا فَوْقَ أملُودٍ عَلَى دِعْصِ نَقَا(٢)

---

(١) هذا البيت هو لامرىء القيس ذكره في معلقته المشهورة وأولها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهي من البحر الطويل الذي تفعيلته هي: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن.

ولد المتنبي سنة ١٣٠ قبل الهجرة ٤٩٦٠ ميلادية وتوفي سنة ٨٠ قبل الهجرة ٥٤٤ ميلادية.

والمهفهفة: اللطيفة الخصر الضامرة البطن. والمفاضة: المرأة العظيمة البطن المسترخية اللحم.

والترائب: جمع التريبة وهي موضع القلادة من الصدر. والصقل: إزالة الصدأ والدنس وغيرهما.

والسجنجل: المرآة وهي لغة رومية عربتها العرب، وقيل بل هو قطع الذهب والفضة.

(٢) الدَّجن: ظلُّ الغيم في اليوم المطير. والأملد والأملودة: الناعمة المستوية القامة. والملدان: اهتزاز الغصين. والدِّعص: قُورٌ من الرمل مجتمع، والجمع أدعاص. والنَّقا: مقصور من كثبان الرمل.

فزدتُ سواد الدلال في التّشبيه بسواد الليالي، فدلالٌ لإدلال. وحيدة الدهر، فريدة العصر، يتيمة الوقت، سعيدة الشِخت. شمس طالعة فوق السماء السابعة، جاورها جبريل، واستند إليها الخليل، وأثنى عليها الجليل.

أشرتُ لها بطرفي، ووضعتُ كفَّها على كفِّي، وتنازعنا الحديث، وترنمنا بالقديم والحديث، والناس بها طائفون، والرقباءُ على بابها عاكفون، وأنا وإيّاها تحت ثوب واحد وهم لا يشعرون. فكانت بيننا مخاطبات تأنيس، وقواعد تأسيس، تحوي على معارف روحانية، وأسرار إلهية، ومشارب محمدية، وإشارات أحدية، فسألتني بين الظهر والعصر، وقد قيدتني بنكتة العصر، أن أضم بعض ما أشرت لها به في ديوان وأن أضعه في الآن، فقيدته كما أمرت، ولم أتعد ما به حكمت على حد ما كانت بيني وبينها المخاطبات الروحانية، والأنفاس الإلهية في الحضرة الربانية، ورسل عبيد الأسماء تمشي بيني وبينها بالمخاطبات، وتسري بالمكاتبات، متوسلين في الاتصال الكلي، بالمقام العلوي والسفلي، حتى يقع العموم، ويتضح السر المكتوم فوضعت في هذا الجزء بعض ما تيسر في الحال، وسنح بالبال. فإن المقام جليل، والخاطر كليل، والمحبوب متعوب، والمحب منهوب، والقلب مصطلم، والنار في الجوانح تضطرم، فاقنع أيها السائل بما جرى به قلمي، فإنه ما استقر به قدمي.

والله المستعان، وعليه التكلان.

١ ـ الرسالة الإلهية
تَوسَّل بها عبد ألله إليها، ونزل بها عليها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من محمد بن عبد الله إلى كعبة الحُسْنِ، وروضَةِ المُزْنِ. سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد

الحمد لله والثناء، والصلاة على سر الأنبياء.

فإن زمان الاعتدال قد طل، ووجه غلام الشباب قد نقل، والأرض قد أخذت زخرفها وازّينت، وأنبتت من كل زوج بهيج، قد قابلت الزهر بالزهر، والنور بالنور، فلا تعاين إلاّ حقائق في حدائق، ونغمات في رنّات، إلى فننٍ ميَّاس في رملة ميعاس، وجداول تنساب انسياب الثعابين، بين فراديس الأرواح والرياحين، ومياه تطرد، وطيور تغرد، ونسيم يهب فيميل بالأغصان عِليك، ويسُوق روائح الأزهار العطرية في كفه ليهديها إليك، وقد سرى النعيم في الحواسّ والأرواح، بوجود الذوات وهبوب الرياح.

فذاتٌ لِحِسّ، وريحٌ وروحٌ لروح قدس، فتنبّه أيها الغافل واستيقظ أيها النائم. فقد جاءك النصيحُ بالتصريح، وما قنع بالإشارة والتلويح.

هذه عين قد نظرت إلى بهجتها، وأُذُنٌ أصغت إلى نَغَمَتِها، ويدٌ عطفت فقطفت، ورجْلٌ سَعَت فوصلت، وقَلْبٌ عَشِقَ فلَحَقَ، وعقْلٌ سارَ فَحَارَ، عينٌ مفتونة بلون، وقلبٌ متعشقٌ بكون، وعقل حائر في قضية عين فلا لون انتقل، ولا كون اتحد بذات عاشقة فاتصل، ولا حاكم على وجه الحق عثر في قضية العين فحصل، فلا حبيب تدلّى، ولا محب دنا.

فَعَبْرةٌ تُسكَب، وقلبٌ بنار الأسى يتقلّب. فإن هَمَّ الحبيب بالاتصال وجاد بالوصال، وأذِن بالتجلي، فسترى أيها الطائف خيالك يتصدع، وشامخك يخشع، وآمنك يفرق، وقائمك يصعق، وروضك يحرق، وجديدك يخلق، غيرةً أنْ تبقى عزيزاً لعزّه، أو آمناً لأمنه، أو قائماً لقيُّوميته، أو دائماً لديموميته، فمن شاء أن يلحظ عنفوان

شبابه، ويفوز به من بين أترابه، ويخرق سرف الكم، ويجوز بحار الهم، ويجوب مفاوز الغم، فليعلم أن الفتنة في المئة، والسُّنة في السِنة، والمؤنة في المحنة، فلا بد من تجرُّع كؤوس البلوى، والحنين إلى مواطن الشكوى، وهدّ ركن القوة، ومحق رسم الشباب والفُتوة، واضمحلال الرسم، وفناء الاسم، وتعثر النطق، ودحض الحجة بالصدق.

آهٍ على قوم حُرموا التوفيق، فطلبوا الراحة وأخطأوا الطريق، عليك يا كعبة الحُسْنِ بالحزن الدائم، والهم اللازم، والتلف الكلي في وصال العلي، فما أحسن ذلك الجمال المطلق، والبهاء المحقق، والجلال الأنفس الأعلق. قدمي في مكاني، وجناني في عياني، فأنا النازح القريب، وأنت الأهل الغريب رميت بفنون الشجون، وقيل أنت المثقف المسجون.

ولا عطفة تُرجى، ولا رحمة تُرجى، ولا رأفة تتوقع، ولا فائت يُسْتَرجع، حار والله سري، وطاش لُبِّي في مجاراة الأضداد، ومصادمة الأنداد، والائتلاف بشجر الخلاف، هلا ظل غيرها من الشجر كان، ولو كان النجم بدلاً من الشجر لكان أحسن في نطق الزمان.

وأين الفأل من الطيرة، وأين السيرة من السيرة، باسم الشجر عصى أب الآباء، حتى نودي به في صريح فصيح الأنباء. ذات الجسم والروح، بين الدنوّ والنزوح، والاغتراب والاقتراب، والسكر والصحو، والإثبات والمحو، فلا حالة تثبت، ولا أرض تنبت، سماء تبكي ثم ترفع، وأرض تضحك وقتاً ثم تخشع. أين سرّ الديمومية والثبات، أين ملازمة الالتفات، إلى متى هذا التحول من حال إلى حال، كأنه محال في محال، أواه أواه على حمل الأعباء، واختراق السماء، هلاّ نزل إليَّ ولا اخترقه، هلا طرق بابي ولا أطرقه، إنّا لله على هؤلاء العصاة، ما أجهلهم بشرف الكلمات.

هلاّ نظروا إلى سيدهم قد وسعه قلبي، وتضمنه لُبّي، وهم خُلِقوا من أجلي، وعَرفوا أن ما ثمّ في الوجود مثلي، ما بال الفرصة لا تأتيني حتى أسعى إليها، ما بال الثمرة لا تنزل عليَّ قبل أن أنزل عليها.

يا ليت شعري ما هذه الغلطة، وما هذه الخطّة، تفطّنت للمعنى المراد، والسر الكمين في الفؤاد، لا يتمكن لها أن تَرِد إليَّ، ولا تنزل عليَّ، لجهلها بمكاني، فلا تعرف أين تراني، فمعرفتي بها أنزلتني عليها، وحملتني إليها، ألا ترى الله معنا بهذه المثابة لمّا لم نعرفه لم نرحل إليه، ولا نزلنا عليه. فعرفنا فنزل، واتخذ قلبَ العبد بيتاً

وإليه تنزّل. فلهذا التحقق الإلهي عندنا عرَّفنا الأشياء وما عرفتنا، فوجب علينا السعي إليها والنزول عليها.

يا حكمةً ما أجلاها، وقطرة مُزْنٍ ما أعذبها وأحلاها، لولا الجمال ما اشتهيت المال، ولولا الرَذيلة ما تعشقت بالفضيلة، ولولا النقص ما رغبت في الكمال. لهذه العلة جُهِلَتْ الإشارات، ولم تُعرف العبارات، فإنه أمران فصل وجمع. فالعالم في الفصل، وأنا في الجمع. فكل شيء بالإضافة إلى ما يقابله موسوم، وبرسمه مرسوم. فلولا العلو ما سُمي السُفْل، ولولا الطيب ما عرف التفل، ولولا القشر ما عزّ اللب، ولولا العبد ما علم الرب. فالعلو لا يكون سُفْلاً أبداً.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ١٣٥].

وأنا الذي استوى، وسقط، وطلع، وهبط، وعصم وغلط، وعلا وسَفَل، وارتفع ونزل.

يا ليت شعري: هل فهمت العقول إشاراتي؟

هل سمعت الآذان عباراتي؟

هل عُرف ما وراء هذه الحروف؟

هل عُلِمَ ما حوته هذه الظروف؟

واهاً لسرٍّ مكتوم، ووعاءٍ مختوم.

وبعد:

يا كعبة الحُسْن، ويا روضة المزن. قد ناجيت فيك من أوجدك، وسألت فيك من وحَّدك. إن تصح العزائم فتبتحد الأسْرار، وتصحو السماء فتتقد سُرُجُ الأنوار، فتدرعت الشرفة قائماً، وقمت باسمه الله حاكماً. فقلت:

يا الله بك عَزَّ الذليل، واهتدى الدليل، ولاح السبيل.

نَصَبْت هذه الكعبة، وجعلت القلوب إليها صَبَّة، وأنا أريد أن أصفَ لك حالةً تعلمُها، وصفةً لم تزل حقيقتي تلزمها، لما أُرْخي العنان عنانه، وزخرف الجنان جنانه، وأضحك النور نوَّاره، وجلى طلوع الزهر أزهاره، سطع الجمال في سماء الاقتبال، فتحير البال، واشتد البلبال، وفارت المراجل في الصدور، وأخذت الأسرار في الورود بعد الصدور، وعظم الخطب، وقلَّ العزاء، وجلَّ الأمر، وعمَّت البلواء. فما ترى كل زوج بهيج إلاّ في أمرٍ مريج. فأردْتُ في سؤالك تسكين ما تحرك، وخلع

من تملك، وضالة قائدةٍ تجمع عليَّ، ونفساً جموحة تذعن بالصدق إليَّ، وإعدام ضد يريد عدمي، واستيلاء سلطان يثبت في مودتها قدمي، بمعونة إلهية عجماء، ودعوة سريانية خرساء، تجلُّ وتسمو أن تُعبّر عنه حروف الهجاء، قوية الهمّة، صادقة الضراعة واللجاء.

فإنه إذا بدا اللسان، وظهر البيان، وقام العيان، فأين عزَّة الغيرة؟ وأين سلطان الحيرة؟

كل ما سطره القلم فغير منظور إليه، لأنه لو عشق لكتم وغيرَ عليه إلاّ التعشق الإلهي المطلوب، بين الرب والمربوب، فتلك حالة مجهولة، صحيحة غير معلولة، تنافي هذه الأحوال، وتعز عن درك الإخلال.

يا عجباً! كيف تذاع أسرار المعشوق؟!

كيف ترتب عليه الحقوق؟!

أليس هذا عين المحال والضلال، أحبك وأحبّبك لغيري وأعشقك وأختار لك شري على خيري. هذه مسألة دجالية المكان، نارها ماء وماؤها نارٌ في العيان، ومسألة نبوية في الشبهات **«حُفّت الجنة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات»**[1].

والمقامان ضدّان. بين الكذب والصدق، والباطل والحق، والأمر في العين واحد، عند المشهود والشاهد.

قال الحبيب، ولم يكن في مقام الاكتراث: **«حُبّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث»**[2].

هذه صفة المحبوب لا المحب، ونعت المعشوق لا العاشق. المعشوق في الاختيار، والعاشق في الاضطرار، المعشوق في التمحيص والاختبار، والعاشق في السكون تحت مجاري الأقدار.

الكتمان في المحبة أصل، لكل وجه وفصل، فتارة من باب الاحترام، وتارة شفقاً من الآلام.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، حديث رقم (٢٨٢٢) وابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ذمه نفسه. . ، حديث رقم (٧١٦)، والترمذي في جامعه الصحيح، باب ما جاء **«حفت الجنة بالمكاره»** حديث رقم (٢٥٥٩) ورواه غيرهم.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، حديث رقم (٢٦٧٦) [ج٢ ص١٧٤] والنسائي في المجتبى، باب حب النساء، حديث رقم (٣٩٣٩) [ج٧ ص٦١] ورواه غيرهما.

كما قلت:

عليلُ الجِسْمِ قَدْ هَجَرَ المَنَامَا بِصَاحب خيفة الواشين لاما
يهيمُ بروح قدس لا يُسامي إذا ما أبصر الشعرى تَساما
يقول: أنا القتيل بغير سهمِ وذاتي كُلُّها مُلِئت سهاما
شكوتُ اسم الحبيب إليَّ وحدي وراعيت المودَّة والذماما
وَلَمْ أخْفِ اسْمَهُ حَذَراً عَلَيْهِ وَلكِنّي ابتَغَيْتُ الاحْتِرَامَا

فمهما أراد المحبوب ينطق فباسم الحبيب، ومهما أراد يسمع فكلام الحبيب، وكلما أراد أن ينظر فإلى وجه الحبيب، من نظر إلى غير وجه محبوبه هلك وتلف، ومن سمع غير كلام معشوقه ندم وأسف، حبيبي بل ظلّي بظلك حتى تنهل الدِّيم، خلّق ذاتي بخلوق خلقك حتى تتزكى الشِّيَم.

إلى متى يُقيم الدَّرَجَ في الدَّرْج؟ هذا أوان العجُّ والثجُّ[1]، نفوس تهدى، وإبل تحدى، وضدان مخصوبان، وندّان منصوبان، ورسائل ووسائل، واستماع واستمتاع، ومواسم في مباسم، وتباب في قباب، وثغور في ثغور، ودواهي في نواهي، وقواصم في عواصم، ونواظر في نواضر، فمن غمره الفضل، وسقاه السَّجْل، وصفاه الحب، وتصافاه القرب، وهجره الوعيد، وناقره التهديد، فذلك الذي لا يتصف بعد بالسقا ولا بالظما، ولا بالكدر والبعد، ولا يبرح في حظيرة السعد.

يا كعبة الحُسن: ما أشد وجدي عليك، وشوقي إليك، وسرد في هؤلاء الطوائف، واستغنم هذه الطرائف، فعزيزٌ أن يرى مثلي بربعك طائف، تحقق بهذه المعارف والإشارات، وانظر ما أومأت إليك به خلف حجاب هذه العبارات، واسنح بها على ذاتك، وادّخرها بعدي لبناتك، أليست السلطانة بها بعدك أولى، أليست السلطانة بميراثك أجدر وأحرى، بالله وحياة الحب هل يستوي العبد والمولى، فعليك بالتسليم لما أورده عليك، وواجب عليك أن تبلّغ ما أُنزِلَ إليك، ولا تسلْ عن العلة والسبب، فقد تميزت الرتب، لمَّا قُسِمَتْ وعُرِفَتْ النَّسَب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وهي فيهم وهم فيها وهم لا يشعرون، فهم الجاهلون وإن عقلوا والصمُّ وإن سَمِعوا، والعُمْيُ وإن أبصروا، والخرسُ وإن أفصحوا. كم من لسان عجمي قلبه عربي، وكم من لسان عربي قلبه أعجمي ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: ٢١].

(١) العجُّ: رفع الصوت بالتلبية. والثّج: ذبح الهدى وسيلان دمائها.

فديت يا كعبة الحسن قلباً يفهم إشاراتي إليك، وإيمائي ومقاصدي وإيحائي، ويُبين رمزها، ويفك معمّاها، ويحل لغزها، طلسمات سيمياوية، وتنبيهات كيمياوية، هذه المناهج قد أنهجتها، هذه المعارج قد أبهجتها.

أين من ينهج فيرى؟ أين من يعرج بقلبه إلى السماء؟

هذا البراق عند الباب، هذا جبريل ممسك الركاب. هل من همّة محمدية قد ورثت ورثاً كلياً؟ هل من عزمة صمدية قوية قد نهجت منهجاً عقلياً؟

هذه المعاني في المغاني، هذه الأرواح في الأرواح، هذه الحقائق الجسام في الأجسام، ما أعذب اللثم والعناق عند العشاق، ما أطيب رائحة المحبوب، ما أشد فرح من جاد عليه دهره بالمطلوب. قطفنا من أغصان شجر الحب، وكنا في حدائق القرب، وأخبرنا عن المحبوب بما تحصل لنا من العلم الموهوب، وجرينا إلى الغاية التي أرادها، وأمطرنا بالسحابة التي ألقت علينا أكبادها، وأنبأنا عن غاية الابتداء، وأمّلنا ما رأينا في الانتهاء، وغنّينا بقريض الازدواج، فأظهرنا السلوك والأساورة والدمالج والإكليل والتاج، فسَمِعنا عتاب من قصدناه وفهمنا منه ما أردناه، فأخذنا خاتم الملك، واستوينا به على الفُلْك، وتعزّزْنا بعزّه، واشتهرنا بحكمته، وأجبنا دعاء من دعوناه، واعتقدنا دين من اعتقدناه وسرْنا تحت لواء حمده، إلى جنة صدق وعده، وصرخنا في مجلس سماعه، وتلذذنا بحُسْن إيقاعه، وابتغينا رضاهُ إذ توخّيْناه، وسحبنا زلال برد من أحببْناه، وتقلبنا في بساط من رجوناه.

والله سبحانه يؤيدك يا كعبة الحسن في كل حال. ويحول بينك وبين المحال، ويصفي سرّك إليه، وينزل بك عليه، وهذه حالة تُشتهى ولا تدرك وتُعلم ولا تُملك.

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته.

٢ ـ الرسالة القُدُسية
توسّل بها عبد الحي إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الحي محمد بن علي إلى كعبة الحُسْنِ وروضة المُزْن. سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حمد الله حقّ حمده، والصلاة على سيدنا محمد نبيّه وعبده:

فإن تعجُبي في حق المحب من الشكوى، أعظم من تعجُّبي مما حلَّ به من البلوى. فإن المحب مشغول بلذة حُبّه فأين الألم، ومن لم تكن هذه حاله في الحب فليس له فيه قدم، الألم مع الإحساس والمحب مخدور، الضراعة مع العقل والمحب معتوه مقسور، أين أنت من المثل السائر في النقل، ولا خير في حبٍّ يُدبَّر بالعقل.

وهذه «ليلى» وقفت على «قيس» فقال لها: (إليكِ عنّي فإن حُبَّك شغلني عنك).

وكان يمشي عرياناً لا يواريه شيء فلا عقل ولا إحساس، وكُنَّا نقول بالموت فيه لولا الأنفاس. كيف يشكو من لا يعقل؟ كيف يألم من غمرته اللذّات؟

أما علمت أن شهوة الحب أعظم من سلطانه، وإن شبهتها أقوى في الصورة من برهانه، ما هذا إلاّ توهم بعيد، استحكم سلطانه على قلب العاشق الوحيد. ما أحسن هذا الشأن لو ظهر ولو بالنقل، ما أبدعه لو خرج من القوة إلى الفعل، لكن العقول قد أعجبت بمداركها الفكرية، والبصائر تائهة بتصاريفها العقلية، والأذهان محجوبة باستنباطاتها الزكيّة، لو عقل العقل أنه معقول، وعلم العلم أنه معلوم، وبصر البصر أنه مُبْصر، لذل الكل تحت القهر، وغرق الكل في لُجج هذا البحر.

يا كعبة الحُسن: هل نظرت في شأنك كيف سوّاك؟ حتى انهدت أركانك وقواك. كيف لم تكن شيئاً ثم كنت؟ كيف لم تبنِ ثُم بنت؟

وقفت على الآيات التي أنبأت عن حقيقتك، وأوضحت لك معالم طريقتك.

أين أشعارك وإحساسك؟ أين بحثُك والتماسك؟

تأتي إلى عارفٍ مثلي تدخل معه في اللُّجَج[١]، وتتوسط معه الثبج[٢]، وتبدي له الشُّبَه في صور الحجج، وأنت لا تفرق بين العاج والسَّبَج[٣].

أتظن أني لا أعلم بمُقامك ومقامِك، ألست من اليسار، ألست الضلع الأعوج الذي إن أردت تقويمه تسارع إليه الانكسار، لا يصح لك أبداً الاعتدال، ولا تنتقل من هذه الحال، أجبني إن كنت صادقة، خاطبني إن كنت ناطقة، ما بالك خرساء عن مجاوبتي، ما بالك عجماء في محاورتي، أنا الحي الذي خلقت مني ثم شاركتني، حتى كنى بك عنّي، أنت جزئي وكلي، فيك يا عجباً الكل في الجزء حقيقة ترميها

(١) اللجج جمع لجة، ولجة الأمر معظمه، ولجة الليل ولجة الظلام: شدة ظلمته وسواده.

(٢) والثَّبَجُ: وسط الشيء وفي الإنسان ما بين الكاهل إلى الظهر.

(٣) السَّبَج: خرز أسود، دخيل معرب.

العقول، لولا الخبر المنقول، وهذه إشارة بينك وبينها سبعون ستارة، فارفع الستور، وسح على نفسك من أجل النور، فإنه محرق ذاتك، مذهب صفاتك، فإن وقفت بعد الكشف على الإحاطة، فقد دخلت بساطه، وإن عجزت عنها فاعلم أنك فيها منها. فانظر أي المنزلتين أشرف، وأي المقامين ألطف، وأي المحبوبين أظرف.

لا تقابل حياته إلاّ بموتك، ولا عزّه تقاومه إلاّ بذُلك، فإنك لا ترى عِزّه بعزّك، ولا حياته بحياتك، فإن [بيان] الرؤية من طريق الفيض، وأنت مستغنٍ عنه، فكيف يأتي بي إليك بشيء منه، لا تقل قد علمت العوالم، ورتبت المنازل والمعالم، وفصّلت بين طبقات الكون، وتحققت بحقائق العين، كل ذلك هباء في جنب ما غاب، وخبيث في حق ما طاب.

لله علمٌ يتعالى عن الإشارات والعبارات، ويتسامى عن الإدراكات والإحاطات، على ذلك العلم فابحث، عساه في روعك ينفث، تشهده ولا تعبر عنه، وتجده ولا تقدر تخرج منه، يحكمك ولست تحكمه، ويعجمك ولست تعجمه، إذا حركت رياح أسبابه الشمس الفصحى بالمقال، تصدعت لها شامخات الجبال.

هذه عبارات الأسباب، من خلف سبعين ألف حجاب[1]، فكيف لو بدت السُبُحات، ما بقيت - كما ورد الخبر - المبصرات[2]، فلا علم إلاّ عن عين، وعد عن كل كون، فإن الكون يحول، والغير ينتقل ويزول، وكعبة الحُسْن سيدي باقية مستحيلة الفناء، لأنها الكل من غير توهم الأجزاء، بل إحاطة لفظية، ولفظة حفظية.

كم دمع عليك مسفوح!

كم قلب عليك مقروح!

آه لشوق مزعج، وكبد بناء الهوى ينضج. هذا علم البرزخ ماسك الطرفين، ومالك الأمرين، الفاصل بين الضدين؛ كالخط الفاصل بين الظل والشمس، والمعنى الرابط بين العقل والنفس.

---

(١) يشير إلى قوله ﷺ: «**دون سبعون ألف حجاب نور وظلمة وما تسمع نفس شيئاً من حس تلك الحجب إلا زهقت نفسها**» (مسند أبي يعلى حديث رقم ٧٥٢٥ والمعجم الكبير للطبراني حديث رقم ٥٨٠٢).

(٢) يشير إلى قوله ﷺ: «**إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور - وفي رواية أبي بكر - النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» (صحيح مسلم حديث رقم (١٧٩) باب في قوله عليه السلام: «**إن الله عز وجل لا ينام...**»).

انظر إلى هذا التعشق الإلهي، وهذا التحقق الاعتصامي، نقِّ سرّك عن كل كدر، وطهّر جوارحك من كل دنس، وأزل رَمَدَ الغفلة من جفنك بكحل الانتباه، وغِبْ بكُليتك فيَّ عن ملاحظة الأشباه.

إن أردت أن تحصّل هذا العلم الذي تلوناه عليك، وأنزلناه إليك، تضرع إلى ربِّ السماء في تحصيله، واسأل إله الأسماء في أن يوفّقك على تفصيله، وإياك أن تسأل منه الجمع فتعمى، وتحصل في دجنة ظلماء، حيث لا ظل ولا ماء، فإن معرفة التفصيل تجمع وتحصل، ومعرفة الجمع لا تفصّل، فتبقى الحيرة على أصلها لما لم تتحقق بفصلها.

وقد نصحتك فأبلغت، ودعوتك فأسمعت، فأجب الداعي، بالسمع الواعي. فقد آن الاندكاك، وقرُب الهلاك، وضاقت السماء بالأملاك، والاستواء بالأفلاك.

يا كعبة الحُسن:

قل لرقبائك نور وجهي عليَّ رقيب وأنتم لا تشعرون، ما لكم لا تبصرون، أَعُميتْ أبصاركم، أطُمِسَت أنواركم، ما لكم تحسدوني على عارفٍ هيمّه جلالي، وتيّمه دلالي، وسحره غنجي وجمالي وتيّهه كمالي.

أنا الكعبة؛ التي خضعت إليَّ رقاب الجبابرة؛ وعنت لقيوميتي وجوه الأكاسرة. كم تاج من على رأس صاحبه أسقطته، وكم ثوب من على ظهره جردته، من الذي يجرؤ أن يدخل حرمي محلاً، أو يتخذ بيتي محلاً.

ألم تروا إلى المتألهين حين رأوني قد زالت معالمهم، وإلى الأوابين قد انتقضت عزائمهم، وإلى الأواهين قد انقضت صرائمهم. أين التائه في حيرته؟ والواجد في سكرته، والهائم في غمرته، والواله في نفرته، والمناجي في صلاته، والراتع في غلياته، والمطمئن في إشاراته، والموقن في آياته، والبالغ في عباراته، والعارف في إشاراته، والمتفنّن في كناياته.

ما لهم إذا أبصروني ذُهِلوا، وبالطواف بذاتي شُغِلوا، هل ذاك إلاّ لسِرٍّ اختصصت به على أبناء جنسي، وأودعه الحق في نفسي. فكم يغار الرقيب، وكم يروم أن يطفىء هذا اللهيب، من قلب كل حازم لبيب، أسمعت القلوب الإلهية ندائي فتغاثت، وأبديت لها حجابي فطاشت، وأسفرت لها عن ظاهر وجهي فتلاشت. فكيف لو تجلى لهذه القلوب من أسرار حسني المعنوي، وجمالي العلوي، وهي بهذه المثابة والمكانة، من المقام العلي ما عرفت رسوم ديار، ولا ندبت أطلال ولا آثار، فاعتبروا أيها العارفون في جمالي، وإقامتي على اعتدالي.

وإيّاك والغيرة أيُها الرقيب الحسود، فإن حسرتها عليك تعود، فجمالي مبذول لكل عين، وسحني متجلٍّ في كل كون، لما تنزَّه أن يدرك، وتعالى أن يملك، لم أُبال بما ظهر منه للبشر، فإنهم ما يقبلون سوى الحجر، من رأيت قط منهم غاص في بهمته، وسار في كلمته، ما منهم أحدٌ يزيد على أن يستلم وينصرف، ويعتدل ساعة ثم ينحرف، والعارف منهم غايته أن يقر بالعجز ويعترف.

ألم تر إلى رسول الله ﷺ في بعض الحركات قد وقف عند يميني، وقال لبعض أصحابه: «ها هنا ينبغي أن تسكب العبرات»(١).

أترى ذلك سدى، أترى مبلغ ذلك مدا، فما لك والحيرة ولباسك رداء الغيرة، الله قد هتك ستري وأخفى عنهم سري، فيدورون بمعاهدي على حكم العادة، وغاية الحاضر منهم طريق العبادة، ولا يلحظ أحد منهم ما تحصل له في معناه عند طوافه بي من الزيادة. أثبت الناموس الأخشاب والناقوس، وبئس الجاسوس، الغراب أو الطاووس، يُتبع ليرى، وحسد وافترى، وأتى في حديثه بقاصمة الظهر، وقارعة الدهر، فأفٍّ لها من عسرة، وتعساً لها من غِرّة. أين هم من نعت الصادقين، وصفة المخلصين، حالة حولا، وعين عورا، دجال تائه، على معنى يسير تافه، بئست ألوهية لا تدوم سوى أربعين ليلة. ويْلها من حالة وويله، ولكن مُدِح أيوب بالصبر، وداود بالشكر. فترادفت البلوى، وقيل إياك والشكوى.

فتراني صابرةً على دعواهم، سامعة في كل حالة نجواهم، قد سودوا يميني بخطاياهم، وكانت اليمين البيضاء، وأبلوني وكنت الجديدة الغضا، والله لأصبرنّ على ما قضى، حتى أحوز الرضا وأستعذب المرّ في جنابه، واستسهل الصعب رغبة في اقترابه، حتى أفوز وأجوز، وأحصل وأحوز.

فديتُك يا كعبة الحُسْن:

لقد وبَّخت الرقباء، وسفهت الحكماء، وجهّلت العلماء، وأعييت البلغاء، طبت وطاب كلامك، ودمت ودامت أيامك، أذهب الله وصبك، وأراح تعبك.

والسلام المعاد عليك.

ورحمة الله وبركاته.

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب البكاء عند تقبيل الحجر الأسود، حديث رقم (٢٧١٢) والحاكم في المستدرك، أول كتاب المناسك، حديث رقم (١٦٧٠) وابن ماجه في سننه، باب استلام الحجر، حديث رقم (٢٩٤٥).

٣ ـ الرسالة الاتحادية
توسّل بها عبد العليم إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العليم محمد بن علي إلى كعبة الحسن، وروضة المُزْن. سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته. أمَّا بعد حمد الله الأتمّ، والصلاة على سيدنا محمد الأقدم.

فإن سر الاتحاد مجهول في الأشباح، معقول في الأرواح، إذا انضم الحبيبان في الثوب الواحد، وتلاصق المتيمان بحكم الشاهد، وتعانق الشكلان تعانق اللام والألف، وارتبطا على السرِّ الذي لا ينكشف، وأداما التعنيق وامتصًا الريق، فانحدرت رطوبته الشهية إلى المعدة الغيبية، وامتزجت مع الرطوبات التي منها القبلية، ودفعتها إلى بيت الكبد، المودع في الجسد، واختلطت رطوبة ريق المعشوق بأجزاء الدم، وانتشرت بين الجلد واللحم، وفي العروق.

فكانت منها حياة ذلك الجسد، وعمارة ذلك البلد، فإن روح الحياة بخار لطيف، له سريان شريف، ينحل من رِطوبة الدم، وينشتر في جميع أجزاء الجسم، به تكون الحياة في هذه الأشباح، وهو المعبر عنه بالأرواح، ومادته من الاستنشاق الهوائي بالقوة الشمّيّة، لترويح الحرارة التي في القلب الغريزية، فلولا هذا التبريد لوقع التبديد، وكذلك إذا تنفس الحبيبان مكافحة، وتنهّدا مناوحةً خرج مع ذلك التنفس شيء من نسيم الروح، فاختلط بأجزاء الهواء، فدخل إلى خياشيمهما على السواء، فسرى في أجسامهما علواً وسفلاً سريان النور في البلور، على طريق الرئة والحلقوم إلى القلب، والتحق بعالم الغيبْ، فدب مع النبض والعروق الضوارب، واختلط بالدم واللحم في جميع المضارب، فانعقد في بدن هذا ما تحلل من بدن هذا، فصار له روحاً، والجسم له ضريحاً.

ولما كان الروح الذي هو الحياة أحب شيء للإنسان، فصار هذا المعشوق أحب شيء إليه في الأعيان، لاتحاد أرواحهما في الجثمان، وإلى هنا انتهى عقل العقلاء، ونظر أهل المودة والصفاء، وما قدر منهم أحد أن يزيد عليه معنى يحقق به قوله ودعواه، فإن الاعتراض منوط بفحواه، فزدنا بحمد الله عليهم في المسألة إيضاحاً، وجعلنا له الإشارة عنه مفتاحاً:

فاعلم أن النفس والريق إنما يجريان بحسب ما استقر في القلب استقرار الاستفراغ، وانتهى فيه غاية البلاغ، فحينئذٍ يكون ما قالوه، ويظهر ما أخبروا به وسطروه كما حُكي عن الحلاج: إنه انكتب من دمه اسم المحبوب. وكذلك زُليخا: حين فصدت وقع دمها في الطست يوسف بن يعقوب.

فالذي يكون في القلب يتزايد كائناً ما كان حتى يذهب من الأذهان. ويا عجباً! كيف غفل عن هذا المعنى أصحابنا وهم أهل تدقيق وتحقيق.

فهذا يا كعبة الحُسْن.

قد كان بيني وبينك فقد اتحدت أرواحنا، لما تعانقت أشخاصنا، أتذكر إذ لثمت يمينك الغرّاء في الهاجرة، وأنت لي كالمحبة الهاجرة، فانفتح يمينك حتى التقم الشهادة التوحيدية من نفسي، وزفرت عند ذلك فكاد يحرقك قبسي.

فالحمد لله الذي وحدني بك ووحدك بي، وصرت مني كأمي من أبي، هي ذاته وهي أهله، هي بعضه وهي كله، لكن يا كعبة الحُسْن.

إن الله سبحانه بلطيف حكمته، وغريب صنعته، خلق أعضاء تكليفك، وفرّق بين لطيفك وكثيفك، وجعل في كل كثيف أمراً، وفي كل لطيف سراً، فإن أبقيت نظامها على الوضع الإلهي، والتناسب الربّاني فأنت المالك، وإن لم تجرها على وضعها، وخلطت بين ضرها ونفعها، والتبس عليك تثنيتها بجمعها فأنت الهالك.

هيهات ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] وكأني بك قد بلغت المدى، اجعل العالم شهداء لك لا عليك، وشاردين من كل أحدٍ إليك، عشقهم بذاتك عشق من لاح له من ذلك علم النجاة، وشوقهم إليك تشوق من لاحظ الفوز في تحصيل الدرجات، فامتطى بعملات الأعمال، ورقص به الآل، وواصل البكور بالآصال، رغبة في المشاهدة والوصال.

إيهِ يا قرة العين، ويا حلب الكبد، أصبحت مني كذراع من عضد، أزِغني سمْعَك، وهَبْني جمعك.

خرجنا يوماً إلى السياحة في فلوات المعاني، وتجردنا للسباحة في بحر المثاني، فلقينا قوماً جدُّوا للبغية، وكدُّوا لتحصيل المنية، وتحلوا بأسنى حلية، فتاهوا في تيه

الخشية، فنالوا الرضا بالإنضا، وحازوا الجد بالجد، نظروا بنور الله فأدركوا، ونطقوا بذكر الله فتملكوا، وقدّسوا نفوسهم من درن المخالفة، فخولفوا وعاينوا ملكوت الحقيقة الإلهية فعموا فضوعفوا، واعتمدوا على قدم الصدق اليونسي فاطمأنوا، وامتلأت جوانحهم بسرائر العشق فبدا عليهم ما أكنوا، ترادفت عليهم المنن الربَّانية فلم تبق فيهم متسعاً للطمع في غيرها فعصموا، زهوا بخدمته بين عبيده لما اصطنعهم لنفسه فحكموا، خالط حب المنزل بشاشة قلوبهم، فما عالجوا ولا عرّجوا، فنودوا فتلذذوا. فقيل لهم: ادرجوا. فما درجوا.

واعجباه. من مخالفة توجب قُرْباً، وحسنةٍ موافقة تورث عُتْباً، جاءوا فخصبوا، حزنوا فلعبوا، تمسكنوا حتى تمكنوا، تملقوا حتى تحققوا، توسلوا حتى تواصلوا، وحّدوا حتى اتحدوا، أنِسوا فلم يستوحشوا، استعملوا الأقدام إليه، فنزل بهم عليه، فلما كشف لهم عن وجهه، لم يروا سواهم فهم العبيد والموالي، والأسافل والأعالي، نفسي الفداء لقلب يفهم، أو سر يعلم، للدهر حوادث ومصائب، وسهام ماضيات صوائب، لكن منها سهام تُبْصَر فتُتقى، ومنها سهام معنوية ترمى بها القلوب من قسيّ المكر فلا تتوقى، فموقع مثل هذا السهم لذيذ في الحال، فظيع المرارة في المآل، فإن سهام الرزايا إذا رمي بها عن قسيِّ المكر لا يظهر فيها شيء من النكر، فالحكم للوقت، فإما بالبخت، وإما بالمقت، شمس تدور، وقضاء في ذلك الدوران يغور، تصاريف الأقدار رسالات رسل الليل والنهار، بياض وسواد، شقاء وإسعاد، رسولا أضداد، البغية فيهما مجهولة، وكلمتهما عند الله مقبولة، لأنهما الأمينان على كل ذات لما نصبت، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، فليل لجنّة في الدنيا والقصوى، ونهار لسعير في الآخرة والأولى هما اللذان يأتيان بالكسب، ويوبخان بالعتب، ويستدرجان بالنعم المشوبة، ويُعرفان بأنها المطلوبة، فلا تلتجي لاستغنائها وتريد من مولاها أن يحط بفنائها.

إلى هذا انتهى أمر هذه النفس الخسيسة، الكريمة الرئيسة، تأملت سر الاتحاد في الليل والنهار، الليل هنا لباس وعذاب في دار البوار، والنهار هنا عذاب ونعيم في دار القرار، والنفس في هذا كله لاهية، ليس لها لما أورده عليها أذن واعية، ما أسرع ما تلحقها الرزايا، وتختلسها المنايا، وتحيط بها البلايا، وتجرعها الغصص، وتكون أشأم مفترض يفترس فلو عرفت حقيقة نفسها، لفرقت بين يومها وأمسها، وعقلها وحسها.

أما علمت هذه النفس أن لها ثلاث قوى في ست حضرات تتصرف تحت حكمها، وتمشي على مقتضى علمها، قوة ناطقة حضرتها الدماغ ولها فيه منازل، على عدد النوازل، يحفظها في اللفظ، الخيال والفكر والحفظ، والخيال في مقدم الدماغ لتلقي المحسوسات، والفكر في وسط الدماغ للتمييز والترجيح في القضايا والحكومات، والحفظ لصون ما حكم به الفكر في القضيات، حتى تمس الحاجة إليه فتلقيه بين يدي الحاكم، هذا حكم له لازم، فالفكر حاكم محقق، والخيال شاهد مصدّق، والحفظ أمين موثّق.

فهذه القوة الناطقة بكمالها قد تميزت، وفي صدر موكبها قد تبرَّزت، فهي السيدة السلطانة.

وأمّا القوة الثانية فهي القوة الغضبية، وحضرتها القلب، ولهذا لها الاسم الرب، وهي لهذه الناطقة أجناد الاستعانة.

وأمّا القوة الثالثة فهي القوة الشهوية، وحضرتها الكبد ولهذا لها تدبير الجسد، وهي لهذه الناطقة رعية الاستكانة.

فإذا جَرَوا على ما أُهِّلوا له بالحدِّ الموضوع، والعهد المشروع، والتصرف المعبودي الحكمي فازوا وربحوا، وإن عدلوا عن هذا الحد الأمري، إلى الحد الإرادي، ونزلوا بالحكم الاختياري، الإلهي من جانب الغرض النفسي خابوا وخسروا **«فمن عرف نفسه عرف ربه»**، ومن عرف الله عرف قلبه، فكن مع الرب لا مع الله، فربي وإن كنت مع الله فمن كونه ربًّا، فإن ذلك رحمى الأبد، ونعمى الخلد.

ثم لتعلم يا كعبة الحُسْنِ الفائق: أن في الوجود نكتة غابت عنها عقول كثيرة، وعمي عنها كل بصر وبصيرة، وذلك أن الإنسان إذا كان في شيء لم يرَ حقيقته ومعناه، وإذا صار عنه أجنبياً رآه، والنفس إذا التبست بشهوتها وغرضها، وتعشقت بعلّتها ومرضها، لا ترى سوء ما هي فيه ولهذا تصطنعه وتصطفيه.

قال تعالى موعداً ومبيناً: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فاطر: ٨].

فإذا كنت أنت المكلف يوماً ما بذلك الأمر سواك، هل يستوي عندك من أطاعك فيه ومن عصاك، فإن أتى ما نهيته عنه أن يأتيه وتحاماه، أو عصى ما أمرته به وأنت تراه، هل كنت ترى فعله ذلك إلاّ عيباً عظيماً، وجُرْماً جسيماً، وعدم احترام،

وطرح احتشام، ولا سيما وأنت تعلم منه أنه يعلم أنك تراه، ويتخاذل عليك ويجرؤ، وقد علم أنك فاضحه في أولاه وأخراه. فاستوجب عندك العقوبة أو العفو على حسب ما تريد به من عافيتك أو بلائك، بما تسلطه عليه من أسمائك، كذلك أنت مع ربّك، في عالم حِسِّك وقلبك، فانظر إلى ما يستقبحه الشرع فاجتنبه، وإلى ما يستحسنه فبادر إليه وامتثله، ولا يغرنّك غدّار، مدخول النصيحة غرّار، فعليك باتباع العلم، والاستسلام للشيخ فيما وجّه عليك من الحكم، وطهارة النفس ومحاسن الأخلاق وجميل الوفاق، واقبل قولي، وعد عن فعلي، فإن العصمة مطلوبة إنما هي في النطق، وإيراد الحق، على وجه الصدق، فإني وإن عصيت فلا آمر بالعصيان، وإن تخاذلت فلا آمر بالخذلان، فإن ذلك يرده الإيمان.

وهذه رسالة علمية عملية اتحدت ذاتها بصفاتها، وغاب نورها في ظلماتها، روحها في جسدها مستور، وظلامها قد احتوى على النور، فمن انسلخ من هذه السدفة، وصعد أعلى الغرفة، رأى النور يسري في فلكه وزمامه بيد ملكه، فتشرق عليه الأنوار، وتتهتك له الأستار، وتبرز له الأسرار.

جعلنا الله وإيّاك يا كعبة الحُسْن مِمَّن علم فعمل، وسافر فوصل، وأحب فبلغ الغاية والأمل، بمنّه، والسلام المُعاد عليك. ورحمة الله وبركاته.

٤ ـ الرسالة السريانية
توسل بها عبد الشكور إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الشكور محمد بن علي إلى كعبة الحُسْن، وروضة المُزْن سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته. أمَّا بعد حمد الله الذي كلَّم موسى تكليماً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم تسليماً.

فإن القانص خرج يبتغي صيداً، وقد أبطن له كيداً، فأرسل على الصيد نداه، فأجابه صداه، فواجه صداه صيده، وما عرف أنه أبطن له فيه كيده، فرجع إلى مأمنه فرّ، فوقع في الحبالة وتوسطها فكأنه فيها بدرٌ أحاطت به هالة، هكذا فعل الحق في شرعك، مع أصل وضعك، ناداك في سرّك، فأجابه الصدا: من شرعك.

ففررت أمام الخطاب إلى سرّك، فوقعت في يد ربك، فأخذك وقيّدك وسدّدك، هل فعل هذا إلاّ لحبه فيه، فيجتبيك، ويصطفيك، ولهذا أشار من ليس في إشارته مُفتون: «استفت قلبك ولو أفتاك المُفتون»[١].

فلما قيّدك بالمودة، وأخذ عليك العهدة، أضرم نار الشوق إليه، في صدرك، ورفع لك عنده أعلام قدرك، ولطف سرك، لابتغاء أمرك، ووضع وزرك لخفة ظهرك، وشرح صدرك لرفيع ذكرك، وسخر لك البلاد والعباد، وخرق لك في سرائرك المعتاد، وقيض لك في كل وجهة المراد، وأراك غايات الحالات، ورفع الستر بينك وبين ما فيك من الآيات، وقال لك أنت التاج ومن سواك النعل، وأنت الفاعل ومن سواك الفعل، فكنت السميعة المطيعة، فلم تتخذ الشكوى موطناً، ولا تجنيت على من أحبك مُخلصاً، وما تكاسلت عن بلوغ الأمد الأقصى، لاستشرافك عليه من منازل الأقصا، أرغبت في سعادة الأبد، فزهدت في كل أحد، لبست حالة صحيحة سوية، وثقة محكمة قوية، وعادة صالحة مُرضية، وقارنت عالماً خرّيتاً[٢]، وهمة عالية، ويقيناً جَزِماً فثبتك تثبيتاً، اعتصمت من الفتن الغالبة، وعزمت عزائم أهل الهمم قاطبة.

فأنت الروضة الغنّاء، والسماء الزهراء، وثبت على الأمور الهائلة وثبة الأسد الضاري، وألفت المفاوز في طلب المفاوز والبراري، اعتبرت صحيحاً، فوجدت الخطيب فصيحاً، والواعظ نصيحاً حننت عند الغروب، حنين الغريب، ألقيت أمرك بيد الأمر فاسترحت، وجئت بين يديه وما برحت، تصرفت عليك ضروب التحكيم، فقابلتها بالتفويض والتسليم، تنزهت لما تنزهت، وتقدست لما تدنست، وانتسبت كل

---

(١) رواه الدارمي في سننه، باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، حديث رقم (٢٥٣٣) وأحمد في المسند عن وابصة بن معبد الأسدي، حديث رقم (١٨٠٣٥) ورواه غيرهما ونص رواية الإمام أحمد هي: عن وابصة الأسدي قال عفان: حدثني غير مرة ولم يقل حدثني جلساؤه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه فجعلت أتخطاهم فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ فقلت: دعوني فأدنو منه فإنه أحب الناس إلي أن أدنو منه، قال: «دعوا وابصة، ادن يا وابصة» مرتين أو ثلاثاً، قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه فقال: «يا وابصة أخبرك أو تسألني؟» قلت: لا بل أخبرني، فقال: «جئت تسألني عن البر والإثم» فقال: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري ويقول: «يا وابصة استفتِ قلبك واستفتِ نفسك» ثلاث مرات «البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك».

(٢) الخرّيت: الدليل الحاذق بالدلالة.. وإنما سمي خرّيتاً لشقه المفازة.

حقيقة منك إلى اسمها، فوقفت على حقيقة رسمها، هذا طربك على الغيب بآلة السماع، فكيف حالك بالقرب والكشف والاستمتاع، خفيت الإشارات في العبارات، واندرجت الغيابات في الحكايات، وألمّ المرض فعظمت الكربات، وطالت الوحشة فتضاعفت الحسرات، وتوالى الوجد فترادفت الزفرات، التفت الغريب إلى وطنه فحن وتذكر مشهداً كان له به، فإن نظر إلى بواره في غربته وخساره، وهلاكه في غيبته ودماره، هلك والله قلب تاه بين الصدر والورد، ونفسٌ جالت بين البغض والود.

عجبت لناصح غش، ولمالك أهلك، ولمصلح أفسد، ولعزيز آذى، ولقوي كاد، معاملة لا يقتضها منصبهم، ولا يرتضيها حسبهم، ولكن ثم رموز وأسرار، غطى عليها إقرار وإنكار ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧، ٨].

من لم يصل إليك إلاّ بك فأنت أوصلته، وما وصل، ومن انفصل عنك لك فأنت فصلته، وما انفصل ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

فالأصم هو السميع، والبصير هو الأعمى، حكم الحاكم العالم، متى أدبر النهار من هاهنا، وأقبل الليل من هاهنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم، واغتمت الظلمة فاستترت العوالم، فبقيت تخبط بغير دليل، ولا رؤية سبيل، ولا قمر يبدو، ولا حادٍ يحدو، ويلي عليك وويلي منك، يا رجل لا راحة معك، ولا راحة دونك، يا أمل.

هيهات حق وجب، ورهن غلق، وشمل تصدّع، وعقل حار، وقدم زلقت، وعدم ثبت، وسقوط حصل، ولم تبق إلاّ صبابة، ويعرف الإنسان ما أصابه، وفي تلك الصبابة جماع الأمر وملاكه، وقوام الشيء وهلاكه، فهي لما عمل فيها، وهي لمن يصطفيها، وعلى من يزدريها، وقد علمت أن الحق قال لأبي يزيد، وقد توسط بحر الاضطرار، وطاش لبُه وجار، تقرّب إليّ بما ليس ليّ؛ الذلة والافتقار. ثم ضاعف له المقال في الحال: اترك نفسك وتعال. فاضرع إليه بأسمائك، والجأ إليه ببلائك، فإن خلعته عليك أسماؤه، ومنزلتك عنده أنباؤه، فإذا دخلت عليه بخلعته فماذا يخلع عليك، وإذا نظرت إليه به فكيف ينظر إليك، لا يصح أن يجرد عنك خلعته، وقد لبستها مسروقة، واتخذتها معشوقة، وتخيلت أنك بها تنجو، ولذلك كنت ترجو. ألاّ تراه يناديك في عذاب الجحيم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩].

فلو خلعها عليك بنفسه، لأمِنتَ من بأسه، فعدّد عليه نعمه، ووجّه إليه كلمه، وقل له في غياهب الدياجي المظلمة بالألسن المعربة والمعجمة:

- يا ألف التأليف، - يا باء التَّبوُّء اللطيف.
- يا جيم الجود المطلق، - يا دال الدلال المحقق.
- يا هاء الهوية الغرينة، - يا واو الوصية القريبة.
- يا زاي الزيادة المطلوبة، - يا حاء الحبّة المحبوبة.
- يا طاء الطوية الثابتة، - يا ياء اليتيمة الفائتة.
- يا كاف الكمال الذي لا ينقص، - يا لام اللوْم الذي لا يُنغص.
- يا ميم المجد الذي لا يدانى، - يا نون النور الذي يتوارى.
- يا صاد الصدق الذي لا يقصد، - يا عين العين الذي لا يُشهد.
- يا فاء الفال النبوي، - يا ضاد الضرب الوحي.
- يا قاف القوة التي لا ترد، - يا راء الرؤية التي لا تحد.
- يا سين السناء الذي لا يسفل، - يا تاء التمام الذي لا يُفصل.
- يا ثاء الثبات الذي لا يتزلزل، - يا خاء الخيف الذي قد تسهل.
- يا ذال الذلة المعبَّدة، - يا ظاء الظلالات الممددة.
- يا غين الغان العاصم، - يا شين الشوب القاصم.

أتراك تعرّيني ثوب الإيمان بعدما كسوتنيه، أتسلبني الإحسان بعدما وهبتنيه، ما أنت عندي من أهل البدا، ولا أعتقد ذلك فيك أبداً، كم طال عذابي بالمطال، حتى صال فؤادي بالوصال، كنت لي هادياً فتبعتك، وحادياً فما سبقتك، غنيت لي بالقرآن فسمعت، فوجَدت، فزهزهت، وخولطت فتأوهت، فطلبت الخروج إليك من هذا التركيب، فجذبتني فيه، فنظرت فإذا بالحبيب، أأثراً بعد عيان، أكفراً بعد إيمان.

عَجَباً لنشأة إلهية، مثلية، ملكية، بشرية، علوية، سفلية، تدرج بين عافية، وعلة، وكثرة وقلة.

يا كعبة الحُسْن فديت من يسمع، فديت من يتطلع، أعطاك قبل أن تسأله فكيف يردك إذا سألته، أدناك قبل أن تطلبه فكيف يردّك إذا طلبته، هذه مناجاة المحجوب عن حقائق المطلوب.

اشتدَّ، والله، يا كعبة الحُسن ألمي، لمَّا جهل في العلم ثبوت قدمي، واحد يقول: سألته في مسألة إلهية فلازم الخلوة لها، حتى يمهد الحق له سُبُلها، وآخرُ يعضُدُهُ على ذلك أمراً حتماً، ويحتج بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

أترى هؤلاء عرفوني، ولو صحبوني مدى أعمارهم هل تراهم صحبوني، فلا مراتب العلم عرفوا، ولا الحال على ما هي وصفوا، الصنف الذي يطلب الزيادة فيه معلوم، والصنف الذي لا يطلب الزيادة فيه مفهوم، هلاّ نظر إلى السائل وعقله، ومرتبته في علمه، وأين هو في المراتب؟ وأي مذنب سلك من هذه المذانب، لو اجتمع الخلق من أولهم إلى آخرهم أن يسألوني ما أخذت لسؤالهم خلوة، فإن سؤال الخلوات على سؤال الحق موقوف، لما يطرأ في السرِّ من موارد الغيب المعروف، وما الكون حتى يضطرني، وما العالم حتى يزعجني، أتزل بي القدم، عند رؤية هذا العدم، إنّا للّه على قلوب حجبت بأغراضها، وقيّدت بأمراضها، فقاست غيرها عليها، وتخيلت أن هذا حق وصل إليها.

يا كعبة الحُسْن: هذا سِرٌّ أبثُّه إليك، وأتلوه عليك، معلوم أنه أعطى قبل السؤال، ثم رد السؤال، وما ردّه عندنا بطائل، لأن الحقائق شتّى منها أين ومتى، وشيخ وفتى، ومقرب ومبعود، ومشهود ومطرود، وموافقة مكان، ومقارنة زمان، وتحصيل اسم على مسماه، قلت: يا رب. فقال: لم يصل الوقت. قلت: يا إلهي. فقال: لم يصح الشرط. الدعاء من القضاء يرد القضاء.

ذكره إيّاك تعريفاً وتشريفاً، فانظر بماذا ينكرك كنايته عنك تقريعاً وترفيعاً، فانظر بما يكنى عنك، لا يغرنك سماع الخطاب، ولا رفع الحجاب، وإنما تغتر بما يبدو لك منهما، فإمَّا تُساءُ وإمَّا تُسَرُّ، رفع حجاب العافية فنزل البلاء، ورفع حجاب البلاء فنزلت العافية، فكل واحد منهما حجاب الآخر محجوبه، ورب الآخر مربوبه، كن غيباً في شهوده، وخبراً في عيانه، وعناءِ في راحته، وعلة في شفائه، وجهلاً في علمه، وفقراً في غناه، ومهجوراً في مواصلته، ومستوحشاً في مؤانسته، وجموحاً في إذلاله، وعقولاً في لطفه.

واجهد فإن الله لما أراد الخير بك يا كعبة الحُسن عرف بيني وبينك، وأشهدك عيني وأشهدني عينك، وحركني إليك، وأنزلني عليك، وعشقني بجمالك، وهيمني في دلالك، ولست ممن يحيل هذا وأنت الخابرة.

أما تراني أطوف بمعاهدك، وأجري على مقاصدك، فإذا أكملت الأسبوع، بادرت إلى الركوع، ولا أنصرف قط عنك إلاّ عن أمرك، فأنت المنصرفة لا أنا، وأنت المستريحة وأنا المُعنّى:

إذا ترحّلتَ عن قومٍ وقد قدروا ألاّ تُفارقهم فالراحلون هم[1]

أين ذهنك يا كعبة الحُسْن من كلامي؟ وأين يقظتك من منامي؟ اتحدت أسرارنا، وامتزجت أنوارنا، فأنا أنطق بك وعنك، وأنظر إليك ومنك، فقضيت حقك، وأعدمت في جنابك خلقك.

فانتَبه: فقد أيقظتك، واتعظ فقد وعظتك، اشتغلي بنفسك في حقي فسيحمد شغلك، وافعل فيها ما يرضيني منك فستشكر فعلك، فكأن بأركانك قد هُدّت، وبحبالك قد مُدّت، وبسُبُلك قد سُدّت، وجاءت الأحابشة فأخذت أحجارك، وهتكت أستارك، ورمت بك في اليم، وجارت عليك في الحكم، وهذا كله لتوصلك إليّ، وتمثل ذاتك بين يدي، ولكن انظر ما تقاسيه في طريقك إلينا من العناء، ومن عذل العاذلين وحراسة الرقباء، ومن صعوبة الطريق وحزنه، ومن شدة كرب الهوى وحزنه، فقف متضرعة عازمة، وقوف مقصرة عالمة، ومد اليمين واليسرى، وسل في تيسير العسرى، وقل له: «أنا القصرى تعلم حقيقتي وتعرف طريقتي، فحسبي علمك بحالي، فستفوز بملاك الأمر، وتحصيل السر، فإن الذي تناجيه الآن في مقام البسط، ومنزلة الحل لا الربط، فلا تخوفنك الغمرات، ولا تحجبنك الظلمات، فإن الفجر قد طلعت منازله، والصبح قد لاحت دلائله، والليل قد انقضت مناهله، وهذه الشمس قد بدا حجابها فأشرق، وأبدى ما كان خفي من الحق، وفتح باب كان بالأمس مغلقاً، وفرج أمر كان قبيل ذلك مطبقاً. والمنادي على الأعراف صائح، والسبيل بين يديه واضح. والصوت في الجو عال، والدف يجيبه في الحال، يا داعي الله، ويا حادي اللاهي.

أما ترى مجلس السرور قد احتفل، ووجه غلام الزمان قد بقل، والشراب المروّق قد مُزِجَ بالتسنيم، والنعيم قد ورد على النعيم، والنديم يغازل النديم، والحميم يناجي الحميم، والمدير قد شمّر عن معصمه، ودار بكأسه على ندمائه وجلاّسه، وأسرار أهل المجلس متناغية، وسوق المهرجان قد قام على ساقه، والسماع في ارتفاع، والتواجد مطابقاً للإيقاع، والأيدي مبسوطة إلى المدير، والعيون ناظرة إلى وجهه المنير، والمسمع فصيح، والمحل فسيح، والعاشق قد أعلن بالتشريح، وتمثل بقلب طروب من الكتمان جريح:

---

(١) هذا البيت هو للمتنبي من قصيدة تقع في ٣٧ بيتاً مطلعها:

وأحَرَّ قلباه ممَّن قلبُهُ شَبِمُ ومَن بجسمي وحالي عندَهُ سَقَمُ

والقصيدة من البحر البسيط الذي تفعيلته هي: مُستفعِلُن فَاعِلُن مستفعلن فَعِلُن.

أَلاَ فَاسْقِنِي خَمْراً وَقُلْ: هِيَ الخَمْر وَلاَ تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمْكَنَ الجَهْرُ
وبُحْ باسْمِ مَنْ أَهْوَى وَدَعْنِي مِن الكُنَى فَلا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِها سِتْرُ(١)

والفناء رحب، والرقيب مبعود، والحبيب مشهود، والباب مُقفل، والستر مُسْدَل، والعين تنهل، والروض يعطي عرفه ونشره، والدهر يريك طلاقة وجهه وبشره، والسعد يساعدك، والآمال تناشدك، والأمن يؤانسك.

فعندما يسمع مقالته، يحمد حالته، ويعلم الداعي أن الذي دعاهم إليه قد وصلوا إليه قبله، فيبقى يبحث كيف العلّة، ومن لي بتدبير هذه العلة.

كما قال أبو يزيد: دعوت الخلق إلى الله خمسين سنة ثم رجعت إليه فوجدتهم قد سبقوني.

هكذا ذكر، ومسابقة «بلال» رضي الله عنه لسيدنا محمد ﷺ في الجنة، وهو خير البشر، فحقق يا كعبة الحُسن هذه المسابقة وانظر في هذه المطابقة، وعليك بمثل هذه الموافقة. وهبتني نفسك، وأهديت لي غيبك وحسّك، أيَّ محبوب فعل هذا قبلك، ما سمعت بمعشوق صدر منه مثل هذا مع محبة مثلك. أبحتَ لي ريقك المختوم، وسرّك المكتوم.

أنت فردية الوجود الكوني، أنت على خلقِ الموجود الإلهي، لم تتخذ بواباً، ولا أسدلت حجاباً، تأتي إلى من يحبك قبل أن يأتي إليك، وتحضر بين يديه، وهو أولى بالحضور بين يديك، تخدمه بكلّيتك، وتجود عليه بنفسيتك، لولا ما أتيت إليَّ ابتداءً، ما الذي كان يأتي إليك، لولا ما نزلت عليَّ من قبل ما الذي كان ينزل بي عليك، فلك الطول والفضل، ولك الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ. قامت لك البينة، وإن كنت لم أنكر، وصحت لك عليَّ الحجة البالغة وأنا المقر، اعترفنا بأنك الواحدة في شأنك، والفريدة في زمانك، وغير زمانك، ذكرت قبل كونك، وعُشقت عند وجود عينك.

ما أحسن مقلتك النجلا، وأبهى منظرك الأجلى، ما أعذب شفتك اللميا، ما أصلح وجهك الأقمر، ما أينع خدَّك الأزهر، ما أنور جبينك الوضاح، ما أزهرك بين

(١) هذان البيتان لأبي نواس من قصيدة له بلغت ثلاثة عشر بيتاً وبين البيت الأول والثاني سقط بيتان هما:

فـمـا الـعـيـشُ إلا سـكـرةٌ بـعـدَ سـكـرةٍ فـإنْ طـالَ هـذا عـنـدَه قَـصُـرَ الـدهـرُ
ومـا الـغُـبْـنُ إلاّ أن تـرانـي صـاحـيـاً ومـا الـغُـنـمُ إلا أن يُـتَـعْـتِـعَـنـي الـسُّـكْـرُ

الملاح، ما أبلغك بين البلغاء، ما أخطبك بين الخطباء، ما أشهى ذلك الثغر البرود، ما أجمل في وجناتك ذلك التوريد، متعني الله ومتعك بجمالك، ولا زالت الأفواه تقبّل يمين بجلالك، والنفوس تلتزم ملتزم بابك، وتستجير بمستجار جنابك، وتجود عند ميزاب جودك. ويذهل حجرها عند دخول حجرك، وتقوم عند مشاهدة مقامك، وتزمزم عند مشرب زمزمك، وتنحطم عند مجاورة حطيمك. تالله لولا حذري أن أفقد عينك، وخوفي أن يُحال بيني وبينك، لهتكت للعالمين أستارك، وأعلنت لهم أسرارك، وأعربت لهم معجمك، وأوضحت لهم مبهمك. وأفصحت لهم بما جبلك الله عليه من المحامد في المحاضر، وقمت خطيباً برفيع مناصبك ومشاهدك في المنابر، مما لم يرد به نقل، ولا وسعه عقل، حتى يحار الناس في تكييفك، ويذهلون في لطائف لطيفك، ومعارف كثيفك، وإنما القلوب محجوبة بالأهواء، وأنت المساعدة لهم في هذا العماء، فلو انقضت منك إذا حيل بي دونك أحجارك وتهتكت أستارك، وعصيت العالم أجمع، لكنت في شأنك الخطيب المصقع، وغرضي في إدامة مجالستك مذاهلتي لمؤانستك، لا زالت أعلامك مرفوعة، وأقوالك مسموعة، وأوامرك مطاعة، وأسرارك عندي مذاعة.

والسلام عليك معاداً مردّداً ورحمة الله تعالى وبركاته.

٥ ـ الرسالة المشهدية
توسَّلَ بها عبد البصير إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد البصير، محمد بن علي، إلى كعبة الحُسْن، وروضة المزْن. سلامٌ عليكِ ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد

حمداً لله المشهود بكل عيان، والصلاة على سيدنا محمد المبعوث إلى الإنس والجان. فإن مشاهدة المحبوب هي البغية والمطلوب، وهي أعز موجود، وأصعب مفقود. وعليك آداب في المشاهدة لها علامات منها: الثبات وعدم الالتفات، والخشوع والإقناع، والخضوع والارتياع.

واعلم: أن حقيقة المشاهدة تنطلق على كل ذات، من موصوف وصفات، لا تتقيد بسوى الوجود العيني لها، على هذا أصّل المحققون أصلها، فالنغمة مشهودة

للسمع، واللين مشهود للّمس، والكون مشهود للعين، وهنا سِرٌ فابحث عليه، عسى يعطيك ما لديه. والريح مشهود للشم، والحنك شاهد للطعم، وهكذا جميع الأشياء مشهودة، والعلة في ذلك كونها موجودة، فلو لم يمكن لها كون ما شاهدها عين.

فإذا صح عندك ما ذكرته، وتبين لك ما سطرته، فما لك تتغنى بغير كلامه، وهو الذي سوّاك وعدلك، وما لك تسمع إلى غير خطابه، وهو الذي اصطفاك وفضلك، وما لك تلحظ غير ذاته وهو قد فطرك على الصورة، وما لك تتعشق بغير جماله وهو الذي أنار سريرة العشق منك البصيرة التي تعلم من إرادته أنك في الدنيا قنطرة تعبر، وفي الأخرى سبيكة مدخولة فتمحص وتخبَّر.

نفسي لك الفداء يا كعبة الحُسْن. من كل ما يُتّقى ويُحذر، وحياة الحب الذي بين جوانحي، والوجد الذي أخدر جوارحي، إن فؤادي بك لمتيّم، وقلبي فيك مهيّم، وسرّي فيك مقسم، ونطقي بك معثر، وخاطري منك محيّر.

هل لي عندك متوسم؟ هل لي في روضتك متنسم؟

ها أنا منك بين الخوف والرجاء، والاستسلام واللجا، أخبريني فأنت شاهِدتي، أعلميني فأنت واحدتي، باح السر وانتهك الستر، وشاع الخبر وانتشر. وقيل: هام العارف في الحجر. تعشق بنشأة جماديةٍ، ومنزلة عبادية.

أين معرفته بربه؟! أين دعواهُ في تقديس قلبه؟! شَغَلَهُ ما يفنى عن مشاهدة قاب قوسين أو أدنى.

أين هو من الشبلي حين أمر أصحابه على قبة زمزم أن يطوفوا بذاته؟! قلت: ما علموا أن ذلك سكرة من سكراته. أين هذا المقام من ذلك؟ أين قدر المملوك من المالك؟

ما هو الأشقى بعدما كان سَعِد، ورُدَّ بعد قصده فبَعِدَ، جدَّ فخانه الجَدّ، وساعد فلم يساعده السعد. فاعتبروا يا أولي الأبصار، ويا أهل الفكر والاستبصار، في هذا الأمر الكبار، وكيف اجتمع الأوار والدمع المدرار.

يَـا هِـلالاً بَـيـنَ الـجَـوانِـحِ بَـادي ... أَنْـتَ والـلّـهِ غَـايَـتِـي وعِـمَـادي
أَنْـتَ أُنْـسِـي وَوَحْـشَـتِـي وَحَـيَـاتـي ... وَمَـمَـاتـي، وَفـي يَـدَيْـكَ قِـيَـادِي
أَنْتَ سِرِّي، وأَنْتَ جَهْري وَبَعْضي ... أَنْـتَ كُـلّـي ونَـاظِـري وفُـؤَادي
أَنْـتَ صَـيَّـرْتَـنـي حَـزِيـنـاً ذَلِـيـلاً ... سَـاهِـراً لاَ أَذُوقُ طَـعْـمَ الـرُّقَـادِي
هـائـمـاً فـي سَبَـاسِـبَ مُـهْـلِـكَـاتٍ ... نَـازِلاً مِـنْ رُبـا إِلـى بَـطْـنِ وَادِي

نفسي لك الفداء يا كعبة الحُسْن:

رأيت العارفين قد رموني بمحبتك، وهي شرفي ومجدي، وعيّرني المحققون بالتضرع إليك، والطواف بربعك، وفيهما حياتي وسعدي. عموا والله عن إدراك ما أودع الله فيك من الحقائق. وجهلوا امتداد ما بيننا من الرقائق.

فالحمد لله الذي جعل مصلحتي في رضاك، وسعادتي في قضائك، وزوى عني روح حياتي بمشاهدتك، وصفّاني من كدر الهوى بموافقتك ومساعدتك، خَسِرَ من لم يمتثل أمرك ولا خاطب سرّك.

أيها العاذل: أما تمل، أما علمت أنه قد سبق السيف العذل، ولولا لزومي مغناها، وتعشقي بحسنها ومعناها، ولثمي مقبلها البرود، وقطفي ورد تلك الخدود، وتعلقي بدلالها وأردانها وتعشقي بحسنها البديع، وإحسانها، وتصفحي آثار الربوبية في نشأتها وملاحظتي سر القيومية في بدأتها، ونظري معنى الألوهية في صورتها، وشهودي أحكام الغالمية في سيرتها، لما كنت من العزة بحيث لا تبلغني، ومن الرفعة والتنزيه بحيث لا تعرفني. وعزّة حياتها عليّ وإنه لقسم عظيم، عند كل ذي عقل سليم.

لو اطّلعت أيُّها العاذل على المقام الذي حصل لي من وجدي بها، وعشقي فيها، لاتخذتني ربًّا معبوداً، ومولى مقصوداً، فاحمد الله الذي أبقى عليك إيمانك بستري بعدم اطلاعك عليَّ، ونظرك بالعين السليمة إليَّ فهو الذي أهلك النصارى في المسيح، ورمى بهم في المهامه الفيح.

ما أفرحني أيها العذول بجهلك بمقداري، فإن فيه سعادتك، فاحمد الله الذي عشق إليك عادتك. وحياة الحب لو اطلعت من كعبة الحسن على ما اطلعت، وسمعت منها السحر الذي سمعت، لكنت حَبْراً من الأحبار، يتحدث بك في جميع الأمصار، تسامر بك السمراء ملوكها، وتنظم بك الغواني سلوكها، وتحدى بك الركائب، ويستعان بك على قطع السباسب، وكنت لا تسعك محجة، ولا تقوم لأحد عليك حجة.

فأنت أيها العاذل المحروم السعيد، وأنت الميت الشهيد، جمعت بين الحياة والموت، والفوز والفوت، إلى متى أيها الرقيب أنت يقظان؟ إلى متى أيها العاذل أنت في أمري حيران. من أجل ما بلى الجفون وسنان، مائس الأعطاف سكران. اشتغل بإحصاء أنفاسك عن أنفاسي، وبتعديل أمراسك عن أمراسي، (**فطوبى لمن شغله عيبه**

عن عيوب الناس)، فلا تكن بالناسي، هبك شقيت أنا على زعمك ما تحصل لك من شفائي، هبك تعنيت ماذا في يديك من عَنائي.

ألم تعلم أن كل إنسان مسؤول عن نفسه دون أبناء جنسه، قد والله كشف البال، وكذبت الآمال، وقل الصديق وتعذر الصديق، وذهبت السيئات بالحسنات، والمخالفات بالموافقات، والطبع بالشرع، والقواصم بالعواصم، والدواهي بالنواهي، فلا فاهية تزيل داهية، ولا عاصمة ترفع قاصمة، ولا شرع يذهب طبعاً، ولا حسنة تمحو سيئة.

تضاعفت البلوى بحمل هذا العبء، واستترت الشكوى بدوام هذا الخبء، حمل فادح على القريب والنازح، ولا مَعين ولا مُعين، ولا صافي ولا مصافي، ولا من يريد تخليصي وإنصافي.

يا كعبة الحُسْن: أورث وسواسك الوسواس، وعمَّ بلاؤك جميع الناس. بيوت تنهب، وقلوب تُلْهب، ونارٌ تُضرم، وأنفال تُقسم، وداهية دهيا، ولجة عميا. كالساعة بل أدهى وأمَرّ ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧] وهذا نحس دائم مستمر.

يا كعبة الحُسْن: فدتك نفسي من كل مكروه، وأنى لنفسي أن تفاديك، اسمع خطابي وردّ على جوابي، وما قنعت مني إذ رميتني عني فأنا أشكو مني إليَّ بيني، وأتردد فيما بيني وبيني. يا أنا لم بَخِلْت عليَّ ألم أكن لي حديقة لما جُلْت، وملعب أنس لما زُلت. لا جرم أن ما أدعو إليَّ ليس لي دعوة في أمر، ولكني منّي تحت ستر، وجدي إنما هو عليّ، وعشقي إنما هو فيَّ، وولهي إنما هو بي، ففي أهلك، ولي أملك، فأنا المحب والمحبوب، وأنا الطالب والمطلوب، وأنا العاشق والمعشوق، وأنا طالب الحق الذي توجهت على الحقوق، فانصفني يا أنا مني، فقد ترجمت لي عني. تقدّست هذه المطالبة عن البينونة، وجلّت عن الكينونة، لما فيها من الاتحاد في أصل الإيجاد ألا وإن الموجد المحقق إذا عرج في معارج الحقائق وحصل ضرباً من مكاشفات اتحاد الرقائق والدقائق، وصحا بعدما سكر، ونشر بعدما قبر. لا بد من ملازمة الأدب، وتباين الرتب، ومعرفة النسب، والوقوف عند العلة والسبب، فإن الجمجمَة في الجُمْجُمة، والهمهمة في الحمحمة[1].

---

(١) الجَمْجَمة: الكلام المخفي في الصدر. والجمجمة: عظم الرأس. والهمهمة: الكلام الخفي وقيل تردد الزئير في الصدر من الهم والحَزَن. والحَمْحَمَة: عَرُّ الفرس حين يقصر في الصهيل. وقال الأزهري: حكاية صوت الفرس إذا طلب العلف، أو رأى صاحبه الذي كان ألفه واستأنس به.

وفي معرفة اختلاف اللغات، دليل على عموم المخاطبات، فما من رسول إلاّ وأرسل بلسان قومه. إلاّ من أوتي جوامع الكلم من يومه، وأخذها وارثه في نومه. ومعرفتها على الإبهام داءٌ عضال، وهي مسألة فيها عظيم إشكال، كلما قيل لك في لغة هذا ليس لك، فانظر اللغة الأخرى تقول هو لك، فإن لم تعرف موارد اللغات، بقيت للحيرة في سكرات، وخُضت في بحار الغمرات، وأحرقتك السبحات، وأدّاك إلى ما أرداك وعرج بك عن سبيل هداك، واحذر من الله الاستدراج ولا تقل: وأي منزلة فوق التاج. هو حدُّ الاستواء، فوق العرش والسماء، ما أسرع ما يصير للأفراس نعالاً، وللرحى ثقالاً، فعليك بالذوبان في رضى الرحمان، فعن قريب تنحل من عالم التلفيق، وتلحق بالمنظر الأنيق، الذي هو تحفة الواصلين، وغاية الطالبين، وأنس المستوحشين وأمن الخائفين، وراحة المجتهدين، ورحمة المغتنمين، ومنية القاصدين، وسر العارفين، وعِلْم العالمين، وعَلَم المتسابقين وحكمة الحكماء الفاصلين.

ولكن يعزُّ والله اختراقٌ واحتراق، وتجرع السموم القاتلة، ومعانقة الرزايا الشاملة، والتجافي عن الفُرش المرفوعة، والزهد في المنازل الرفيعة، والمسابقة في الأعمال، والمسارعة إلى مرضاة الحق، الذي تنقطع دونها رقاب الأجناد من الرجال، وبذل الذخائر النفيسة، وزوال رياسة هذه النفس الرئيسة، حينئذٍ ينال ما ذكرناه، وتنعم بما سطرناه.

نعم يا كعبة الحُسْن: نفسي الفداء لسر يفهم ما أقول، ويعلم ما أورده من حقائق الوصول. واحرَّ قلباه من وجدٍ مُتلف، ومعنًى جليلٍ مشرفٍ. واأسفاه على ما لطف من الحال، واشوقاه إلى ما رقّ من الخيال. هل من عارفٍ طريفٍ يفهم إشاراتي؟! هل من واصل عفيف أطلعه على ما وراء ستاراتي؟! هل من ذكيٍّ ذي همَّةٍ شريف أجعل بين يديه عباراتي؟!

راح القطّان، وخلت الأوطان، فلا نادب ولا مندوب، ولا طالب ولا مطلوب، هلكت الإضافات، وبقيت الخرافات. فيها ماج الناس، وبها عظم الوسواس. فهذا زمان التعوذ واتخاذ التمائم، وأوان الرقى واستعمال العزائم. فإن الرديء قد طمَّ، وبلاءه قد عمَّ، اللهم لا نملك ضراً ولا نفعاً، ولا قوّة ولا جمعاً، أنكر علينا الأخبار عنك والإشارة إليك، وحُسِدْنا على ما وهبتنا من الحكم، وأسبغت علينا من النعم، وأرجوك دافعاً ومعيناً، وظهيراً ولا أرجو سواك. فأنت مالك الأملاك.

فاحفظ يا كعبة الحُسْن هذه الوسيلة. وكن الحامي لها والوصيلة فإنك تحمد متقلبها، وتشكر سعيها ومذهبها. ولو بعد حين والحمد لله رب العالمين.

وقد أبَنْتُ لك في هذه الرسالة من الرموز والأسرار ما إذا تصفحتها تبحرت جداولك، واتسعت مضايقك، وطاب عيشك، واعتز عرشك، أدام الله إحسانك ولا أخلى مكانك بمنّه، لا ربّ غيره. والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته.

٦ ـ الرسالة الفردوسية
توسل بها عبد السميع إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد السميع محمد بن علي إلى كعبة الحُسْن، وروضة المزْن سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد فالحمد الله المناجى بكل لسان، والصلاة على سيدنا محمد في كل أوان، فإن الرَّاحة والبلوى، والشكر والشكوى أحوال تعطي بحقائقها الكمال، وتجعل من قامت به برزخاً بين الأنوار والطلال وذلك هو الاعتدال الوهمي، لا أنه الوجود العيني، فإن الضدّين غير حاصلين في وحيد العين، ونحن نتكلم في الواحد بما يعطيه الغائب والشاهد، ولكن تستخرج مواليد الحقائق أنفسها من ظلم المشئمة، وتميز بين صفات الميمنة منها، وبين صفات المشئمة، وإن اتصفت بالصفتين في وقتين أو محلين، وليس غير هذين حتى تقيم الحمدين، وتنطق بالثناءين على رأس النجدين فيقول في سرَّائها: الحمد لله المنعم المتفضل، وتقول في ضرائها: الحمد لله على كل حال، لكن في زمانين مختلفين، أو في محلين متجاورين، أو متباينين، يكونان ملكاً تحت حيطتها، ودائرة على نقطتها.

فاعلم يا كعبة الحُسْن: أن الحق أوصلني فيك إلى مقام إليَّ، وأوقفني منك على موقف إنّي، لم أطالع فيه سوى الرحمة المطلقة والكرامة، ولم أعاين فيه غير السرور الذي لا تلحقه ندامة، وامتدت إليَّ اليدان، والتحمت الأباعد بالأدان، وجنى الجنتين دان، وانعطف الآخر على أوله وانتظم الأبد بأزله، ومتى وجد هذه الحالة مَنْ وجدها ذهب عينه في المحاق، وانعدم فصله عند هذا الاتساق. ولما رأيت المعرفة بنفسي قائمة، وكلماتي بالذكر الحكيم ناطقة، والقلب إلى الوحدانية منتهض، والفؤاد في وسط سبيل اليقين معترض، والسر بما يجده من العشق ثابت، وغصن حقيقتي في

روضة شرعه نابت والروح تواقة إلى الاتصال، والجوارح مستمرة على الأعمال، والوجود متطلع إليها بالمغفرة، وَوَجدها تسعى له بالإحسان والتذكرة، والحرارة في الكبد تمدها الصبابة فيعلو حنينها، والحياة لم تبق منها إلاّ صبابة، حتى ما يكاد يسمع أنينها، والمضمار قد ضمرت له العتاق، وقد دخلت معهم في السباق، لما رُفعت لها الأعلام، وأيقنت بذهاب الأيام، فحِرْت في الانسلاخ منها، والنزوح عنها، وهذا سباق لا يصْبر عليه إلاّ رحْب اللباب، واسع النفس خفيف الحاذ، أشم القذال كبير الهمة، سريع الانتهاض، زاهدٌ في الخلوة الخضرة راغبٌ في الدار الآخرة. فبعدما سرد هذا الخبر، ونظمت هذه الدرر، قلت قد أبلغت الرسل، ومهدت السبل، وأبلغ في الأعذار رسول الإنذار، ونصبت الدلالات والعلامات، وأظهرت الآيات والكرامات، بما ظهر عليَّ من النعم الجسيمة، وأسبغ عليَّ من ألطافه العميمة الوارفة الظلال، النيِّرة الليال. هذا قد جمع لك بين الحسنيين وأعطاك لذة النظرتين، ومنحك سر الشهوتين، وأبرز لعينك ما سطرته الأقلام في الألواح، وأفادته الأجسام للأرواح، فاشكر فبالشكر تزيد النعم، وبه ترزأ النقم، هذا سرُّ الحدث والقدم، قد شهد بعرفانه القدم. وتحققت حقيقة الوجود من العدم، وتبين لك أن الوجود هو الخير الخالص الغضُّ، وأن العدم هو الشر المحض. وكل شرٍ موجود فمشوب بالخير معقود، أيُّ بلاء أعظم من فناء العين، أي شرٍّ أشد من عدم الكون، ما دام لك في الوجود رسم، وظهر لك فيه اسم، فقد أخذت بحظ وافر من الخير، وقد أدرىء عنك ما في مقابلته من الضير فإنك لا تعرف قدر الشيء إلاّ بضدِّه، كما لا تعرف مضاضة وعيده إلاّ بلذاذة وعده.

فالعالم كله في نعيم، من كان منه في الجنة ومن كان منه في الجحيم، نعيماً علمياً، وسروراً عقلياً لا حِسِّيًا، ودع عنك بعد معرفة هذه الحقائق ما تحمله النفوس من نضج الجلود بين أطباق السعير، واستصراخهم لذلك بالويل والثبور، فقد حمله السعداء في العدوة الدنيا، وقاسوا منه أعظم بلوى. هذا حظ النفوس والجسوم، فأين حظ المعارف والجسوم.

نحن ما تكلمنا في الإحساس، وإنما تكلمنا في رفع الالتباس، بصحيح القياس، هذا خطيب النعم قد وقف على أعواده، في محضر إشهاده معتمداً على عصاه، محرشاً على من عصاه. انظر كيف يدل على مواقعها في أوان الاضطرار، وكيف يريك لذاذتها إذا جاءت على حكم الاختيار ليست الموعظة من الشعر فترمز، ولا من الخطابة فتلغز، وإنما هي من النعم المبسوطة على الدوام، على ممر الليالي والأيام.

كما قال المهيمن العلام: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾ [يس: ٦٩، ٧٠]. كيف تصفو الأسرار والإنسان على قدم الغرور؟! كيف تطرح العلالات وقد جهل المصير؟! كيف يواصل من يهواه من لم يعر عن هواه؟! عجباً مِمَّن يستلذ عافية باطنها بلاء! أو يتنعم براحة غايتها عناء!

عذب العذاب ولا عتاب العتبى، ووصل الوقت ولا القرب في العقبى، هذا حظ أصحاب العاجلة، اللاهية قلوبهم عن الآجلة، اختطفتهم عن طريق الهدى أغراضهم، وتوالت عليهم شكوكهم وأمراضهم، فبؤسٌ عليهم لا يرتفع، وروح متوجه نحو الموعظة لا ينتفع، ومعشوق إن راح لم يرح خياله، ومحبوب إن ذهب لم يذهب مثاله. فالصبابة به أبداً مقلقلة، وزفرة وجده في ضلوعه محرقة، ولا بد من الدهر أن يبدي حكمه، ويظهر علمه، فشتٌّ وجمعٌ وجبرٌ وصدعٌ، وأملٌ مشتبهٌ انتظر وطمع تحرك فاستنظر، فإمّا بالرجاء وإمّا باليأس، وكلاهما شديد على النفس. إذا جاد الواهب الوصول على الكبد المحرقة بنار الهوى بنسيم المنح، انزعجت النفوس وظهر عليها الترح، وإذا تسعر لهيب الطمع بريح الحدس، همدت من المحقق بيقين الهمس، وإذا جاء الخطاب باليسرى، فلا تغتر ففي طيّه العُسْرى، فإن هذه الدار الدنيا مشوبة إلاّ ريّ بالشرى مبطونة الحرب في السلم، هي نشأة الأمشاج، ودار الامتزاج، فكيف يتخلص فيها خطاب، أو كيف يظهر فيها جواب، لو ظهر لكل عين لما كُذِّبت الرسل، ولو لاح لكل بصيرة لما اختلفت السُّبُل، فلا يصفو فيها حبٌّ عن اعتلال، ولا صحة عن إخلال، ولا وجد عن فقد، ولا صُحْبة عن ملل، ولا مساعدة عن معاندة، ولا جهد عن فتور، ولا حق عن زور، ولا رجاء عن قنوط، ولا طلوع عن هبوط، آه لعيون قد جمدت، وخواطر قد سكنت، ومحاسن قد سمجت، وسماحة قد عبست، وعزّة قد ذلّت، وحديث أفسده التكرار، «ويلٌ للشجيّ من الخليّ»، ويا ذلّة الفقير جانب عزّة الغني، ما للوجد يجرعني كأسه، ما له تحرقني أنفاسه، ولا معين أعوّل عليه، ولا ركن آوي إليه، لعله يُهيّئ أسباباً، ويفتح أبواباً، أو يذلل صعباً، أو يفرّج كرباً، أو يبدي أمراً، أو يُظْهر عذراً. طالت صحبتي لهذه البلايا، وعظمت محنتي بهذه الرزايا، فتاي يؤمن بي ولا يسلم، فإن وافقته في غرضه أعرض عني ومضى ولم يُسلم وهو معي يداً بيد، أنكر عليَّ مسألة العدم، وقام إلى صكّ وجهي بالقدم، وما ارعوى عن ذلك ولا ندم، وقال هي مسألة معقولة فلا أسلم، وهكذا أكثر من يدّعي في كمال العلم، وصحّة الحكم، لا يقبل إلاّ ما يعطيه فهمه، وما يبلغه

علمه، فهو مع نفسه لم يبرح، وعن موطنه لم ينزح، وهل التسليم والاستسلام إلاّ فيما تمجه النفوس، ويكاد يرده المحسوس، ولو كان به عليماً:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

تالله ما غبت بوجهي إلاّ لما ترادف عليَّ من الغير، وأحاطت بي من الفِكَر، أولياء في جلود الأفاعي، وأعداء في صور الأحباء، ما ينفعني صحيحُ عقدهم فيَّ إذا قابلوني بالمكروه، ما عسى يبلغ مني ما أعرفه من احترامهم، إذا قالوا في مسألة أوردها عليهم فتقصر أفهام بعضهم، عن إدراكها، لا يعتقد هذا معتوه، أين هنا الاحترام وقد ألحقوني بالحمقى؟ أين هنا الصدق وقد وعدوني بالفراق، وأسكنوني البلقاء، إن لم آتهم بطائر فأقول لهم هذه العنقاء فيصدّقوني، وإلاّ فلا يقربوني. أنبيٌّ أنا فيجب عليَّ تعليمهم، أرسول أنا فيفترض عليَّ تفهيمهم، من حسَّن الظن بي صدق فانتفع، وإن كنت كاذباً. ومن أساء الظن بي فليشمّر ثوبه، وليولِّ عني هارباً، حذراً أن تحرقه ناري، ويذهبه أواري.

يا كعبة الحُسْن: إذا نوَّر الله بصيرتك، وأراك السلامة في رأيك فأخبرني حتى أثبت نفسي في ديوان الشاكرين، وأقعد في مجلس الذاكرين، وأثني عليك في محافل المتناظرين فسروري بما يفتح عليك، وفرحي إنما هو بما ينزل من ربّك إليك فتعرض للنفحات، وتُهيّأ للسبحات. وأنا أتضرع وأسأل، وأرغب وأؤمل أن يوطىء لك أكنافه، ويمنحك ألطافه، ويطلعك على ودائع القلوب، ويسري بك في سماوات الغيوب، حتى تبلغ المنى في حضرة «أو أدنى» فتكون صاحب تدلٍ وتلقٍ، فإذا نزلت عن الاستواء، وأخبرتني بخلوص الولاء، وصدق الوفاء، وحسن المعاملة على الصفاء. حينئذٍ أُسرُّ بك فإنك تعرف في ذلك الوقت على الكشف كيف صافيتك، وبأي صفة وافيتك، وتعثر على حركتي معك التي أنكرتها، وسكنتي عنك التي كفرتها، وتبدل الكفر بالشكر، ويقتل نبيُّ العرفان دجّال النكر، وتكون عيسوية الظهور مكتنفة بالنور، صائمة عن المحظور، موفاة من كل محذور. سهَّل الله لنا ما تصعّب من جنابك، وسرَّنا بجميل إيابك، وأظفرنا بطاغية نفسك، وأسكنك حضرة قدسك، ونزهك في حظيرة فردوسك، وجلّلك بغلائل أنسك. بعزَّته لا ربَّ غيره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

٧ ـ الرسالة العُذْرية
توسَّلَ بها عبد الودود إليها ونزل بها عليها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الودود، محمد بن علي، إلى كعبة الحُسْن، وروضة المزْن، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته. أمّا بعد.

الحمد لله الذي وصف نفسه بحبِّ عباده، والصلاة على رسوله محمد الذي اتخذه حبيباً، واصطفاه وخصّه بليلة إشهاده. فإني أصف حالة عذرية، وأنوح نياحة قمرية فأقول:

آهِ مـــن الـــوجــدِ ثـــمَّ آهَ ... يـا ويـح نـفـسـي مـاذا دهـاهـا
تَـيَّـمـهـا حُـسْـنٌ مـن تـعـالـت ... وزاد عـن جَـفْـنـهـا كَـرَاهـا
أتـى إلـى قـلـبـهـا هـواهـا ... ولـم يـكـن قـبـل ذا أتـاهـا
وخَـيَّـم الـشَّـوْق فـي فَـنَـاهـا ... وعـرَّس الـوجـدُ فـي ذُرَاهـا
تُـراهـا يـا عـاذلـي تَـسْـلُـو ... عـن حُـبّـه أوْ تَـرى مُـنَـاهـا
كـيـف لـهـا بـالـسُّـلُـوِّ عـنـه ... والـسـقـم قـد دبَّ فـي حـشـاهـا

يا كعبة الحُسن: لا تسل عن شدَّة ما لقيت بعد فراقك من الوبال، لما غاب الشخص وبقي الخيال، وتدكدكت النفس ليالي الأنس والاتصال، وقد اشتمل عليها الحزن لذلك أيَّ اشتمال، وخالطها الجنون والخبال، فهام سائحاً في بطون الأودية، وفتن الجبال شوقاً لذلك الجمال، وهيماناً في ذلك الدلال. كم نور أظلمته سبحاتك! كم روض أذبلته وجناتك! كم دم سفكته لحظاتك، واحرَّ قلباه من قلب لم تؤلمه دواعي الأشواق، ولا أنضجته حرارة الفراق إلى متى آسى وتسلو، إلى كم أشكو وتلهو؟

خَليليَّ مهما جئتما على نجدِ ... فمنا بتبليغ السلام على هنْدِ
وقـولا لـهـا رِفْـقـاً بـقـلـبِ مُـتَـيَّـم ... تركناه بالجرعا يموت من الوجدِ
فـلـو كـان مـن أهـواه مـثـلـي وعـنـده ... من البثّ والشوق المبرّح ما عندي
لما كنت أخشى أن أموت من النوى ... لأن الـذي أهـواه مـثـلـي فـي الـودِّ
ولـكـنـي آسـي ويـسـلـو وأشـتـكـي ... ويلهو فمن للحب إن متّ من بعدِي

تدكدكت النفس أيّاماً سلفت فهامت فتلفت.

أما علمت يا كعبة الحُسْن بأن المحبة المفرطة إذا مدّها البثُّ، والبث إذا صاحبه التَّوَقَانُ، والتوقانُ إذا خالطه الهيمان، والهيمان إذا مازجه الارتياع، والارتياع إذا طمع فخانته الأطماع يذوب لها الفؤاد، ويذهب لها السواد ويتصدع لها الجماد، وتنفطر لها السبع الشداد.

والمحبة على قدر المحبوب، والطلب على قدر المطلوب وأيّ محبوب يا كعبة الحُسْن يُعادلك، وأي مطلوب يا قرة العين يُماثلك. بلواك أعظم من أن تُحمل، وداؤك أعضل من أن يؤسى، ذهبت منك بداهية دهياء، وغارت عليَّ منك كتيبة خرساء، فَسَبت الحريم، وقتلت النديم، وفرقت الحميم من الحميم، وأذهبت النعيم، وأضرمت نار الجحيم، ولساني عليك في هذا كله بالشكر ناطق، وبالثناء موافق، وكيف لا أشكر وهذا كان مرادك، وكيف لا أثني وهؤلاء هم أجنادك، ومن أنا وما خطري حتى تصرف همتك إليَّ، وتنزل بأجناد بلائك عليَّ، فتذيب العظم والشحم، وتذهب الدم واللحم، وتفني المهجة التي قد هُيِّمت في حُسْنك، وتذبل الروضة التي قد أينعت بعيون مُزْنِك، والله ما تعرضت لهذه البلية، ولا تطاولت حلول هذه الرزيَّة، فاجزع من مضاضة فراقك، واجرع كؤوس مرارة أشواقك، ولكنه كان عن أمرك فبادرت امتثاله، وأقبل به رسولك عن مسرة منك فسُرِرْت لسرورك بإقباله، وقال نفذ الأمر المطاع، من الأمر الذي لا يُستطاع، بالرحلة عن هذه البقاع، إلى الشعاب الموحشة واليفاع، فتجردنا في حندس الليل الدّاج، وأسرعنا في الإدلاج، فما قاربت الغزالة الزوال، إلاّ والحال قد داخله الاعتلال، والجسم قد خالطه الانسلال، والعقل قد مازجه الخبال، ردَّ الله عليَّ شباب تلك الأيام والليال، وأقر عيني بالتنزّه في محاسن ذلك الجمال، يا طول حزني على الفوْت، ويا شرَّ حياتي إن لم أرك قبل الموت. طال والله ما كنت فيك محسوداً، ومن أجلك مقصوداً، واليوم فقد ألحقت بالحاسدين، وحرمت السير مع القاصدين. أخبرني رسول الوداد الذي بيني وبينك أنك عنّي سالية، وديارك من محبتي خالية، على عروشها خاوية، لا أحضر لك في جنان، ولا أخطر لك في لسان، ولا أتمثّل لك في خيال، ولا أجري لك على بال، وقد علمت يا قرّة العين أني قد قطعت المألوفات، وتركت المستحسنات، وقصدتك من دون العالم أجمع، وخيَّمت بفنائك لأخصَب وأربع، ورغبت في سلم الأعداء رغبة في جوارك، وأعطيت الرشوة الرقباء ليسمحوا لي في دنوّ مزارك. وأنت تأنف عن ذكري، وتتوقف عن ملاحظة سرِّي، كان نعيمي بك طيِّباً فكدَّرته، وكان سربك مطلقاً فأسرته، فقلت هذا كله لإيثاري إياك على كل مصحوب، وتقديمي إيَّاك على كل

محبوب، وحملي عظيم بلائك، وجهدي في بلوغ رضاك، لم أزل بين يديك منتصباً، أضرع إليك منتحباً.

أشكو منك إليك، وأتماوت لك عليك، وأصعق عند رؤيتك وأَفْرَقُ عند زورتك. يا قلباً تقلّب على جمر الغضا، أتُرى يعود إليك محبوبك بالرضا، يا نفساً غرقت في بحر الأسى، تعللي بذكره لعلَّ وعسى، فربما يمسي عندك معرساً.

يا نظرة زوّدْتنيها ليتها ما كانت، يا حسرة أورثتنيها ليتها لو زالت. وردّ القال الذي هو لسان الزمان، أو أوان الوصال قد آن، وقد جاءت الرواحل بالبشائر، وانتظمت القبائل والعشائر.

فَدَيْتُك **يا كعبة الحُسْن**: ألا تُصْغي لشرح حالي معك، لا قلاك ربِّي ولا ودَّعك، لم أزل منك في كل لحظة وأوان، في وصفِ إلهيّ ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمٰن: ٣١]، كلما ظهرت لي منك آية، أعقبتها عماية، ومتى تحققت منك صفاء تلاه كدر.

تشرب ريا بشُربي والهوى سببُ لأن أذوق فيه الصاب والعسلا

كيف يبقى جسم قد أنضجت كبده حرارة الاشتياق، وغشيت عيناه من البكا حذر الفراق، في أيام التلاق والعناق، إن باح خافم من الوشاة، وإن كتم هلك بتوالي الحسرات والزفرات، فلا أدري والله في أي وادٍ أهيم، ولا على أي حالة أحوم، كلما باسطتك انقبضت، وكلما أقبلت عليك أعرضت، أطلب أبلغ رضاك، ولا أنظر لجهلي بقضاك، أموري كلها بالبلايا معروفة، وعلى الرزايا موقوفة، أما تحنّ أما ترني، أما تنظر من حزني وبثي.

فأنا ماثلٌ بين يديك، ناظرٌ بعين الذلّة والمسكنة إليك، حيرانٌ لا دين لي، ولهان لا عقل لي، مبهوت بلا نفس، عين تجود، وحزن جديد لا يبلى ولا يبيد، وأخ غير مساعد ولا موافق، وليل لا صبح له، ولا قائل يقول:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرجٌ قريبُ[1]

---

(١) هذا البيت هو من قصيدة لعبد الكريم القيسي البسطي من شعراء الأندلس توفي سنة (٨٩٧هـ) والغريب هنا أن الشيخ الأكبر توفي سنة ٦٤٠هـ فكيف يستشهد بشعر لشاعر لم يولد بعد لذلك نقول إن نسبة هذه القصيدة لهذا الشاعر غير صحيحة والله أعلم، أو أن هذا البيت زاده أحد النسّاخ المعاصرين للشاعر على المخطوط الذي ثبتت نسبته لابن عربي. ومطلع القصيدة هو:

فؤادٌ من لواعجه يذوب ودمعٌ من مجاريه يصوب

وهي من البحر الوافر الذي تفعيلته هي: مفاعلتن مفاعلتن فعولن.

ولا نسيم وصل يهبُ، وهذا كله ليس منك فأنسبك إلى الظلم والجور، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور، وإنما هو مني لمخالفتي أمرك، ونظري إلى غيرك، فجهلت عيبي، فما استغفرت من ذنبي، وأنت تستدرجني من حيث لا أعلم، وتمزج لي العسل بالسُّمّ، فأحسب أني المقرّب المشهود، وأنا الطريد المبعود، وأتخيّل أني الموصول، وأنا بسهم الهجر مقتول، هجرت اسمي بكنيتي، فتخيّلت أن ذلك لمكنتي، فقلت لي يا سيدي وأنا العبد، وتمثلت بين يديّ وكان ذلك عين الطرد، وبيّضت جهي حين توجتني، ولم أدر أن ذلك البياض سواد، إذ كنت قد استدرجتني وكلما رمت أن أنصح نفسي لم تقبل النصح وتقول:

ما أسوأ ظنك. ألست تدري أن ذكر الجفا في موطن الصفا جفا، أليست هذه كراماته عليه مترادفة، ومطالعاته عليك متضاعفة، فإذا قامت عليَّ بهذه البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة، انخدعت لبرهانها، ومرحت في ميدانها، ولم أنظر إلى شر المذهب، وسوء المنقلب، إذا بلغت النفس التراق، وقيل من راق، والتفّت الساق بالساق. وزلزلت أرض الجسوم زلزالها، وبان للنفس ما عليها وما لها، وزلت بها القدم، حينئذٍ تندم ولا ينفعها الندم، يا نفس لا يغرنّك هذا البلد الأمين، ولا كمدك الذي لا يبين، واطلبي مشرباً آخر عذب العاقبة معصوباً من السهام الصائبة، والحظ ملاحظة حكيم، في ربٍّ منعم عظيم، أليس من أعطاك مما وهب فقد صيّرك قربته، أليس من أطلعك على سره فقد أهّلك لمؤانسته، أليس من اختصك بالاطلاع على حرمه فقد ارتضاك إلى مسامرته.

يا روحي ليس الأمر كما بدا، وقد تأتي الضلالة في صورة الهدى، الحق وراء ذلك كله ومعه، كالشخص مع ظله فلن يَدَعه. أين من يتطاول إليه بهمه، أين من يقصده لقوّة عزمه؟ أين من يريد الظفر بمنيته؟ أين من يطلب الوصول إلى بغيته، هذه الأعلام مرفوعة، والآيات منصوبة موضوعة، والنبأ صحيح، والنبيُّ بما قاله فصيح، آه لظاهر صاحبه العيب، ولباطن حشره ريب، وعين نوامة معروفة بالأحلام، وقلب ملتذٌ بعوافي الآلام، ونفس متبعة عند الأغراض، وهوى يلجأ إليه لرفع مرض الحاجات، وقساوة نيطت بالفؤاد، فألفها الجفا، ودين هجر بعادة سوء استمرت فدرس رسمه وعفا، وإصرار ثابت غابت عنه أعلام الشفا، وعلم رفيع شابه البلا، فطوبى لمن ناح على فائته وبكى، ولازم باب من سيرده عليه فحن وشكا. هذا أوان شق الجيوب، وضرب الخدود، وإقامة المآتم والمنائح، فهذا هو الرزء الفادح.

يا كعبة الحُسْن: أما تراني أدير لك الدور على الدور، وأعطف لك الكور على الكور، وأرفع عنك الستر بعد الستر، وأكشف لك السرّ بعد السر، وأوضح لك الرمز بعد الرمز، وأنتقل لك من صفة إلى صفة. فعلي معك فعل ربي معي، وأنا لا أسمع، فإذا سمعت فلا أعي، اشتد وجعي لما دخل عليَّ المتكلم والسامع يختصمان، وكلاهما يشكوان صدق الوجد ويعلنان، وقد احتاط السامع واسترسل القائل فذكر المنع والعطا، فسألاني الحكم بينهما على السوا، فأبرزت السلو، قد اعرورى ظهر الغدر وامتطاه، وأبرزت الشوق فجال في ميدان الذل، ومَدَّ خُطاه، فتنزه السلو، وتدنس الشوق، وذلت حقيقة الصمت تحت سلطان النطق، وأمرت حاكم الشريعة والحقيقة فقاما بينهما مسدّدين حكمين عدْلين. فكانت الحقيقة الأول والآخر وكانت الشريعة الوسط فتميز الباطن من الظاهر، وعرف اليقين بالريب، والشهود بالغيب، فحكما بالفناء والبقاء في الفريقين ونصبا لهما العلم والعمل طريقين، فسلكا عليهما علماً ووهماً ويقظة ونوماً. فتأمَّل عافاك الله حكمة قد رفعت عنك حجابها، ومددت لك أسبابها، وأقمت لك أعلامها، فابحث عليها فيها، وانظر معانيها في مغانيها، فإن الغريب إنما يطلب في الغربة، فإن شددت على نفسك مئزر الحذر، وأمعنت فيما أورده عليك صحيح النظر، كنت المحرر من رق الكون، والمثبوت في مشاهدة العين، وجَبَرَتْ كسْراً، ويسَّرَت ما كان عسْراً، لا زالت قطوف الوصال دانية وجَنّات الألفة عالية، ولا أذكرنا الأيام الخالية، فإنها الحسرة الباقية.

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته.

٨ ـ الرسالة الوجودية
توسَّل بها عبد القادر إليها ونزل بها عليها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد القادر محمد بن علي إلى كعبة الحُسْن وروضة المزن. سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد.

فإني أحمد إليك الله الذي ألْهَمَ وعلَّم ما لم أكن به عليماً، وأُصَلّي على من أُوتي جوامع الكلم وأسلّم تسليماً. أمّا بعد:

فإن العلم أشرف موهوب، وأجلّ مطلوب، وأعظم مصحوب، وإن كان شرفه بشرف معلومه، ورونقه البديع في حُسْن تفهيمه.

فالشرف بالضدِّ معروف، وبالنسبة إلى النقيض موصوف. فأشرف العلوم مرتبة، وأعظم المعارف منزلة معرفة النفس والرب، فإنها تؤدي إلى القرب، لحقيقة الصورة والمِثل، المتعالي عن الشكل، ولكن إعلام وإبهام.

يا كعبة الحُسْن: معناك ربَّاني، وسرّك سرياني، فاسمع الرمز السرياني أَلِفَك نازلة إليك، وميمك نازلة منك عليك، وأنت بينهما تأخذين وتُعطين، فهل تُصيبين أو تُخْطئين، فمن تلقى منك كما تلقيت كان ممن قابل البيت بالبيت. ما أشرفك يا واسطة العقد. ما أكرمك يا خاتمة العقد.

آه يا كعبة الحُسْن: واحرَّ قلباه، واثكلاه. وهبت العالم الطريق إليك، فباعوك بالإعراض عنك. ليس الشقي كل الشقي من زلّت قدمه عن الطريق، فإنه قد كان فيه فزلّ وإنما الشقي كل الشقي من ضلّ عن الطريق ابتداءً ولم يزل.

يا كعبة الحُسْن: إذا أشرقت الآفاق بالنور اللامع، وصلصلت الألحان للسامع، طلبت الأرواح المعراج، وهبّت بالانزعاج، فزلزلت الهياكل الأرضية وتداخلت الحركات العلوية.

يا كعبة الحُسْن: أنت الأولى فأين ثانيك، انظري إليه فإنه في مبانيك، ومدرج في معانيك، إذا انفعل عنك وظهر عينه، ولاح لعينك بينك وبينه، فأفيضي عليه من أنوار غيب ذاتك، ونزّهيه في جمال سُبُحاتك، فستلوح بين فيضك وقبوله أنوار الأشكال والأمثال فتلك الأعراس الإلهية المستورة في الجلال.

يا كعبة الحُسْن: احذري النار المركبة على هذا المركب.

يا كعبة الحُسْن: حُلّ الرمزَ، فقد جاءت دولة العِزّ. فلا يقوم تركيب إلاّ بحلّ تركيب، انظري في سرّه، لمّا ذُبِحَت البقرة قام الميت بحياتها من قبره.

يا كعبة الحُسْن: الإعلام قبل الإلهام، وردّ الرسول من جنابك برقعة من غدا في إهابك. فقلت: يا للعجب! ركنٌ مُخَلّق وإهابٌ ممزّق. حالة متناقضة الإحكام فقال الرسول لا تفعل هو إعلام، بأوان الإحرام، فتذكرت الشيبي في قصة، وجاءني الأمر من قصه فسأله عن الحال المعلوم، وما بقي من محاسن الرسوم، فقال: إن الزهو قد شمل الشمائل، وإن السعدان عشب الخمائل، مرت الخميلة وزهرها، ومارت السماء وزهرها، فقلت: لعل تجلى مكان الخشوع، أو عساها بارقة لموع؟! فقال: لا والحب إلاّ أن ورود الربيع أزهر، وليل السرور أقمر. فخرج الطائعون.

يا كعبة الحُسن: للفرج، وبقيت معطلة العشار فأدركها الحرج، وقالت: عرفت من أين ذهبت، وعلمت من حيث أوتيت، ما هو إلاّ ذلك الدّعي في حبّي، والشهي في قربي، آثر البهار على النرجس، وغاب عن صحيفة المتلمس. أما عرف كيدي، أما تحقق أنه صيدي، متى وقع السراح، متى ملك المفتاح. ألم يعلم بأني العراقية الحجازية، والحقيقة المجازية، لئن وقعت عيني عليه، لا جعلته مثلاً في السائرين ومثلة للناظرين، وخبراً للمسافرين.

هيهات اغتر بجنابي وعطفي، وانخدع بإحساني ولطفي ما علم أن البطش شديد، ما تحقق أنه في لبس من خلقٍ جديد، فقلت للرسول: وقد ورد على آخر الفصول. ما هلك امرؤ عرف قدره. سلّم عليها، وبلّغ ما أرسلك به إليها.

يا كعبة الحُسْن: بي عزّ وجودك، وبأخذي ظهر جودك، أنشأت ذاتك بيدي، وأوصيت بك ولدي، وتغربت إليك من بلدي، وجعلتك سلطانة، عليَّ أخدم بابك، وألزم ركابك، وأقبّل كل يوم يمينك. وأنت الثلث الآخر من الليل لتنزلي، وأنت الشوق الجناني لتشكلي في الصور وتحوّلي، غبت عن كونك محلاً.

يا محل التحجير والمنع، يا حضرة القدوم والرفع، عزّ عليَّ حيدك عن المعرفة، وجهلك بالنكتة المعرفة. أينِ حجري مِنْ حجرك. أين يميني من يمينك، أين مقامي من مقامك. يا نشأة جمَاد قامت علىٰ مهاد.

أَغَـرَّكِ مـنـي أن حـبَّـكِ قـاتـلـي وأنك مهما تأمري القلب يفعل[1]

بعثت إليك بكتاب فناءٍ واتحادٍ، وحديث طيب غير معاد فلم تطيبي به نفساً، ولا رفعت به رأساً، ما ناديت أذناً صماء، ولا أبرزت رقوماً لمقْلةٍ عمياء، ما رأيت لهذه الواقعة الشنعاء، سوى إظهار الأختينِ بالطائف وبإقليم صنعاء، وليس ذلك عن كفر بعد إيمان، ولا عن شبهة بعد برهان، ولكن معاملة بسريان المعبود في الوجود، وتصديق كلامه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] لنفي الجحود.

وهنا بهذه الإشارة انتهت الرسالة.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

---

(١) هذا هو البيت رقم عشرين من معلقة امرؤ القيس التي مطلعها:
قـفـا نـبـكِ مـن ذكـرى حـبـيـب ومـنـزل بـسـقـط الـلـوى بـيـن الـدخـول فـحـومـل
وهي من البحر الطويل.

سماعات الكتاب

السماع الأول:

سمع جميع (تاج الرسائل) على منشئها الشيخ الإمام العامل العالم الأوحد الزاهد الورع الأرشد شيخ العارفين، وقدوة المحققين محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي الطائي رضي الله عنه.

الشيخ الأجل الكبير المحترم الزاهد الورع أبو بدر عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي عتيق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحرّاني رحمه الله.

والفقيه الإمام العالم العامل الأوحد سيف الدين أبو عبد الله محمد بن قمر بن كوكبري البغدادي.

بقراءة العبد الفقير إلى الله تعالى إسماعيل محمد بن يوسف الأنصاري.

وكان السماع بمنزل سيدنا الإمام بملطية حرمها الله تعالى في العشر الأول من شعبان من سنة ثلاث عشرة وستمائة والحمد لله وحده والصلاة على محمد النبي وآله.

السماع الثاني:

سمع، جميع هذا الكتاب، وهو (تاج الرسائل) على مصنفه الشيخ الإمام العالم الأوحد العارف العلامة محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي أثابه الله الجنة بقراءة الإمام شمس الدين أبي الحسن علي بن المظفّر بن العالم النشبي الفقهال وعبد الله ابن الحسين بن إبراهيم الأربيلي - وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب السعدي، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني، وأبو طاهر إسماعيل بن سودكين النوري، وأبو عبد الله محمد بن بريقش المعظمي، وإبراهيم بن محمد بن محمد، وعلي بن أحمد بن علي القرطبي، ويوسف بن محمد بن عبد العزيز، ومحمد بن أحمد بن أبي عيسى المابرقيان، والخطيب يعقوب بن معاذ بن عبد الرحمٰن الوربي، وأبو سعد محمد بن المصنف، وأحمد بن موسى بن حسين التركماني، وحسين بن محمد بن علي الموصلي، ومحمد بن إلياس بن الخضر النصيبي، ويونس بن عثمان بن أبي القاسم الدمشقي.

وكاتب السماع: إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي.

وسمع من موضع اسمه إلى آخر الكتاب أبو المعالي محمد بن المصنف وذلك في العشرين من محرم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمنزل المسمع بدمشق.

والحمد لله وحد، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

فهرس المحتويات

تقديم ٣

ترجمة شارح الشجرة النعمانية صدر الدين القونوي ٦

ترجمة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ٧

مؤلفاته وشيوخه ١٢

الشجرة النعمانية ١٩

يا فتّاح يا عليم ٢١

المقدمة ٢٣

الفصل الأول: ٢٥

الفصل الثاني: في معرفة تلك المفاتيح وتمييزها ٢٦

القسم الأول ٢٦

القسم الثاني ٢٦

القسم الثالث ٢٧

الفصل الثالث: ٣٠

تنبيه وتقرير لما سبق ٥٥

مطلب المهدي ٥٨

شق الجيب بعلم الغيب ٦١

المقدمة ٦٣

وصل وتنبيه لمن له لُبٌ نبيه ٧٤

فصل ٧٤
فصل ٧٥
فصل ٧٦
فصل في إشاراتهم ٧٨
فصل ٨١
فصل ٨١
فصل: خطبة الغراب الحالك ٨٣
فصل ٨٤
فصل ٨٧
فصل ٩٠
فصل ٩١
حضرة موسوية ٩١
فصل ٩٦
وصية ٩٩
منزل المنازل الفهوانية ١٠١
وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً ١٠٣
المُدْخَل إلى المقصد الأسمى في الإشارات ١٣١
وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً ١٣٣
كنايةُ «ب» من «بسم» ١٣٥
فصل ١٤٢
كتاب العظمة ١٤٣
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ١٤٥
حضرة تميُّز الأول ١٤٧

باب أوله باء، وآخره ميم ١٤٧
باب من الحضرة عينها أوله ألف، وآخره نون وهو الباب الثاني من سبعة أبواب من هذا الكتاب ١٥٠
باب من الحضرة نفسها وهو بابٌ أوله ألف وآخره ميم وهو الباب الثالث من سبعة ١٥٢
باب من الحضرة نفسها وهو باب أوله ميم، وآخره نون وهو الباب الرابع من سبعة ١٥٣
حضرة الاشتراك ١٥٦
الباب الأول منها أوله ألف، وآخره دالٌ وهو الباب الخامس من سبعة ١٥٦
باب آخر منها أوله ألف وآخره نون وهو الباب السادس من سبعة ١٥٨
حضرة تميّز الثاني ١٦١
باب أوله ألف وصل وآخره نون وهو الباب السابع ١٦١
فصل ١٦٣
ملاحق كتاب العظمة ١٦٤
ملحق ١ .... ١٦٤
في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات المحمدية ١٦٤
ملحق ٢ .... ١٧٣
حضرة العظمة ١٧٣
تاج الرسائل ومنهاج الوسائل ١٧٥
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليماً ١٧٧
١ ـ الرسالة الإلهية تَوسَّل بها عبد الله إليها، ونزل بها عليها ١٨٠
٢ ـ الرسالة القُدُسية توسَّل بها عبد الحي إليها ونزل بها عليها ١٨٥
٣ ـ الرسالة الاتحادية توسَّل بها عبد العليم إليها ونزل بها عليها ١٩٠

٤ ـ الرسالة السريانية توسل بها عبد الشكور إليها ونزل بها عليها ١٩٤

٥ ـ الرسالة المشهدية توسَّلَ بها عبد البصير إليها ونزل بها عليها ٢٠١

٦ ـ الرسالة الفردوسية توسل بها عبد السميع إليها ونزل بها عليها ٢٠٦

٧ ـ الرسالة العُذْرية توسَّلَ بها عبد الودود إليها ونزل بها عليها ٢١٠

٨ ـ الرسالة الوجودية توسَّل بها عبد القادر إليها ونزل بها عليها ٢١٤

سماعات الكتاب ٢١٧

فهرس المحتويات ٢١٩

الشجرة النعمانية

ويليها

شق الجيب بعلم الغيب

ويليه

منزل المنازل الفهوانية

ويليه

المدخل الى المقصد الأسمى في الإشارات

ويليه

كتاب العظمة

ويليه

تاج الرسائل ومنهاج الوسائل

1653

9 782745 134684
90000
DKI

منشورات
محمد علي بيضون ®
دار الكتب العلمية

هاتف: ١٢/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ (٥ ١ ٦ ٩ ٠٠)
فاكس: ٨٠٤٨١٣ (٥ ١ ٦ ٩ ٠٠)
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧
http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com